صفحات من التاريخ الاسلامي في الشمال الإفريقي ٢

عصر الدولتين
الأموية والعباسية
وظهور فكر الخوارج

تأليف
علي محمد محمد الصلابي

دار البيارق

الإهداء

إلى أبناء الشمال الإفريقي خصوصاً وأبناء الأمة عموماً أُهدي هذا الكتاب سائلاً المولى عزَّ وجلَّ بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يكون خالصاً لوجهه الكريم.

﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

الرقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(١٨٥٠/١٢/١٩٩٧)

رقم التصنيف : ٩٦١,٢
المؤلف ومن هو في حكمه : علي محمد محمد الصلابي
عنوان الكتاب : صفحات من تاريخ ليبيا الإسلامي والشمال الإفريقي
الموضوع الرئيسي : ١- التاريخ
٢- ليبيا - التاريخ - افريقيا
رقم الايداع : (١٨٥٠/١٢/١٩٩٧)
بيانات النشر : عمان: دار البيارق
* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

الأردن : ص.ب ٨٦٤ عمّان ١١٥٩٢ تلفاكس ٤٦١٠٩٣٧ (٠٦)

لبنان : ص.ب ١١٣/٥٩٧٤ بيروت هاتف ٨٨٢٢٣٧ (٠٣)

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله **﴿يأيها الذين آمنوا اتقوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ولاتَموتُنَّ إلاَّ وأنتم مسلمون﴾**[1] .

﴿يأيها الناس اتقوا ربَّكم الذي خلقكم من نفسٍ واحدةٍ وخلقَ منها زوجَها وبَثَّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا اللهَ الذي تَسَّاءلون به والأرحامَ إنَّ اللهَ كان عليكم رقيباً﴾[2].

﴿يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولُوا قولاً سديداً يُصْلِحْ لَكُم اعمالَكُم ويَغفرْ لكم ذنوبَكُم ومن يُطِعِ اللهَ ورسولَهُ فقد فازَ فوزاً عظيماً﴾[3].

أما بعد؛

يارب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك، وعظيم سلطانك، لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت.

هذا الكتاب الثاني (صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي) يتحدث عن الأمويين والعباسيين والخوارج، فيعطي صورة واضحة عن جذور الأمويين، ورجالهم ودولتهم وخلفائهم، وينقل أقوال علماء أهل السنة في بعض خلفاء بني امية، ويوضح دورهم في الجهاد والدعوة، ويتعرض لما وقع فيه بعض الخلفاء من انحراف وظلم وجور وتعسف، ويقف عند الأسباب التي ساهمت في سقوط الدولة الأموية، ويتحدث عن القتال الذي حدث في أواخر الدولة الأموية بين الخوارج وولاة بني أمية.

وكذلك يسلط الأضواء على دولة بني العباس ومراحلها والعصور التي

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٢.

(٢) سورة النساء: الآية ١.

(٣) سورة الاحزاب : الآية ٧٠،٧١.

مرت بها ويُعَرِّفَ بخلفائها، ويتكلم عن الصراع المرير الذي حدث بين الخوارج في الشمال الإفريقي وخلفاء بني العباس.

ويتحدث عن نشأة الخوارج وفرقهم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم فيهم ويبين خطورة أفكارهم وعقائدهم على الأمة، وكيف انتقل الفكر الخارجي إلى الشمال الإفريقي، ويتعرض لخلاف علماء الفرق في الحكم على الإباضية ويناقش عقائدهم من منظور أهل السنة والجماعة ويعطي فكرة عن دولة الأغالبة وأمراءهم ودور علماء أهل السنة في نشر الفقه والحديث وتعليم الناس والحكم بينهم بالكتاب والسنة ومحاربة المبتدعة، ويؤرخ لدخول مذهب الإمام مالك في الشمال الإفريقي وأسباب انتشاره في الإقليم ويختص بترجمة موسعة للامامين العظيمين أسد بن الفرات، وسحنون بن سعيد، ويلقي الضوء على دورهم العلمي والدعوي والجهادي في الشمال الإفريقي، ويعطي فكرة عن نظام الحكم في دولة الأغالبة ويتعرض لأسباب سقوطها بنوع من الإيجاز.

ويشير إلى أهمية معرفة سنن الله وكيفية التعامل معها من خلال الوقائع التاريخية ودور العلماء الربانيين في قيادة الأمة نحو المجد والعزة والكرامة وجهودهم العظيمة في القضاء على البدع ومحاربتها بالأدلة والبراهين والحجج، وتحصين جمهور المسلمين بعقيدة أهل السنة والجماعة التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والتي ساهمت في بناء سياج فكري عقدي عند جمهور المسلمين، منع من دخول البدع بل تحطمت أمام ذلك البناء الشامخ الذي وضع الأمور في نصابها بدون تمييع أو تخليط.

وهذا الجهد المتواضع لم يأت بجديد وإنما هو جمع وترتيب ومحاولة للتحليل والتفسير للأحداث التاريخية التي وقعت في هذه الحقبة الزمنية، والتي تأثرت بالمشرق الإسلامي في حركتها التاريخية، فإن كان خيراً فمن الله وحده وإن أخطأت السبيل فأنا عنه راجع إن تبين لي ذلك، والمجال مفتوح للنقد والرد والتعليق والتوجيه. وهدفي من هذا الكتاب:

١- التأكيد على ان أصول المد الإسلامي في الشمال الإفريقي سُنِّيةٌ في المعتقد والعبادة والأخلاق والتشريع، أي ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

٢- تسهيل مبدأ الاعتبار والاتعاظ بمعرفة أحوال الدول وعوامل بنائها، وأسباب سقوطها، والنظر في سنن الله في الآفاق وفي الأنفس والمجتمعات.

٣- الاهتمام بمعرفة عقيدة أهل السنة والجماعة وتربية أبناء الأمة عليها وكشف معتقدات الخوارج التي تخالف القرآن الكريم وسنة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وإجماع العلماء الراسخين.

٤- التعريف ببعض العلماء العاملين والفقهاء الراسخين، مثل، علي بن زياد العبسي، والبهلول بن راشد، وأسد بن الفرات، وسحنون بن سعيد والتركيز على دورهم العلمي والفقهي، والتربوي والجهادي.

٥- اثراء المكتبة الإسلامية التاريخية بالابحاث المنبثقة عن عقيدة صحيحة، وتصور سليم بعيدة عن سموم المستشرقين، وأفكار العلمانيين الذين يسعون لقلب الحقائق التاريخية من اجل خدمة أهدافهم.

أما خطة الكتاب، فقد قمت بتقسيمه إلى سبعة فصول:

الفصل الأول : الدولة الأموية ويشتمل على ستة مباحث :

المبحث الأول : الجذور التاريخية للأسرة الأموية.

المبحث الثاني: الخلافة الأموية.

المبحث الثالث: يزيد بن معاوية.

المبحث الرابع: الوليد بن عبدالملك.

المبحث الخامس: سليمان بن عبدالملك.

المبحث السادس: عمر بن عبدالعزيز.

الفصل الثاني : عصر الولاة ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: نبذة تاريخية عامة عن الحالة في عصر الولاة.

المبحث الثاني : نبذة عن ولاة الدولة الأموية.

المبحث الثالث: أسباب سقوط الخلافة الأموية.

الفصل الثالث : الخلافة العباسية ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: ظهور الدعوة العباسية وتطورها.

المبحث الثاني : العصور العباسية.

المبحث الثالث: العصر العباسي الثاني.

المبحث الرابع: العصر العباسي الثالث.

الفصل الرابع: الخوارج في الشمال الإفريقي ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول : نشأة الخوارج.

المبحث الثاني: أهم فرق الخوارج.

الفصل الخامس: الإباضية ويشتمل على خمسة مباحث:
المبحث الأول: نسب الإباضية وفرقهم.
المبحث الثاني : موقف الإباضية من الخلفاء الراشدين.
المبحث الثالث: بعض عقائد الإباضية ومناقشتها .
المبحث الرابع: حقيقة الإيمان وحكم مرتكب الكبيرة.
المبحث الخامس: مسألة الإمامة والخلافة.
الفصل السادس : أهم ثورات الإباضية ويشتمل على مبحث واحد هو:
المبحث الأول: ثورات الإباضية في اواخر الخلافة الأموية وبداية العباسية.
الفصل السابع : دخول المذهب المالكي إلى ليبيا ويشتمل على أربعة مباحث:
المبحث الأول : دخول الموطأ والاهتمام به في الشمال الإفريقي.
المبحث الثاني: ترجمة الإمام مالك بن أنس.
المبحث الثالث : أسباب انتشار المذهب المالكي.
المبحث الرابع: أصول مذهب الإمام مالك.
الفصل الثامن : دولة الأغالبة ويشتمل على ثمانية مباحث:
المبحث الأول: إبراهيم بن الأغلب.
المبحث الثاني: العلامة أبو حفص عبدالجبار بن خالد.
المبحث الثالث: ولاية زيادة الله بن الأغلب.
المبحث الرابع: أسد بن الفرات.
المبحث الخامس: سحنون بن سعيد .
المبحث السادس: نظام الحكم عند الأغالبة.
المبحث السابع: أهم أعمال دولة الأغالبة.
المبحث الثامن: أسباب سقوط دولة الأغالبة .
ثم الخلاصة.

وأخيراً ارجو من الله تعالى أن يكون عملاً خالصاً لوجهه الكريم وأن يثيبني على كل حرف كتبته ويجعله في ميزان حسناتي وأن يثيب اخوإني الذين اعانوني بكافة مايملكون من أجل اتمام هذا الكتاب.

"سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك واتوب إليك"

"وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين"

المؤلف علي محمد محمد الصّلابي

الفصل الأول

الدولة الأموية(*)

إن الدولة الأموية تعرضت للعداء من طوائف اليهود والنصارى والمستشرقين والروافض، حيث سعوا بكل إمكاناتهم البشرية، ووسائلهم الإعلامية لتشويه دورها في حماية الإسلام ونشره والدعوة إليه والجهاد في سبيله.

لذلك رأيت من المفيد لأبناء المسلمين أن نتناول بشيء من التفصيل فترة الدولة الأموية وخلفائها من منظور أهل السنة والجماعة، حتى يحيط المسلم بتصور صحيح لهذه الدولة ورجالاتها وعلمائها وقياداتها، وما قدمته من إنجازات عظيمة في مسار الحركة العلمية، والجهادية، والسياسية، والدعوية خصوصاً في زمن الخليفة عمر بن عبدالعزيز صاحب الفضل بعد الله في استقرار إقليم الشمال الإفريقي وكان ذلك بعد إرساله للفقهاء العشرة الذين انتشروا بين القبائل وشرعوا في تعليم الناس القرآن الكريم، والسُنَّة المطهرة، واللغة العربية، واهتموا بتزكية النفوس وتوريث العلوم للأجيال، كما لايخفى على القارئ الكريم أهمية دراسة الدولة الأموية التي كان إقليم الشمال الإفريقي جزءً منها، يتأثر بسياستها سلباً وايجاباً.

(*) كانت محاضرات الأستاذ عبدالعزيز نور ولي والدكتور محمد ضيف الله بطاينة في الجامعة الإسلامية في المدينة في كلية الدعوة وأصول الدين هي التي فتحت لي آفاقاً في دراسة الدولة الأموية واعتمدت عليها في بحثي هذا في الرجوع إلى المصادر الأصلية.

المبحث الأول

الجذور التاريخية للأسرة الأموية

إن جذور الأسرة الأموية ترجع في الأصل إلى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وفي عبد مناف يلتقي بنو أمية مع بني هاشم. ولقد ولد لأمية الكبير الذي ينتسب إليه الأمويون من الأولاد الذكور: أبو سفيان واسمه عنبسة، وهو أكبر أولاده، وسفيان، وحرب، وأبو عمرو، والعاص، وأبو العاص، وكان يقال لأبي العاص الأمير، وكان من حكماء قريش والعيص، وأبو العيص[1].

وقد ولد لأبي العاص عفان، وولد لعفان عثمان الذي كان من أوائل من آمن بالرسول صلى الله عليه وسلم وهاجر الهجرتين، وجاهد بنفسه وماله، وتزوج ابنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما قد ولد للعاص أولاد كثير منهم:

١- الحكم بن أبي العاص بن أمية، وقد أسلم الحكم يوم الفتح، وكان له من الأولاد: مروان الذي كان كاتب عثمان بن عفان في خلافته وصاحب خاتمه، وتولى الخلافة في فترة تالية.

٢- سعيد بن العاص: وكان سعيد من أشراف قريش وفصحائها، أمره عثمان بن عفان بإملاء المصحف على زيد بن ثابت، واستعمله على الكوفة، وغزا بالناس طبرستان وفتحها، واعتزل اثناء الفتنة، وولاه معاوية بن أبي سفيان المدينة وكان يعاقب بينه وبين مروان بن الحكم في ولايتها.

٣- ومن أولاد سعيد بن العاص خالد: وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية،

---

(١) انظر: جمهرة النسب، لهشام الكلبي: ٢٨/١.

أسلم قديماً قيل خامس الذين أسلموا وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانيــة، وقـدم في فتح خيبر، وأسهم له الرسول صلى الله عليه وسلم وحضــر عمـرة القضيـة، وحضر فتح مكة وحنيناً والطائف وتبـوك، واسـتعمله الرسـول صلـى اللـه عليـه وسلم على صدقات اليمن، وظل عاملا عليها حتى توفى الرسول صلى الله عليه وسلم فرجع خالد عن عمله، وفي خلافة أبي بكر الصديـق كـان أول لـواء عقـده أبو بكر إلى الشام لواء خالد بن سعيد، ثم عاد فعزله لشيء بلغه عنه.

٤- أبان بن سعيد بن العاص بن أمية، أسلم بين الحديبيـة وخيبر، وهو الذي أجار عثمان بن عفان يوم بعثه الرسول صلى الله عليـه وسـلم إلـى قريـش عـام الحديبية وحمله على فرس، ثم ركب خلفه حتى دخل مكة وقال:

أقبل وأدبر ولا تخف أحدا بنو سعيد أعزة الحرم.

وأمَّرَهُ الرسول صلى الله عليه وسلم على بعض السرايا منها سرية إلى نجد، ثم استعمله على البحرين لما عزل العلاء بن الحضرمي عنها، ولـم يـزل عليهـا حتى توفي الرسول صلى الله عليه وسلم فرجع عنها.

٥- وعمرو بن سعيد بن العاص بن أمية، أسلم بعد أخيه بيسير، وهاجر إلـى الحبشـة الهجـرة الثانيـة، وقـدم زمـن خيـبر، وحضـر فتـح مكـة وخيـبر وحنينـا والطائف وغزوة تبوك، واسـتعمله الرسـول صلـى اللـه عليـه وسـلم علـى قـرى عربية منها تبوك وخيبر وفدك، وظل عاملاً عليها إلى أن توفي الرسـول صلـى الله عليه وسلم، فرجع وخرج في خلافة أبـي بكـر إلـى الشـام غازيـاً، فقتـل فـي وقعة أجنادين وقيل قتل يوم اليرموك.

٦- وعبدالله بن سعيد بـن العـاص بـن أميـة، واسـمه الحكم فسـماه الرسـول صلى الله عليه وسلم عبدالله، وكان كاتباً محسناً، فأمره الرسول صلى الله عليه

وسلم أن يعلم الكتابة في المدينة وقتل يوم اليمامة، وقيل قتل يوم مؤتة، وقيل في أولاد سعيد بن العاص بن أمية، إنه ما فتحت بالشام كورة إلا وجد عندها رجل من بني سعيد بن العاص ميتاً.

٧- وولد لأبي العاص بن أمية، أسيد، وولد لأسيد من الأولاد: عتاب، وأسلم عتاب يوم الفتح، واستعمله الرسول صلى الله عليه وسلم على مكة عام الفتح حين خرج إلى حنين، ورزقه كل يوم درهماً، وقيل للرسول صلى الله عليه وسلم استخلفت هذا الأعرابي فقال عليه السلام (إني رأيته في المنام أخذ حلقة باب الجنة ففتح له فدخل).

٨- وولد لحرب بن أمية: صخر وهو أبو سفيان، وكان أبو سفيان من أشراف قريش، وكان ذا حلم ورأي ودهاء، وقيل كان أفضل قريش رأيا في الجاهلية ثلاثة: عتبة وأبو جهل وأبو سفيان. ولم يسلم إلا عام الفتح وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم في فتح مكة من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، وشهد أبو سفيان حنيناً مع الرسول صلى الله عليه وسلم وأعطاه الرسول صلى الله عليه وسلم مائة بعير وأربعين أوقية، وأعطى ابنه يزيد ومعاوية، وفقئت عين أبي سفيان يوم الطائف وشهد اليرموك فأصاب عينه الأخرى حجر فشدخها فعمي. ومات عام ٣١هـ وقيل ٣٢، وقيل ٣٣، ولأبي سفيان من الأولاد حنظلة، قتله حمزة بن عبدالمطلب يوم بدر كافرا. وعمرو بن أبي سفيان أسر يوم بدر. ويزيد بن أبي سفيان الذي يقال له يزيد الخير، ولاه أبو بكر على الأجناد الذين بعثهم إلى فتح الشام، ولما فتحت الشام ولاه عمر بن الخطاب على فلسطين، ولما مات معاذ بن جبل بالطاعون استخلفه على الشام، ولما مات يزيد استخلف عمر بن الخطاب أخاه معاوية بن أبي سفيان. وعتبة بن أبي سفيان، ولاه عمر بن الخطاب الطائف وصدقاتهم، وولاه معاوية بن أبي سفيان مصر

بعد موت عمرو بن العاص. وعنبسة بن أبي سفيان، كان والياً على الطائف لأخيه معاوية، وعزله معاوية وولاها عتبة ولعنبسة ولد اسمه عثمان، وكان عثمان فاضلاً، فلما مات يزيد بن معاوية أراد بنو أمية أن يبايعوه على الخلافة. ومعاوية بن أبي سفيان الذي سبق التعريف به في غير موضع[1].

والملاحظ مما سبق: أن هنالك رابطةً قويةً بين عبد شمس بن عبد مناف وبين هاشم بن عبد مناف، وبين المطلب بن عبد مناف، وبين نوفل بن عبد مناف، إلا أن بني أمية كانوا أكثر عدداً من غيرهم، لذلك قد عادَوا الدعوة الإسلامية في بداية مراحلها نظرا لحجمهم البشري، وثقلهم السياسي، وتواجدهم الاقتصادي. ثم ما لبثوا أن انقشعت عنهم حمية الجاهلية ودخلوا في دين الله أفواجا، وأصبحوا من أبرز قيادات الدعوة الإسلامية فيما بعد.

وهذا ما قرره ابن خلدون إذ يقول: (كان لبني عبد مناف في قريش جمل من العدد والشرف لايناهضهم فيها أحد من سائر بطون قريش، وكان فخذاهم، بنو أمية وبنو هاشم جميعاً، ينتمون لعبد مناف وينتسبون إليه، وقريش تعرف ذلك وتسأل لهم الرياسة عليهم، إلا أن بني أمية كانوا أكثر عدداً من بني هاشم وأوفر رجالاً) [2].

ويقول المقريزي تحليلاً لوصول بني أمية للخلافة دون بني هاشم: (لما كانت بنو هاشم من قريش اختصها الله سبحانه بهذا الأمر أعني الدعوة إلى الله تعالى والنبوة والكتابة فحازت بذلك الشرف الباقي، وكانت أحوال الدنيا من الخلافة والملك ونحوه زائلة، لهذا أزواها الله تعالى عنهم تنبيهاً على شرفهم وعلو مقدارهم، فإن ذلك هو خيرة الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم).

---

(١) المرجع السابق: ٣٥-٣٦، راجع أنساب الأشراف للبلاذري:٤/١٢٥-١٣٣.

(٢) انظر: تاريخ ابن خلدون : (٢/٣).

وقد ناقش المقريزي في كتابه (التنازع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم) قضية استعانة النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين ببني أمية على العمالات والولايات دون بني هاشم فقال: وقد ظهر لي أن ولاية الرسول صلى الله عليه وسلم بني أمية الأعمال كانت إشارة منه صلى الله عليه وسلم إلى أن الأمر سيصير إليهم[١].

وتفسير المقريزي مرجوح، فاختيار الله عزوجل محمداً صلى الله عليه وسلم للرسالة لم يكن لاعتبارات عائلية هاشمية إزاء الأموية، وقد قاوم بعض بني هاشم الدعوة أول الأمر، ومنهم من مات من غير أن يسلم، ولم يقل أحد بالموازنة بين الرسالة والدعوة من جهة إزاء الخلافة والملك من جهة أخرى، أو بين محمد صلى الله عليه وسلم رمزا لبني هاشم إزاء الأمويين أو غيرهم، وقام بأمر الخلافة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم أبو بكر، وهو قرشي من بني تيم، ثم عمر بن الخطاب، وهو قرشي من بني عدي، وخلفهما عثمان بن عفان، وهو قرشي من بني أمية، ثم خلفه علي بن أبي طالب، وهو قرشي من بني هاشم، وخلف علياً الحسن بن علي، وهو قرشي من بني هاشم، ثم آلت الخلافة إلى معاوية بن أبي سفيان وهو قرشي من بني أمية. ولعل وصول الخلافة إلى بني أمية بعد الخلاف الذي وقع بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، أوحى للمقريزي الاسم الذي أطلقه على كتابه الآنف الذكر، وذهب فيه ذلك المذهب من القول وعلى أية حال، فإن ما نأخذه من كلام المقريزي وغيره أن بني أمية كانوا كثيري العدد، وأصحاب فعاليات وخبرات، واستعانة الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين بهم في الولايات

---

(١) التنازع والتخاصم : ٦٣-٦٤.

والعمالات كان في بعض معانيه ومدلولاته، ما كان لبني أمية من المكانة والكفاية في الإدارة والسياسة.

وجعل المقريزي استعانته عليه السلام بهم من العوامل التي قوت نيتهم في طلب الخلافة وقال المقريزي :(فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسس هذا الأساس، وأظهر بني أمية لجميع الناس بتوليتهم أعماله فيما فتح الله عليه من البلاد، كيف لا يَقْوى ظَنُّهم، ولا يَنْبَسِطُ رجاؤهم، ولا يتحد في الولاية أملهم)[1].

وهذه العلاقة بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين بني أمية، جعلها المقريزي السبب في النزع والتخاصم بين بني أمية وبني هاشم، وجعل وجهة نظره هذه مدخلاً لفهم كل ما يتعلق ببني أمية في تاريخ الدعوة الإسلامية وماقبلها.

---

(١) التنازع والتخاصم : ٤٧-٥٧.

المبحث الثاني

الخلافة الأموية

نتناول في هذا المبحث أبرز القيادات السياسية الأموية التي كانت تمسك بزمام الأمر في مرحلة الدولة الأموية بعد العهد الراشدي، حيث إن هذه القيادات قد امتازت بميزات في عهودها الذهبية والتي كانت من أبرزها الفتوحات الإسلامية التي شملت أصقاعاً كبيرةً من الأرض شرقاً وغرباً، وبراً وبحراً، وإليك تراجم ومناقب هذه القيادات السياسية الأموية(*).

أولاً: معاوية بن أبي سفيان (٤١-٦٠هـ):

أ- نبذة عنه قبل الخلافة:

هو معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي، وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس. ولد معاوية قبل البعثة بخمس سنين، وأسلم عام الفتح في عمرة القضاء[١]. كان أبوه من سادات قريش، وصاحب العير يوم بدر، وتفرد بالسؤدد بعد يوم بدر، فهو صاحب النفير في أحد وما بعدها، ثم أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه، وكانت له مواقف مشرفة وآثار محمودة في يوم اليرموك وما قبله وما بعده[٢].

(*) نقلاً من محاضرات الشيخ عبدالعزيز نور ولي.

(١) الاستيعاب : ٣/٣٧٢-أسد الغابة : ٦/٤٣٢.

(٢) المرجع السابق: ٢/٨٣، أسد الغابة ٢/٣٩٢.

صحب معاوية رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من كتّابه، وروى عنه أحاديث وقد أخرج له الجماعة.

منها: ما أخرجه الإمام مسلم عنه إنه قال - معاوية - :سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة"[1]. وعنه أيضاً إنه قال: إياكم وأحاديث، إلا حديثاً كان في عهدِ عمرَ فإنَّ عمرَ كان يُخيفُ النَّاسَ في الله عزَّ وجلَّ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ في الدينِ" وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إنما أنا خازنٌ، فمَنْ أعطيتُهُ عن طيبِ نفسٍ، فيُباركُ له فيه، ومَنْ أعطيْتُه عن مسألةٍ وشَرَهٍ كان كالذي يأكُلُ ولا يشبع"[2]. وعنه أيضاً إنه خطب يوم عاشوراء في المدينة فقال: أين علماؤكم؟ يا أهل المدينة! سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لهذا اليوم: "هذا يوم عاشوراء، ولم يكتب الله عليكم صيامه، وأنا صائم فمن أحب منكم أن يصومه فليصم، ومن أحب أن يفطر فليفطر"[3].

وأيضاً عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خرج معاوية على حلقة في المسجد فقال، ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله، قال: آللهِ ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: واللهِ ما أجلسنا إلا ذاك، قال: أما إني لم أسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لكم، وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم أقلَّ حديثاً عنه مني، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من أصحابه، فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله ونَحْمَدُهُ على ما هدانا للإسلام، وما منّ به

---

(١) صحيح مسلم :كتاب الصلاة، باب فضل الإذان (١/٢٩٠) رقم ٢٩٠.

(٢) المرجع السابق: ١٠٣٧،٣٨٧.

(٣) المرجع السابق: رقم الحديث ١١٢٩.

علينا، قال: آللهِ ما أجلَسَكُمْ إلا ذاك؟! قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك. قال: أما أني لم أستَحلِفكُمْ تهمةً لكم، ولكنه أتاني جبريلُ فأخبرني أن الله عزوجل يباهي بكم الملائكة[1].

وكان معاوية تحت لواء أخيه يزيد بن أبي سفيان في فتوح الشام، ولما توفي يزيد في خلافة عمر رضي الله عنهما ولىّ أخاه خلفاً له فيما كان واليا عليه من ولاية الشام، ثم في خلافة عثمان رضي الله عنه ضم له الشام كلها، وافتتح سنة ٢٧هـ جزيرة قبرص، ولما وُلِّيَ عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه كانت بينه وبين معاوية موقعة صفين التي انتهت بتحكيم الحكمين. ثم لما وُلِّيَ الحسنُ رضي الله عنه تنازل له بالبيعة فانعقدت الكلمة على خلافته وأجمعت الرعية على بيعته في سنة ٤١هـ.

ب- منزلة معاوية بن أبي سفيان:

ثبت في الصحيح: عن النبي صلى الله عليه وسلم إنه قال: "يغزو فئام من الناس فيقال لهم فيكم من رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون نعم فيفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس فيقال لهم فيكم من رأى مَنْ صَحِبَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فيقولون نعم فيفتح لهم...الحديث"[2]. فعلق الحكم برؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم كما علقه بصحبته، وبهذا دل على أن كل من لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤمنا به ومات على ذلك يعد صحابياً[3]، ولاشك ان معاوية منهم رضي الله عنهم.

---

(١) صحيح مسلم :كتاب الصلاة، باب فضل الإذان (٢٩٠/١) رقم ٢٧٠١.

(٢) صحيح مسلم : في فضائل الصحابة باب: ٥٢.

(٣) الإصابة لابن حجر: ١٠/١.

وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سَبِّ الصحابة فقال: "لاتسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نَصِيفَهُ"[١]، كما نهى عن لعن المؤمن وقال :"لعنُ المؤمنِ كقتلِهِ"[٢]، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خيار المؤمنين كما ثبت ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم: "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم"[٣]. وقد استعان به رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعله كاتباً للوحي والرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن يستعين بمنافق، كما استعان به أبوبكر الصديق وعمر الفاروق رضي الله عنهما: وهما لم يستعينا بمنافق ولا بذي قرابة، ولا تأخذهما في الله لومة لائم، بل إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان من أعظم الناس فراسة وأخبرهم بالرجال.

وثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عن الحسن بن علي رضي الله عنهما: "ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به فئتين من المسلمين"[٤] وهذا النص الصحيح الصريح بَيَّنَ أن ما فعله الحسن رضي الله عنه محمود مرضي لله ورسوله. وإذا كانت فِرقة معاوية هي الفرقة الباغية فهي مؤولة بفعلها والمتأول المجتهد كأهل العلم والدين الذين اجتهدوا فأخطؤوا، وقال تعالى: ﴿ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾. (البقرة: ٢٨٦) وثبت في الصحيح أن الله استجاب هذا الدعاء[٥].

---

(١) صحيح البخاري في فضائل الصحابة باب:٥، صحيح مسلم غي فضائل الصحابة باب :٥٤.

(٢) صحيح البخاري : في الأدب باب:٤٤، صحيح مسلم : في الإيمان باب :٤٧.

(٣) صحيح مسلم : في فضائل الصحابة باب :٥٢.

(٤) صحيح البخاري : كتاب الفتن، باب :٢٠.

(٥) صحيح مسلم : كتاب الإيمان، باب : ٥٧.

يقول ابن تيمية رحمه الله: (أما إذا كان الباغي مجتهداً ومتأولاً ولم يتبين لـه إنه باغي بل اعتقد إنه على الحق وإن كان مخطئا لم تكن تسميته باغياً موجبة لإثمه فضلاً عن أن توجب فسقه، وقد شهد القرآن بأن اقتتال المؤمنين لايخرجهم عن الإيمان بقوله تعالى: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين، إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾. (الحجرات: ٩-١٠).

وسائر أهل السنة والجماعة وأئمة الدين لايعتقدون عصمة أحد من الصحابة ولا القرابة ولا السابقين ولا غيرهم إلا الأنبياء، بل يجوز عندهم وقوع الذنوب منهم والله تعالى يغفر لهم بالتوبة ويرفع بها درجاتهم ويغفر لهم بحسنات ماحية أو بغير ذلك من الأسباب قال تعالى: ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين، ليكفر عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون﴾ (الزمر:٢٢-٢٥).

وأخيراً ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم إنه قال عن معاوية رضي الله عنه "لا أشبع الله بطنه" وقد تبع مسلم رحمه الله هذا الحديث بالحديث الذي رواه البخاري: أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "اللهم إنما أنا بشر فأيُّما عبدٌ سببْتُه أو جلدته أو دعوتُ عليه وليس لذلك أهلا فاجعل ذلك كفارة وقربة تقربه بها عندك يوم القيامة"[1]. فركب مسلم من

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الدعوات باب :٣٤، صحيح مسلم في كتاب البر والصلة، باب :٢٥.

الحديث الأول وهذا الحديث فضيلة لمعاوية رضي الله عنه.

جـ - ولاية العهد:

تولى أبو بكر الصديق رضي الله عنه الخلافة بعد أن تمت له البيعة الخاصة في سقيفة بني ساعدة ثم البيعة العامة في المسجد على المنبر، وكانت بيعته فرصة انتهزها عمر رضي الله عنه لإتمام البيعة له، وقال: "إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة ولكن الله وقى شرها، وليس فيكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر"[1]. ولكن أبا بكر رضي الله عنه كما ذكر عمر رضي الله عنه كان أفضل الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، ثم إنه بعد استشارته لكبار الصحابة أخذ البيعة بعده لعمر بن الخطاب رضي الله عنه لما لمسه من أفضلية تؤهله لهذه المهمة وكان ذلك عندما أحس بدنو أجله[2]، ثم إن عمر رضي الله عنه حصرها في أهل الشورى الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض وكان ذلك أيضاً عند دنو أجله، واختير عثمان بن عفان رضي الله عنه من بينهم[3]، ثم كانت الفتنة التي أدت إلى مقتل عثمان رضي الله عنه، وطلب الثوار علي بن أبي طالب رضي الله عنه لمبايعته بالخلافة، فأبى فلما ألحوا عليه أخبرهم أن ذلك ليس لهم إنما هو لأهل بدر، ورفض قبولها إلا إذا بايعه أهل الشورى، وتمت له البيعة منهم[4]. ومن الملاحظ في تلك الفترة أن اختيار الخليفة يكون من بين أفاضل الناس، وتتم

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير : ١٢٣/٨.

(٢) انظر قصة السقيفة في صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب :٥.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد :٢٧٤/٢.

(٤) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب:٨.

بيعتهم أولاً ببيعة أهل الحل والعقد، كما أن اختيار الخليفة للخليفة الذي بعده لا ينظر فيه إلى صلة القرابة، وقد كانت بداية تولية ذوي القرابة في عهد معاوية رضي الله عنه عندما أخذ البيعة لابنه يزيد ليكون خليفة بعده، فكيف تم ذلك؟

ذكر المؤرخون أن بداية هذا الأمر كان إشارة من المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عندما أحس بأن معاوية رضي الله عنه يرغب في عزله عن ولاية الكوفة، مما دفع معاوية إلى رده إليها ليوطن له الأمر فيها، وقد سبقت هذه القصة لإظهار دهاء المغيرة لذلك لاتؤكد هذه البداية حتى تتبين صحة الرواية أرسل معاوية إلى زياد بن أبيه يستشيره في الأمر فطلب زياد منه التريث، وأرسل إلى يزيد رجلاً من خاصته يحثه على ترك ما هو عليه، وكان مشغولاً بالصيد واللهو وذلك ليسهل على أبيه أمر مبايعته بالخلافة.

أما البداية الفعلية فكانت بعد وفاة المغيرة بن شعبة وزياد بن أبيه، فقد عزم معاوية في سنة ست وخمسين على ذلك وأرسل إلى عبيدالله بن زياد بأخذ البيعة لابنه من أهل العراق وكان واليا عليها، ثم أرسل إلى بقية الأمصار بذلك فجاءته بيعتهم إلا أهل المدينة ومكة مما دفع معاوية إلى الشخوص بنفسه إليهم لأخذ البيعة.

إن معاوية في اختياره لخليفة من بعده اقتدى في الجملة بأبي بكر وعمر رضي الله عنهم(١)، وقد كان يريد بذلك أن لاتقع الأمة في خلاف في هذا الشأن وبخاصة مع اتساع الدولة واختلاف الأهواء(٢)، ولكن هل كان مصيبا في اختياره لابنه من بعده؟ إن أحوال الناس في عهد الشيخين تختلف عن أحوالهم في عهد معاوية، فكما لاحظنا أن الناس في تلك الفترة كانوا ينشدون

---

(١) تحذير العبقري من محاضرات الخضري للتباني: ١٩٣.

(٢) التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر :١١٩/٤.

أفضلهم، أما في عهد معاوية فكان بعض ولاة الأمر قد مالوا إلى الدنيا، كما أن الشوكة التي تدعم الخلافة انتقلت إلى الشام والعراق بعد أن كانت في عهد الشيخين في الحجاز، لذلك نرى أن عليا رضي الله عنه انتقل إلى الكوفة، كما أن دعوة الحصين بن نمير لعبدالله بن الزبير في الانطلاق معه إلى الشام لتتم البيعة له كانت لنفس الغرض[1].

لمس معاوية كل ذلك إضافة إلى تحسن أحوال يزيد كما أسلفنا، ودفعه هذا إلى أخذ البيعة له، ولا ننسى الفطرة الإنسانية في حب الأب لابنه لانشك في تأثيرها على معاوية رغم ما نقل بأن معاوية خطب فقال: "اللهم إن كنت إنما عهدت ليزيد لما رأيت من فضله فبلغه ما أملت وأعِنْهُ، وإن كنت إنما حملني حب الوالد لولده وإنه ليس لما صنعت به أهلاً فاقبضه قبل أن يبلغ ذلك".

ولعل معاوية رضي الله عنه اجتهد في اختياره ليزيد، وليس من نافلة القول أن نذكر إنه أخطأ في اجتهاده، وبخاصة مع وجود من هو أفضل منه في الأمة، وقد انكر عليه بعض الصحابة ذلك منهم عمرو بن حزم بعد أن حمد الله وأثنى عليه: (لعمري لقد أصبح يزيد بن معاوية واسط الحسب في قريش غني عن المال غني عن كل خير، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله لم يسترع عبداً رعية إلا وهو سائله عنها يوم القيامة كيف صنع فيها؟ وإني أذكرك الله يا معاوية في أمة محمد صلى الله عليه وسلم من تستخلف عليها)[2].

وكان في رد الأحنف بن قيس عندما طلب معاوية رأية فيه اتزان وحسن

---

(١) تحذير العبقري من محاضرات الخضري للتباني:١٩٣

(٢) الإصابة لابن حجر: ٥٢٥/٢، المطالب العالية :٣٢٨/٤.

تخلص[١] فقال: (نخافكم إن صدقنا ونخاف الله إن كذبنا، وأنت يا أمير المؤمنين أعلم بيزيد في ليله ونهاره، وسره وعلانيته، ومدخله ومخرجه، فإن تعلمه لله تعالى وللأمة رضا فلا تشاور فيه، وإن كنت تعلم غير ذلك فلا تزوده الدنيا وأنت صائر إلى الآخرة، وإنما علينا أن نقول سمعنا وأطعنا)، ورفض بعضهم مبايعته مثل الحسين وعبدالله بن الزبير[٢].

د- وفاته :

كانت وفاة معاوية رضي الله عنه في شهر رجب سنة ٦٠هـ[٣].

---

(١) الكامل لابن الأثير : ٢٥١/٣.

(٢) تاريخ الطبري : ٣٠٣/٥.

(٣) البداية والنهاية : ١٤٥/٨.

المبحث الثالث

يزيد بن معاوية (٦٠-٦٤هـ)

أ- نبذة عنه قبل الخلافة:

هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان القرشي الأموي، وأمه ميسون بنت بحدل الكلبية[١] ولد سنة خمس أو ست أو سبع وعشرين في خلافة عثمان رضي الله عنه[٢]، كان يزيد في الجيش الذي غزا القسطنطينية سنة ٤٩هـ، والذي كان فيه من الصحابة أبو أيوب الأنصاري وابن عباس وابن عمر وابن الزبير وغيرهم[٣]، وقد ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أوَّلُ جيشٍ يغزو مدينةَ قيصرَ مغفورٌ لهم"[٤]. وقد أخذ أبوه البيعة له في حياته[٥]، فلما مات معاوية تولى الخلافة في رجب سنة ٦٠هـ[٦].

ب - خلافة يزيد وما ورد فيها:

حرص يزيد على أن تتم البيعة له خاصة من النفر الذين عارضوا ذلك في

---

(١) السير: ٣٥/٤، البداية والنهاية :٢٢٩/٨.
(٢) البداية والنهاية : ٢٢٩/٨، تهذيب التهذيب : ٢٦٠/١١.
(٣) البداية والنهاية : ٤٢/٨.
(٤) صحيح البخاري : في الجهاد باب :٩٣.
(٥) تاريخ الطبري: ٣٠١/٥-٣٠٧.
(٦) المرجع السابق: ٢٢٢/٥-٢٢٣.

حياة أبيه، فأرسل إلى واليه على المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان بذلك، فطلب الوليد هؤلاء النفر، فأما الحسين فاستمهله حتى يبايع الناس فأمهله فخرج إلى مكة، وأما ابن الزبير فلم يجب الوليد وانطلق إلى مكة قبل الحسين وأما ابن عمر فقال: إذا بايع الناس بايعت وكان لايحب الخروج على جماعة المسلمين[1].

أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائين فأما أحدهما فبثثته وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم"[2]. قال ابن حجر: حمل العلماء الوعاء الذي لم يبثه على الأحاديث التي فيها تبيين أسامي أمراء السوء وأحوالهم وزمنهم، وقد كان أبو هريرة يكني عن بعضه ولا يصرح خوفاً على نفسه منهم[3] والذي يؤكد ذلك مارواه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "هلاك أمتي على يد غلمة من قريش".

فقال مروان: لعنة الله عليهم غلمة؟ قال أبو هريرة: لو شئت أن أقول بني فلان وبني فلان لفعلت، وفي رواية: إن شئت أن أسميهم بني فلان وبني فلان[4]. وأورد ابن حجر رواية أخرى فيها إشارة صريحة لخلافة يزيد، وهي دعاء أبي هريرة رضي الله عنه: "أعوذ بالله من رأس الستين وإمارة الصبيان"[5]، وشرح قوله إمارة الصبيان بأن يزيد كان غالبا ينتزع الشيخ من

---

(١) تاريخ الطبري: ٥/٣٣٩-٣٤٢.

(٢) صحيح البخاري : في العلم باب :٤٢.

(٣) فتح الباري: ١/٢١٦.

(٤) صحيح البخاري: في الفتن، باب : ٣.

(٥) فتح الباري : ١/٢١٦.

إمارة البلدان الكبار ويوليها الأصاغر من أقاربه[1]. قلت[2]: لاشك أن قوله رأس الستين يقصد به يزيد، وهذا لا يعني أن بقية النص هو قوله "إمارة الصبيان" تقصده أيضاً، فقد يكون المقصود به غيره ممن جاء بعده، وقد يكون المقصود به يزيد على إنه ولي الخلافة في سن صغيرة بالنسبة لمن قبله من الخلفاء، والله أعلم وأما ما أخرجه أبو يعلى عن عبيدة: "لايزال أمر أمتي قائما حتى يثلمه رجل من بني أمية يقال له يزيد" فهو خبر باطل لا يصح إسناده.

جـ - طاعة أولي الأمر:

قال الله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ (النساء: ٥٩) وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بطاعة ولي الأمر ولو كان حبشياً كما في الصحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة"[3] وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد النهي عن الخروج عليهم، فقال: "خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنوكم، قيل: يارسول الله أفلا ننابذهم بالسيف عند ذلك؟ قال :لا ما أقاموا فيكم الصلاة، لا ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي عليه وال فرآه يأتي شيئاً من معصية، فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يداً من

(١) فتح الباري : ٢٦١/١.

(٢) القائل هو الشيخ عبدالعزيز ولي صاحب المرجع المنقول عنه هذه المباحث.

(٣) صحيح البخاري كتاب الاحكام، باب السمع والطاعة للامام ما لم تكن معصية.

طاعة"[1]. وفي الصحيحين عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إنها تكون بعدي اثرة[2] وأمور تنكرونها قالوا: يا رسول الله كيف تأمر من أدرك منا ذلك؟ قال: تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم"[3].

ولا شك إنه بذل لهم النصح لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "إن الدين النصيحة قالوا: لمن يارسول الله؟ قال :لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"[4]. ومذهب أهل السنة والجماعة أن هؤلاء يشاركون فيما يحتاج إليهم فيه من طاعة الله فنصلي خلفهم، ونجاهد الكفار معهم، ويستعان بهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحدود.

وغلبة الأمر ليزيد وعبدالملك والمنصور فإما يقال يجب منعه من الأمر وهذا رأي مرجوح يؤدي إلى سفك الدماء وإن كان الخارج دينا، وقل من خرج على إمام ذي سلطان إلا كان ما تولد عن فعله من الشر أعظم مما تولد من الخير، كالذين خرجوا على يزيد في المدينة، وكابن الأشعث الذي خرج على عبدالملك في العراق وغيرهم، وغاية هؤلاء إما أن يَغلِبوا وإما أن يُغلبوا ثم يزول ملكهم فلا يكن لهم عاقبة، فأهل الحرة مثلاً هُزِموا وهُزِمَ أصحابهم فلا أقاموا ديناً ولا أبقوا دنيا، والله تعالى لا يأمر بأمر لايحصل به صلاح الدين وصلاح الدنيا وإن كان فاعل ذلك من عباد الله المتقين ومن أهل الجنة

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإمارة، باب خيار الائمة وشرارهم : ١٤٨٢/٣.

(٢) المراد أنكم ستجدون بعدي قوماً يفضلون أنفسهم عليكم في الفيئ ونحوه (جامع الأصول لابن الأثير:٦٥/٤).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب قوله عليه السلام (سترون بعدي أموراً تنكرونها).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين نصيحة.

وكان أفاضل المسلمين ينهون عن الخروج والقتال في الفتنة.

ولهذا استقر أمر أهل السنة على ترك القتال في الفتنة للأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم[1] وساروا يذكرون هذا في عقائدهم ويأمرون بالصبر على جور الأئمة وترك قتالهم[2].

د- موقعة كربلاء:

أرسل أهل الكوفة إلى الحسين في مكة يحثونه على القدوم إليهم لمبايعته ومناصرته، فأرسل الحسين ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب إليها يستعلم الخبر، فخرج حتى قدمها، ونزل على رجل من أهلها يقال له ابن عوسجة وبايعه من أهل الكوفة اثنا عشر ألفا، وعزل يزيد النعمان عن ولاية الكوفة وولاها عبيدالله بن زياد.

أقبل عبيدالله مع وجوه أهل البصرة، ودخل الكوفة متلثما فمر على مجالس أهل الكوفة وكان لايمر على مجلس فيسلم عليه إلا رد عليه أهل المجلس قائلين: وعليك السلام يابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ظانين بأنه الحسين، حتى انتهى إلى قصر الإمارة، فأرسل مولاه ليأتيه بخبر مسلم بن عقيل، فتحول مسلم عندما علم بقدوم ابن زياد إلى دار هانئ بن عروة المرادي وكان قد كتب إلى الحسين يعلمه بمبايعة اثنا عشر ألفا ويأمره بالقدوم.

---

(١) انظر : جامع الأصول لابن الأثير: ٣/١٠.

(٢)راجع شرح العقيدة الطحاوية : ٣٥٧-٣٧٠.

واستطاع مولى ابن زياد أن يعرف منزل مسلم ويعلم مولاه بذلك، فطلب عبيدالله هانئ وأمره بأن يأتيه بمسلم فرفض فحبسه عنده، فلما علم مسلم بالخبر جمع آلافاً من أهل الكوفة وحاصر قصر عبيدالله، فجمع عبيدالله رؤساء العشائر في قصره وأمرهم أن يصرفوا عشائرهم الذين مع مسلم عنه، فجعل كلاً منهم يكلم عشيرته حتى انفضوا عن مسلم ولم يبق منهم أحد، ولم تمض تلك الليلة حتى قبض على مسلم وقتل وكان هانئ قد قتل أيضاً(١).

وخرج الحسين بأهله من مكة منطلقاً إلى الكوفة، ولما اقترب من الكوفة علم بمقتل مسلم فَهَمَّ بالعودة إلا أن أخوة مسلم وبنوه طلبوا الثأر، فسار حتى لاقتهم أوائل خيل عبيدالله، فعدل الحسين بمن معه إلى كربلاء، وأرسل عبيدالله إلى عمر بن سعد وجيشه لملاقاة الحسين ومن معه وكان قد ولاه الري، فطلب عمر بن سعد إعفاءه فأبى، فتوجه إلى الحسين فخيره الحسين بين ثلاث: أن يسمح له بالعودة إلى المدينة أو تركه يذهب إلى يزيد فيضع يده في يده، أو أن يلحق بأحد الثغور، فقبل عمر بن سعد ذلك منه، وكتب إلى عبيدالله بذلك، ولكن عبيدالله أبى إلا أن يضع الحسين يده في يده وذلك بتحريض من شمر بن ذي الجوش، فرفض الحسين النزول على حكم ابن زياد، والتحم الفريقان في قتال غير متكافئ، وانتهى بمقتل الحسين رضي الله عنه في العاشر من المحرم ٦١هـ، وحمل رأسه إلى عبيدالله(٢).

إن مقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما أخبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم أخرج الإمام أحمد في مسنده عن عبدالله بن يحيى عن أبيه: (إنه سار مع علي رضي الله عنه وكان صاحب مطهرته فلما حازى نينوى وهو منطلق إلى

---

(١) تاريخ الطبري " ٥/٣٤٧-٣٥١.

(٢) المرجع السابق: ٥/٣٨٢-٤٧٠.

صفين فنادى علي رضي الله عنه: اصبر أبا عبدالله اصبر أبا عبدالله بشط الفرات، قلت: وما ذاك؟ قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم وعيناه تفيضان. قلت: يانبي الله أغضبك أحد ما شأن عينيك تفيضان؟ قال: بل قام من عندي جبريل قبل، فحدثني أن الحسين يقتل بشط الفرات، قال فقال : هل لك إلى أن أشمك من تربته، قال: قلت: نعم فمد يده فقبض من تراب فأعطانيها فلم أملك عيني أن فاضتا[1].

وقد كره كثير من الصحابة وغيرهم خروج الحسين، بل إن البعض أشار عليه بعدم الخروج، ومنهم عبدالله بن عمر وابن عباس وأبو سعيد الخدري رضي الله عنهم، وقال سعيد بن المسيب رحمه الله لو لم يخرج لكان خيرا له[2]، ولكنه قدر الله الذي أخبر به الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم.

وأما يزيد فقد ورد إنه بكى على الحسين لما علم بمقتله، وقال لمّا وصل الخبر إليه: لقد كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين، لعن الله ابن زياد، أما والله لو إني صاحبه لعفوت، فرحم الله الحسين[3]. وقد أكرم أهله وقرب ابنه علي بن الحسين، ولكن يؤخذ عليه عدم معاقبته لعبيدالله، وهذا لايعني إنه شريكه في قتل الحسين، وذلك لأن قتل الحسين ذنب وترك القود من عبيدالله ذنب، ولكن ليس هذا الذنب مثل ذلك[4].

بل إن الذين أخرجوه من مكة برسائلهم وكتبهم ثم تركوا نصرته عندما قدم عليهم وكانوا في جيش عمر بن سعد هم الذين يؤخذون بقتله، كما ثبت في

---

(١) المسند : ٨٥/١، م٦٤٨/٢، وقال محققه :إسناده صحيح.

(٢) سير أعلام النبلاء:٢٩٦/٣.

(٣) تاريخ الطبري : ٢٤٩/٢.

(٤) منهاج السنة: ٢٤٩/٢.

الصحيح أن رجلا سأل عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن دم البعوض، فقال ممن أنت؟ قال: من أهل العراق، قال: انظروا إلى هذا يسألني عن دم البعوض، وقد قتلوا ابن النبي صلى الله عليه وسلم سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "هما ريحانتاي من الدنيا"[1]. ولاشك أن قتل الحسين من أعظم الذنوب وفاعله والراضي به مستحق العذاب، لكن ليس قتله بأعظم من قتل أبيه، ولا قتل زوج أخته عمر، ولا قتل زوج خالته عثمان[2].

يقول ابن تيمية: (إنه لم يكن في الخروج مصلحة لا في دين ولا في دنيا، بل تمكن أولئك الظلمة الطغاة من سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتلوه مظلوماً شهيداً، وإن في خروجه وقتله من الفساد ما لم يحصل لو قعد في بلده، فإن ما قصده من تحصيل الخير ودفع الشر لم يحصل منه شيء بل زاد الشر بخروجه وقتله ونقص الخير بذلك، وصار سبباً لشر عظيم، وإن قتل الحسين مما أوجب الفتن كما كان قتل عثمان كذلك) [3].

وقال أيضاً: (وصار الناس في قتل الحسين رضي الله عنه ثلاثة أصناف: طرف يقول إنه قتل بحق لإنه أراد أن يشق عصا المسلمين، وطرف يقول إنه هو الإمام الواجب طاعته أما الطرف الوسط فهم أهل السنة الذين يقولون إنه قتل مظلوماً شهيداً ولم يكن متولياً أمر الأمة) [4].

أما رأس الحسين وإنه حمل إلى يزيد فصار ينكثه بقضيب في يده فغير صحيح والرواية الثابتة في ذلك أن رأس الحسين حمل إلى عبيدالله بن زياد

---

(١) صحيح البخاري كتاب الأدب، باب :١٨.

(٢) المنتقى :٢٨٨.

(٣) منهاج السنة : ٢٤١/٢.

(٤) المصدر السابق: ٢٤٧/٢، وانظر رسالة سؤال في يزيد بن معاوية (الفتاوى: ٤٨١/٤).

فجعل في طست فجعل يبكي وقال في حسنه شيئاً، فقال أنس كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مخضوبا بالوسمة[1].

س- موقعة الحرة:

خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية وبايعوا ابنَ الزبير الذي دعا لنفسه بعد مقتل الحسين في مكة، وأعلن أهل المدينة ذلك سنة ٦٣هـ، وأخرجوا عامل يزيدَ منها وهو عثمان بن محمد بن أبي سفيان، وأجلوا بني أمية منها، وولوا أمرهم عبدالله بن مطيع على قريش وعبدالله بن حنظلة على الأنصار، واعتزلَ الناسَ عليٌّ بن الحسين وعبدُالله بن عمر ولم يخلعا يزيداً، كما امتنع محمد بن الحنفية عن خلعه، ولما علم يزيدُ بذلك أرسل مسلم بن عقبة المري على رأس جيش كبير ليعيد المدينة إلى طاعته، وطلب منه أن يدعوهم لذلك ثلاثة أيام وإذا رفضوا العودة إلى الطاعة يقاتلهم، وسار مسلم إلى المدينة والتقى ببني أمية الذين أخرجوا منها، وكان أهل المدينة قد أخذوا العهد منهم أن لايعينوا أحدا عليهم، فطلب مسلم منهم عند لقائه بهم أخبار المدينة فسكتوا ولم يجيبوه، وأشار عليه عبدالملك بن مروان أن يأتي المدينة من شرقها وامتثل مسلم لهذه المشورة وجاء المدينة من حرة واقم، ودعا أهلها ثلاثاً، فلما كان اليوم الرابع خيرهم بين الطاعة وبين القتال، فاختاروا الأخرى، واقتتلوا قتالا شديدا، ثم إنهزم أهل المدينة إليها وقتل من الفريقين كثير من الناس[2].

لقد أنكر بعض الصحابة والتابعين خروج أهل المدينة على يزيد، ورفض

---

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب: ٢٢، والوسمة : نبت يُختَضَبُ به يميل إلى السواد (فتح الباري :٧/٢٤٧).

(٢) البداية والنهاية :٨/٢٢٠-٢٢٣.

بعضهم خلعه، فهذا عبدالله ابن عمر رضي الله عنهما جمع ولده وحشمه ويقول: إني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة"، وإنا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله، وإني لا أعلم غدراً أعظم من أن يُبايعَ رجلٌ على بيعِ اللهِ ورسوله ثم يُذْهَبُ يُنْصَبُ له القتالُ، وإني لا أعلم أحداً منكم خلعه ولا بايع في هذا الأمر إلا كانت الفيصل بيني وبينه[1].

ولم يكتفي ابن عمر رضي الله عنهما بذلك بل جاء إلى عبدالله بن مطيع محذراً وحدثه بحديث النبي صلى الله عليه وسلم: "من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية"[2]. وكان قد ذهب وفد من أهل المدينة إلى يزيد قبل موقعة الحرة فرحب بهم وأكرمهم، ولما رجعوا مشى عبدالله بن مطيع وأصحابه إلى محمد ابن الحنفية وطلبوا منه خلع يزيد فأبى، فقال ابن مطيع إن ابن يزيد يشرب الخمر ويترك الصلاة ويتعدى حدود الكتاب، فقال: ما رأيت منه ما تذكرون، وقد حضرته وأقمت عنده فرأيته مواظباً على الصلاة محباً للخير يسأل عن الفقه ملازماً للسنة. قالوا: فإن ذلك كان منه تصنعاً لك، قال: وما الذي خاف مني أو رجا حتى يُظهِر إليَّ الخشوع؟ أفأطلعكم على ما تذكرون من شرب الخمر فلئن كان أطلعكم على ذلك إنكم لشركاؤه، وإن لم يطلعكم فما يحل لكم أن تشهدوا بما لم تعلموا، قالوا: إنه عندنا الحق وإن لم يكن رأيناه فقال لهم: أبى الله ذلك على أهل الشهادة، فقال: ﴿إلا من شهد بالحق وهم يعلمون﴾ (الزخرف:٨٦) ولست من أمركم في شيء قالوا: فلعلك تكره أن يتولى الأمر غيرك فنحن نوليك أمرنا، قال: ما أستحل القتال على ما تريدونني عليه

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الفتن، باب :٢١.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب :١٣.

تابعاً ولا متبوعاً، قالوا: فقد قاتلت مع أبيك؟ قال جيئوني بمثل أبي أقاتل على مثل ما قاتل عليه. فقالوا فمر ابنك أبا القاسم بالقتال معنا، قال لو أمرته قاتلت، قالوا : فقم معنا مقاماً تحض الناس فيه على القتال. قال سبحان الله آمر الناس بما لا أفعله ولا أرضاه، إذا ما نصحتُ في الله في عباده، قالوا: إذا نكرهك قال إذن آمر الناس بتقوى الله ولا يرضون المخلوق بسخط الخالق وخرج إلى مكة.

ش- مسألة استباحة المدينة ثلاثة ايام:

لقد ذكرت المصادر استباحة المدينة ثلاثة أيام حسب وصية يزيد لمسلم، وترتيب تلك المصادر حسب الأهمية:

أولاً : تاريخ الطبري (ت-٣١٠):

والطبري في نقله للروايات يُحَمِّلُ القارئ مسؤولية البحث فيها، والرواية التي ذكرت ذلك هي رواية أبي مخنف لوط بن يحيى، وهذا نص عبارته وهو ينقل كلام يزيد لمسلم في ذلك : (فإذا أظهرت عليهم فأبحها ثلاثاً، فما فيها من مال أو رِقَّة - الدرهم- أو سلاح أو طعام فهو للجند، فإذا مضت الثلاث فاكفف عن الناس). ثم عندما نقل الحدث قال :(وأباح مسلم المدينة يقتلون الناس ويأخذون الأموال، فأفزع ذلك من كان فيها من الصحابة)[1]. فهو اضافة إلى إنه لم يذكر أكثر مما ذكرنا في ذلك شخصية افتقدت ثقة أصحاب كتب الرجال، حيث قال عنه ابن عدي شيعي محترف صاحب أخبارهم، وقال الذهبي

---

(١) تاريخ الطبري :٨/٢٣٦.

أخباري تالف لا يوثق به، فهو متهم بالتشيع مع ضعفه، وهنا يجب علينا الحذر من الروايات التي يسوقها عن الأمويين وبخاصة يزيد المكروه من قبل عامة الشيعة، اما الروايات الأخرى في الطبري فلم تذكر مسألة اباحة المدينة.

الثاني : الكامل لابن الأثير (ت- ٦٣٠) :

وابن الأثير منهجه كما في مقدمة كتابه نقل أشمل الروايات وأتمها من تاريخ الطبري في فترة القرون الثلاثة الأولى وبالتالي هو نقل رواية أبي مخنف[١].

الثالث : تاريخ اليعقوبي (ت- ٢٨٤) :

وهو معروف بميوله الشيعية وتفضيله لروايات الشيعة في كتابه.

الرابع : الإمامة والسياسة والمنسوب لابن قتيبة (ت- ٢٧٦) :

ويكفي هذا الكتاب أنه لاتصح نسبته لابن قتيبة وهو مشحون بالجهل والركاكة والكذب والتزوير، وهو الذي أسهب في وصف وقعة الحرة إسهاباً كبيراً ومروعاً[٢].

الخامس : الأغاني لأبي فرج الاصفهاني (ت- ٣٥٦) :

وكتاب الأغاني هو كتاب سمر أكثر من كونه كتاب تاريخ، وقد تحامل فيه على من هو اجل من يزيد من الصحابة رضوان الله عليه مثل خالد بن الوليد،

---

(١) الكامل في التاريخ: ٥/١.

(٢) العواصم من القواصم: ١٩١.

ولاننسى ميوله الشيعية إضافة إلى ميوله الفارسية[1].

السادس: الفخري في الآداب السلطانية لابن الطقطقي (ت-٧٠٩):

وهو بالإضافة إلى تأخره عن الأحداث فقد كان شيعياً حيث ان سمات التشيع واضحة في كتابه ثم تأتي المصادر الأخرى التي تنقل عن هذه المصادر[2].

و- محاصرة ابن الزبير:

بعد أن انتهى مسرف بن عقبة من أهل المدينة اتجه إلى مكة للقضاء على ثورة ابن الزبير الذي رفض البيعة ليزيد وخرج عليه بعد استشهاد الحسين رضي الله عنه، ولكن المنية عاجلت مسرف بن عقبة قبل أن يصلها وخلفه الحصين بن نمير السكوني، فانتهى إلى مكة لأربعة بقين من المحرم سنة ٦٤هـ ونزل بظاهرها وحاصرها حتى ربيع الأول حيث رميت الكعبة بالمنجنيق، واشتعلت فيها النار، وبقي الحصار مضروباً على مكة حتى جاء الخبر في ربيع الأول بوفاة يزيد بن معاوية، وقد وصل الخبر لابن الزبير قبل أهل جيش الشام فلم يصدقوه حين أبلغهم بذلك، فلما تيقنوا من ذلك اجتمع الحصين بابن الزبير وحثه على الانطلاق معه إلى الشام لتتم البيعة له لكنه ابى فتركه الحصين وانطلق بجيشه عائداً إلى الشام.

---

(١) انظر السيف اليماني في نحر الاصفهاني لوليد الأعظمي.

(٢) راجع إباحة المدينة وحريق الكعبة بين المصادر القديمة والحديثة للعريان.

خ- وفاة يزيد وأقوال العلماء فيه:

كانت وفاة يزيد بن معاوية في الرابع عشر من ربيع الأول من سنة ٦٤هـ[١]، وقد مر معنا قول محمد بن الحنفيه فيه، وقال نوفل بن أبي عقرب : كنت عند عمر بن عبدالعزيز فذكر رجل يزيد بن معاوية فقال : قال أمير المؤمنين يزيد، فقال عمر تقول أمير المؤمنين يزيد وأمر به فضرب عشرين سوطاً[٢].

وقال الذهبي : مقدوح في عدالته، وليس بأهل أن يروى عنه، وقال أحمد بن حنبل لا ينبغي أن يروى عنه[٣]. وقال أيضاً : يزيد ممن لا نَسُبُّهُ ولا نحبُّه، وله نظراء من خلفاء الدولتين، وكذلك ملوك النواحي، بل فيهم من هو شر منه، وإنما أعظم الخطب لكونه ولي بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسبع وأربعين سنة والعهد قريب، والصحابة موجودون كابن عمر الذي كان أولى بالأمر منه ومن أبيه وجده[٤].

وقال ابن تيمية : (افترق الناس في يزيد ابن معاوية ثلاث فرق، فالفريق الأول يقول إنه كان كافراً منافقاً، والفريق الثاني يقول: إنه كان رجلاً صالحاً وإمام عدل، وادعى بعضهم إنه كان صحابياً، بل إن فريقاً منهم رفعه إلى مقام النبوة، اما الفريق الوسط فيقولون إنه كان ملكا من ملوك المسلمين له حسنات وسيئات ولم يكن صحابياً ولم يكن كافرا، وهذا قول أهل العقل والعلم والسنة والجماعة)[٥].

---

(١) تاريخ الطبري: ٥/٤٩٩.
(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر: ١/٣٦١.
(٣) ميزان الاعتدال للذهبي : ٤/٤٤٠.
(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي : ٤/٣٥.
(٥) الفتاوى لابن تيمية : ٤/٤٨١.

المبحث الرابع

الوليد بن عبدالملك

لقد ذكرت سيرة مروان بن الحكم، وعبدالملك بن مروان في الكتاب الأول.

أ- نبذة عنه قبل الخلافة (٨٦-٩٦هـ)

هو أبو العباس الوليد بن عبدالملك بن مروان القرشي الأموي، ولد سنة خمسين من الهجرة وكان مترفا، وكان يلحن وقرأ النحو شهورا فلم ينفعه، وكان يكثر من قراءة القرآن[1].

ب- خلافته:

كان مروان بن الحكم قد أخذ البيعة لابنه عبدالملك ثم من بعده لأخيه عبدالعزيز، وحاول عبدالملك في خلافته خلع أخيه عبدالعزيز والبيعة لابنه الوليد، ولكنه صرف النظر عن ذلك، وقدر الله سبحانه وتعالى أن يتوفى عبدالعزيز سنة ٨٥هـ وبذلك مهدت البيعة للوليد ثم سليمان، فلما توفي عبدالملك تمت البيعة للوليد في شهر شوال سنة ٨٦هـ[2].

جـ- وفاته وبعض صفاته وأقواله:

مات الوليد بن عبدالملك في جمادى الآخرة سنة ست وتسعين وكانت مدة

---

(١) سير أعلام النبلاء:٤/٣٤٧-٣٤٨.

(٢) البداية والنهاية :٩/٦٣-٦٤.

خلافته عشر سنين سوى أربعة أشهر[1]. قال الذهبي: كان فيه عسف وجبروت وقيام بأمر الخلافة وقد فرض للفقهاء والأيتام والزمنى والضعفاء وضبط الأمور، فالله يسامحه[2]. وذكر ابن كثير إنه كان يبر حملة القرآن ويكرمهم ويقضي عنهم ديونهم[3].

ويؤكد هذا القول ما أورده الطبري: أن رجلاً من بني مخزوم أتاه يسأله في دينه فقال الوليد: نعم إن كنت مستحقاً لذلك قال: يا أمير المؤمنين، وكيف لا أكون مستحقا لذلك مع قرابتي! قال: أقرأت القرآن؟ قال: لا، قال: أدن مني فدنا منه، فنزع عمامته بقضيب كان في يده، وقرعه قرعات بالقضيب، وقال لرجل ضم هذا اليك، فلا يفارقك حتى يقرأ القرآن، فقام إليه عثمان بن يزيد بن خالد، فقال: يا أمير المؤمنين إن علي ديناً، فقال: أقرأت القرآن؟ قال: نعم، فاستقرأه عشر آيات من الأنفال وعشر آيات من براءة، فقرأ، فقال: نعم، نقضي عنكم ونصل أرحامكم على هذا. وكان الوليد يقول لولا أن الله ذكر قوم لوط في القرآن ما ظننت ذَكراً يفعل هذا بذكرٍ[4].

قال ابن كثير: فنفي عن نفسه هذه الخصلة القبيحة الشنيعة والفاحشة المذمومة التي عذب الله أهلها بأنواع العقوبات وأحل بهم أنواعاً من المثلات، التي لم يُعاقبْ بها أحداً من الأمم السالفة وهي فاحشة اللواط التي قد ابتلى بها غالب الملوك والأمراء والتجار والعوام والكتّاب... إلا من عصم الله منهم[5].

وفي خلافته فتحت السند والأندلس وعادت سيرة الفتوحات التي كانت في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

---

(١) سير أعلام النبلاء : ٣٤٨/٤.

(٢) البداية والنهاية :١٦٨/٩.

(٣) تاريخ الطبري :٤٩٦/٦.

(٤) المصدر السابق نفسه.

(٥) البداية والنهاية : ١٦٩/٩.

المبحث الخامس

سليمان بن عبدالملك

أ- نسبه:

هو ابن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية الخليفة أبو أيوب القرشي الأموي بويع له بعد أخيه الوليد سنة ستة وتسعين.

كان ديِّناً فصيحاً عادلاً محباً للغزو يقال: نشأ بالبادية، وأمه وأم الوليد هي ولّادة بنت العباس بن حَزَن العبسية.

جهز جيوشاً مع أخيه مسلمة براً وبحراً لمنازلة القسطنطينية، فحاصرها مدة حتى صالحوا على بناء مسجدها، وكان يستعين في أمر الرعية بعمر بن عبدالعزيز، وعزل عمال الحجاج، وكتب:

(إن الصلاة كانت قد أميتت، فأحيوها بوقتها، وهم بالإقامة ببيت المقدس، ثم نزل قنسرين[1] للرباط، وحج في خلافته).

ب- بكاؤه في حجته:

رأى بالموسم الخلق، فقال لعمر بن عبدالعزيز، أما ترى هذا الخلق الذي لا يحصيهم إلا الله، ولا يسع رزقهم غيره!؟ قال: يا أمير المؤمنين هؤلاء اليوم رعيتك وهم غداً خصماؤك فبكى وقال: بالله أستعين[2].

---

(١) بلدة بالشام بين حلب وأنطاكية، فتحها المسلمون سنة ١٧هـ ـ بقيادة أبي عبيدة بن الجراح.

(٢) سير أعلام النبلاء ١١٢/٥.

جـ- توليته لعمر بن عبدالعزيز:

ومن حسنات سليمان بن عبدالملك قبوله لنصيحة الفقيه العالم رجاء بن حيوة الكندي الذي اقترح على سليمان في مرض موته أن يولي عمر بن عبدالعزيز، وكانت وصية لم يكن للشيطان فيها نصيب.

قال ابن سيرين: يرحم الله سليمان افتتح خلافته بإحياء الصلاة، واختتمها باستخلافه عمر بن عبدالعزيز، وكانت سنة وفاته سنة تسع وتسعين، وصلى عليه عمر بن عبدالعزيز، وكان منقوشٌ في خاتمه: أُوْمِنُ بالله مُخْلصاً[1].

(١) سيرة أعلام النبلاء : ٥/١١١-١١٢.

المبحث السادس

عمر بن عبدالعزيز
(الخليفة الزاهد: ٩٩-١٠١هـ)

أ- نبذة عنه قبل الخلافة:

هو عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم القرشي الأموي، وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، وجدته من بني هلال، وقصتها مشهورة في امتناعها عن خلط الماء باللبن خوفاً من الله عزوجل واستجابة لنداء عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ولد عمر بن عبدالعزيز سنة ٦١هـ وقيل ٦٣هـ، وعاش في المدينة يتزود بالعلم من علمائها، فعاش في نعمة أعمامه وحنان أخواله، فجمع بين خصال العلم والدين إلى جانب الترف والثراء، ثم ارتحل إلى مصر بجانب أبيه الذي كان والياً عليها، ولما بلغ سن الشباب تاقت نفس عمه عبدالملك إلى مصاهرته فزوجه ابنته فاطمة.

ولاه عبدالملك على المدينة فجمع فقهاءها وأخبرهم إنه لن يقطع بأمر إلا بعد مشورتهم وطلب العون منهم فكانوا خير عون له. ثم عزله الوليد عن ولاية المدينة فانطلق إلى الشام واستقر في دمشق يشير على الوليد وينصحه، ولما تولى سليمان الخلافة قرب إليه عمر بن عبدالعزيز وكان ألين عريكة وأسمع للنصح من الوليد فكان يأخذ في كثير من الأمور بمشورة عمر ويسرع في أرضائه إذا أغضبه[1].

---

(١) سير أعلام النبلاء:٥/١١٤، البداية والنهاية : ٩/٢٠٠.

ب- خلافته وأسباب الإشادة بها:

بويع له بالخلافة بعهد من سليمان بن عبدالملك في شهر صفر من سنة ٩٩هـ[١] وعُدَّ من الخلفاء الراشدين[٢] رغم قصر خلافة عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه، إلا أننا نلاحظ الإشادة بها في المصادر القديمة والمراجع الحديثة ومن أصحاب النحل المختلفة إلا الحاقدين على الإسلام وأهله، فما سبب ذلك، مع إنه يمر بنا في دراسة التاريخ الإسلامي عدة خلفاء كان لهم أعمال جليلة، ومع ذلك لم يكن لهم ذكر وإشادة من مختلف الناس مثل عمر بن عبدالعزيز.

يتلخص ذلك في الأسباب التالية:

١- الانقلاب الشخصي:

عاش عمر بن عبدالعزيز قبل توليه الخلافة ثرياً مترفاً، تلمس ذلك في ثيابه حيث تفوح منها رائحة عطرة عبر الطرقات، ومشيته التي اشتهرت باسمه، والتي كان الجواري يتعلمنها من حسنها وتبختره فيها، كما عرف عنه الظرف والأناقة في الملبس والمظهر، وكانت الحلة تشتري له بألف دينار فيستخشنها، وكان يرى العنبر في لحيته كالملح، كان أحسن الناس لباساً وأطيبهم ريحاً، وقد بلغت غلته في السنة أربعين ألف دينار، ولكنه إثر توليه الخلافة ينقلب انقلابا مذهلا، فبعد أن يُلقي خطبته الأولى يجد مراكب الخلفاء الفخمة قد أُعِدَّتْ له فيشيح بوجهه عنها ويطلب بغلته ليركبها، ويأمر بتلك المراكب والفرش فتباع ويضم ثمنها إلى بيت المال، لقد تغيرت حاله ساعة تحمله للمسؤولية فكإنه لا يتصل بماضيه، وذكرياته وآبائه وأهله بصلة، ولا يعرف غير جده عمر بن الخطاب رضي الله عنه أسوة له.

---

(١) البداية والنهاية : ٩/١٩٢.

(٢) سير أعلام النبلاء :٥/١١٤.

أصبح لايملك إلا قميصاً واحداً لايتعدى ثمنه بضعة دراهم يغسله يوم الجمعة ويتأخر لذلك عن المسلمين المنتظرين لسماع خطبته، ويخرج إليهم وقميصه لم يجف حرصاً على أداء الصلاة في وقتها، وهو الذي أمر المؤمنين أن يخبروه إذا حان وقتها حتى لا تشغله أمور الخلافة عن وقتها، وقد كان قبل توليه الخلافة يتأخر عنها أحيانا لأن مرجلته لم تنته من تمشيط شعره، وأصبح يأكل من الطعام الخشن الذي يتكون من الخبز والزيت ويتوق للحج ولكنه لا يجد المال الكافي لأدائه ويتورع عن شم مسك الفيء، ويقول عن مشيته العمرية، والله ما رأيتها كانت إلا جنوناً باختصار شديد نقول: تجرد من الدنيا بعد أن أقبلت صاغرة إليه[1]. لذلك لانعجب أبدا إذا رأينا في خلافته انقلاباً كبيراً في شؤون الدولة وعودة إلى سيرة الخلفاء الراشدين، فشخص استطاع أن يغير أحوال نفسه كل هذا التغيير سهل عليه أن يغير كل ما حواليه ليوافق المنهج الذي التزم به.

٢- عمله على إحقاق الحق ونشر العدل:

قال تعالى: ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحقّ مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومُهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تَتّبِعْ أهواءَهم عمّا جاءك من الحقّ لكُلٍّ جعلنا منكم شِرْعةً ومنهاجاً﴾ (المائدة: ٤٨) وقال عزوجل: ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولايَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قوم على ألاّ تعدلوا اعدلُوا هو أقربُ للتقوى واتقوا الله إنَّ الله خبيرٌ بما تعملون﴾ (المائدة: ٨) وقال سبحانه وتعالى: ﴿ إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في

---

(١) عماد الدين خليل: ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبدالعزيز :٢٥-٤٠، استفدت منه في سيرة عمر بن عبدالعزيز.

الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم﴾ (الشورى:٤٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "سبعة يظلهم الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله، الإمام العادل" الحديث[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذا إلى اليمن فقال: "اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب" الحديث[2].

فالآيات والأحاديث السابقة أشارت إلى أهمية الحق والعدل، وحذرت أشد التحذير من الظلم، والمتتبع للتاريخ يجد أن كل دولة لم تقم على هذين المبدئين لايكون لها ذكر حسن مهما قدمت من إنجازات، كما أن الدولة إذا انتشر فيها الظلم بشكل عام لا تعيش طويلاً. كان عمر بن عبدالعزيز حريصاً على هذين المبدئين في كل أعماله، فهو يرد المظالم إلى أهلها، فيبدأ بنفسه وأهل بيته فيقطع السجلات التي تخوله وأهل بيته امتلاك أرض جاءتهم بغير وجه حق، ويفتح بابه لكل طارق في مظلمة بل إنه يطلب من كل من يصاحبه ويجالسه أن يوصل إليه حاجة من لاتصل إليه حاجته ويرشده إلى العدل عوناً له على الحق ويؤدي الأمانة إليه، وإلى الناس، ولا يغتب أحد عنده وإلا فلا يصاحبه ويعزل الولاة الظلمة وكل من غمس يده في الدماء بغير حق، هذا وغيره من الأعمال كان لإحقاق الحق ونشر العدل بين الناس، ومن هنا كانت نظرة الناس إلى خلافته بعين الإكبار والإجلال رغم قصرها. ولعل هناك أسباب أخرى ولكن هذين السببين في نظري من أهمها.

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الإذان، باب :٣٩.

(٢) المصدر السابق: كتاب المظالم، باب :٩.

جـ- أخلاقه:

تجمعت في عمر بن عبدالعزيز صفات قل أن تجتمع في شخص أوتي السلطان، ونورد هنا بعض المواقف التي تمثل أخلاق عمر رحمه الله، حيث إن هذه المواقف تمثل أهمية خاصة لكل من أصبح راعياً لمجموعة من الناس.

- كان عمر يعجبه أن يتأدم بالعسل، فطلب من أهله يوما عسلا ولم يكن عندهم شيء منه، ثم جاؤوا به فأكل منه فأعجبه، ثم سأل امرأته من أين لك هذا؟ فأخبرته امرأته إنها بعثت مولاها بدينارين على دواب البريد فجاء به، فطلب إحضار إناء العسل فأخذه وباعه ورد على أهله رأس المال وألقي بقيته في بيت مال المسلمين، وقال :نصبت دواب المسلمين في شهوة عمر[(١)].

- اشتهى يوماً تفاحاً فقام رجل من أهل بيته فأهدى له منه، فلما جاء به الرسول قال: ما أطيب ريحه وأحسنه، ارفعه يا غلام فاقرئ فلاناً مني السلام وقل له، إن هديتك قد وقعت منا بموقع بحيث تحب، فقال له أحدهم: يا أمير المؤمنين ابن عمك ورجل من أهل بيتك وقد بلغك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة؟ قال ويحك الهدية للنبي صلى الله عليه وسلم هدية وهي اليوم لنا رشوة[(٢)].

- قال رجاء بن حيوة سمرت مع عمر ذات ليلة فغشي السراج فقال لي: ما ترى السراج قد غشي؟ قلت: بلى وإلى جانبه ضيف راقد، قلت: أفلا أنبهه؟ قال: لا دعه يرقد . قلت أفلا أقوم أنا؟ قال: لا ليس من مروءة الرجل استخدام ضيفه، وقام إلى بطاقة زيت فأخذها فأصلح السراج ثم ردها في موضعها ثم رجع، وقال: قمت وأنا عمر بن عبدالعزيز ورجعت وأنا عمر ابن

---

(١) سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز، لابن الجوزي :٢١٠.

(٢) المرجع السابق: ٢١١.

عبدالعزيز[1].

- خرج عمر في ليلة ومعه حرسه فدخل المسجد فمر في الظلمة برجل نائم فعثر به، فرفع الرجل رأسه إليه وقال: أمجنون أنت؟ قال: لا، فَهَمَّ به الحرسُ، فقال عمر: مه إنما سألني أمجنون أنت؟ فقلت له لا[2].

- وكان عمر بن عبدالعزيز رحمه الله زاهداً ورعاً حليماً متواضعاً وكان كثير البكاء خوفاً من الله، وكان يقوم الليل ولا يمر عليه يوم إلا نظر في المصحف، فرضي الله عنه وأرضاه.

د- وفاته وأقوال العلماء فيه:

كانت وفاة عمر بن عبدالعزيز رحمه الله بخناصرة من دير سمعان بين حماة وحلب، لخمس بقين من رجب من سنة ١٠١هـ وقد كانت خلافته سنتين وخمسة أشهر، وقيل في سبب وفاته السل، وقيل إن أمراء بني أمية دسوا له السم، والله أعلم أي ذلك كان[3].

قال الذهبي: كان هذا الرجل حسن الخَلْقِ والخُلُقِ، كاملَ العقل، حسن السمت جيد السياسة، حريصاً على العدل بكل ممكن، وافر العلم، فقيه النفس ظاهر الذكاء والفهم، أواهاً منيباً، قانتاً لله حنيفاً، زاهداً مع الخلافة، ناطقاً بالحق مع قلة المعين، وكثرة الأمراء الظلمة الذين ملوه وكرهوا محاققته لهم، ونقصه أعطياتهم، وأخذه كثيراً مما في أيديهم مما أخذوه بغير حق، فما زالوا به حتى سقوه السم، فحصلت له الشهادة والسعادة، وعد عند أهل العلم من الخلفاء

---

(١) سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز،٢٢٦.

(٢) المرجع السابق:٢٣٢.

(٣) البداية والنهاية: ٢١٨،٢٠٠/٩.

الراشدين، والعلماء العاملين[1].

س- دور عمر بن عبدالعزيز في تعليم قبائل الشمال الإفريقي:

ومن حسنات عمر بن عبدالعزيز العظيمة، إرساله للفقهاء العشرة إلى الشمال الإفريقي لتعليم أهلها دينهم، وإليك تراجم التابعين العشرة لتترحم عليهم وتدعوا لهم بالمغفرة والرحمة والرضوان على ما قدموه لأجدادنا من فقه وعلم وتزكية. وقد بدأت بركات عهد عمر بن عبدالعزيز على الشمال الإفريقي بتعيين أميرا صالحا عليها هو:

١- إسماعيل بن عبيدالله بن أبي المهاجر:

ولاه عمر بن عبدالعزيز على إفريقية في المحرم سنة ٩٩-١٠٠هـ، فكان خير أمير، قال ابن خلدون: وأسلم جميع البربر في أيامه وأرسل معه عشرة من فقهاء التابعين وعلمائهم يفقهون الناس في أمور الدين، ويبينون لهم الحلال والحرام[2]. وكان هذا الأمير في غاية الزهد والتواضع حريصاً على نشر العلم وسار في أهل البلاد بسيرة العدل، وكان شديد الحفظ لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم فقد روى عنه ابن عساكر إنه قال: (ينبغي لنا أن نحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نحفظ القرآن).

أخرج له البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وأحمد وغيرهم. ومكث في القيروان معلما للناس، ناشراً للسُنَّةِ، لمدة ثلاث وثلاثين سنة حيث توفي بها سنة ١٣١هـ.

---

(١) سير أعلام النبلاء : ١٢٠/٥.

(٢) تاريخ الفتح العربي في ليبيا: ١٤٨.

٢- بكر بن سوادة الجذامي، أبو ثمامة (ت ١٢٨هـ بإفريقية):

أقام في الشمال الإفريقي أكثر من ثلاثين سنة، محدثاً، ومفتياً، وفقيهاً، وقد انتفع به أهلها، ورووا عنه، أدخل إلى القيروان حديث عدد من الصحابة، منهم: عقبة بن عامر، وسهل بن سعد الساعدي، وسفيان بن وهب الخولاني، كما روى عن جماعة من التابعين منهم: سعيد بن المسيب وابن شهاب الزهري، وقد قارب شيوخه الأربعين . روى عنه كثير من أهل القيروان منهم عبدالرحمن بن زياد، وأبو زرعة الإفريقي. وكان ثقة في حديثه، أخرج له مسلم والأربعة، والبخاري تعليقاً، وأحمد، والطبراني، وغيرهم، وعداده في المصريين رغم طول مكثه بالقيروان ووفاته بها.

٣- جُعثُل بن عاهان الرُعيني القتباني، أبو سعيد، (ت حوالي ١١٥هـ):

عده أبو العرب وابن حجر وغيرهما في التابعين، ولم يذكروا عمن روى من الصحابة، وكان محدثاً، فقيهاً، مقرئاً، تولى قضاء الجند بالقيروان، وبث فيها علماً كثيراً لمدة زادت عن خمسة عشر عاماً، وروى عنه من أهل القيروان عبيدالله بن زحر، وعبدالرحمن بن زياد، وبكر بن سوادة وهو زميله في البعثة العلمية. ووثقه أكثر النقاد، وأخرج له الأربعة وأحمد وغيرهم : توفي في خلافة هشام بن عبدالملك سنة ١١٥هـ.

٤- حبان بن جبلة القرشي : مولاهم، ودفع الوهم بأن عمر رضي الله عنه أرسله لتفقيه أهل مصر (ت ١٢٥ وقيل ١٢٢ بالقيروان):

أدخل في الشمال الإفريقي حديث جملة من الصحابة منهم : ابن عباس، وابن عمر، وعبدالله بن عمرو، ووالده عمرو، وبقي يبث العلم في عاصمة

الشمال الإفريقي في مدينة القيروان أكثر من خمس وعشرين سنة، انتفع به أهلها، وروى عنه كثيراً منهم، كعبدالرحمن بن زياد، وعبيدالله بن زحر، وموسى بن علي بن رباح وغيرهم، وهو عند النقاد ثقة في حديثه، أخرج له البخاري في الأدب المفرد، وابن سنجر في مسنده والحاكم في المستدرك وغيرهم.

٥- سعد بن مسعود التُجيبي : أبومسعود (ت بالقيروان)، ودفع الوهم بعده في الصحابة:

يروي عن جماعة من الصحابة، منهم : أبوالدرداء، ويروي عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلاً حتى وهم بعضهم فعدّه في الصحابة، ولذلك نبهت معظم المصادر على أنه لا صحبة له، وقد سكن القيروان وبث في الشمال الإفريقي علماً كثيراً، وكانت مجالسه مليئة بالحكم والمواعظ البليغة، وكان شديداً على الأمراء.

روى عنه من أهل القيروان: مسلم بن يسار الإفريقي، وعبيدالله بن زحر، وعبدالرحمن بن زياد الإفريقي، في جامع ابن وهب وغيره، وذكر الدباغ أنه توفي بالقيروان بعد أن بث فيها علماً كثيراً، ولم يذكر تاريخ وفاته.

٦- طلق بن جعبان الفارسي، وقيل: جابان، والصواب الأول كما في الاكمال، تابعي، لقي ابن عمر وسأله، وأكثر روايته عن التابعين، كان فقيهاً عالماً، روى عنه من أهل القيروان : موسى بن علي، وابن أنعم، ولم يذكروا مدة إقامته بها ولا تاريخ وفاته.

٧- عبدالرحمن بن رافع التنوخي، أبو الجهم (ت بالقيروان سنة ١١٣هـ):

دخل القيروان في وقت مبكر، سنة ٨٠ هـ، وهو أجل قضاتها، وذلك على عهد حسان بن النعمان واستمر يبث فيها العلم مايقارب ثلاثاً وثلاثين سنة، حتى انتفع به خلق كثير من أهلها.

وقد أدخل إلى القيروان حديث جماعة من الصحابة عرفنا منهم: عبدالله بن عمرو بن العاص. وحدث عنه من القرويين : عبدالرحمن بن زياد الإفريقي، وعبيدالله بن زحر الكناني، وبكر بن سوادة الجذامي، وغيرهم.

اخرج له البخاري في الأدب المفرد وأبوداود، والترمذي، وابن ماجه في سننهم، والفسوي في المعرفة والتاريخ، وغيرهم.

وقد ضعف النقاد حديثه، قال البخاري في التاريخ الكبير: (في حديثه مناكير) . وقال ابن حبان في الثقات: (لايحتج بخبره إذا كان من رواية ابن أنعم، وإنما وقع المناكير في حديثه من اجله). وقال في مشاهير علماء الأمصار: من ثقات المصريين وإنما وقعت المناكير في روايته من جهة الإفريقي لا من جهته) وهو أول من ولي قضاء القيروان وتوفي بها سنة ١١٣هـ.

٨- عبدالله بن المغيرة بن أبي بُردة الكناني، (ت بعد سنة ١٢٣):

كان مقيماً في القيروان قبل زمن بعثة عمر بن عبدالعزيز بمدة طويلة، وكان معروفاً لدى أهلها مشهوراً بينهم بالعدالة والتقى، وقد ولاه عمر بن عبدالعزيز قضاء القيروان سنة ٩٩هـ، لما علمه من فضله ودينه وعلمه، فاستمر في منصبه إلى ان استقال منه سنة ١٢٣هـ، وكان زاهداً ورعاً عالماً، سار في أهل القيروان بالكتاب والسنة ونشر العلم بينهم لمدة طويلة زادت على خمس

وعشرين سنة . ذكره ابن حبان في الثقات وأثنى عليه المصنفون بالفضل والدين والعلم.

٩- عبدالله بن يزيد المعافري الحبلي، أبو عبدالرحمن (ت١٠٠هـ بالقيروان على الصحيح):

دخل القيروان في زمن مبكر، ولعل ذلك كان مع موسى بن نصير سنة ٨٦هـ، لإنه شهد فتح الأندلس، ثم عاد إلى القيروان، فسكنها وبنى بها داراً ومسجداً، ثم عين ضمن أفراد البعثة العلمية إلا أن وفاته كانت ١٠٠ هـ، أي بعد سنة واحدة من التكليف الرسمي، ومع ذلك فقد قال عنه المالكي :(فانتفع به أهل إفريقية، وبث فيها علماً كثيراً).

أدخل إلى القيروان حديث جماعة من الصحابة ممن لم يدخلها، وزاد في افشاء حديث من دخلها، منهم : حدث عن ابن عمر، وعقبة بن عامر، وابن عمرو، وابوذر، وروى عنه من أهلها عبدالرحمن بن زياد، وأبوكريب جميل ابن كريب القاضي (ت ١٣٩)، وغيرهما.

وكان رجلاً صالحاً ورعاً شديد الإقبال على نشر السُنّةِ، وكان تأثيره في الحياة العلمية- خاصة الجانب الحديثي منها- بالقيروان كبيراً، وقد بنى فيها مسجداً لمجالسه العلمية.

أجمع النقاد على توثيقه، وحديثه عند مسلم، والأربعة، وابن وهب في جامعه وأحمد وغيرهم.

١٠- وهب بن حي المعافري:

وقد ذكر ابن أبي حاتم أن هناك من قلبه إلى :حي بن موهب وأن أبا زرعة

قد صحح ذلك، غزا إفريقية قديماً، لأنه سأل ابن عباس المتوفى سنة ٦٨هـ، عن إنية أهل المغرب كما في الرياض والمعالم، وهو من أفراد بعثة عمر، وقد سكن القيروان، وبث فيها علماً كثيراً، وبها كانت وفاته، وقد أدخل إلى القيروان حديث بن عباس وغيره، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلاً، وروى عنه من أهل القيروان عبدالرحمن بن زياد الإفريقي . ولم تظهر المصادر حاله من حيث التعديل والجرح[1].

هؤلاء الفقهاء العشرة من خيرة فقهاء التابعين أرسلهم عمر بن عبدالعزيز إلى الشمال الإفريقي، ليفقهوا ويعلموا الناس دينهم فكانوا عند ظنه بهم وكانوا للناس قدوة صالحة. وقد سبق هؤلاء العشرة كثير من التابعين الذين قاموا بتعليم أهل البلاد أحكام الدين علماً وعملاً.

وكان لهؤلاء العشرة آثار هامة في الفقه والحديث وفي نشر السنة العملية والاعتقادية الصحيحة، وساعدوا ولاة أمور المسلمين على مقاومة النِّحَل الخارجية وتركيز أحكام الإسلام بين البربر، فقد روى المالكي إنه لما ثارت الخوارج على حنظلة بن صفوان بطنجة سنة ١٢٢هـ جمع حنظلة علماء إفريقية وهم الذين بعثهم عمر بن عبدالعزيز إلى إفريقية ليفقهوا أهلها فكتبوا هذه الرسالة ليقتدي بها المسلمون ويعتقدوا ما فيها:

(... فإن أهل العلم بالله وبكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم يعلمون أنه يرجع جميع ما أنزل الله عزّ وجلّ إلى عشر آيات : آمرة وزاجرة ومبشرة ، ومنذرة، ومخبرة، ومحكمة، ومتشابهة، وحلال وحرام وأمثال، فآمرة بالمعروف، وزاجرة عن المنكر، ومبشرة بالجنة، ومنذرة بالنار ومخبرة بخبر

---

(١) راجع هذه التراجم الكتاب القيم، مدرسة الحديث بالقيروان : ١٤/٢ إلى ٥٢٢.

الأولين والآخرين، ومحكمة يعمل بها، ومتشابهة يؤمن بها، وحلال أمر أن يُؤتى، وحرام أمر أن يُجتَنَبَ، وأمثال واعظة، فمن يطع الآمرة وتزجره الزاجرة فقد استبشر بالمبشرة وأنذرته المنذرة، ومن يحلل الحلال، ويحرم الحرام، ويرد العلم فيما اختلف فيه الناس إلى الله، مع طاعة واضحة ونية صالحة، فقد فاز وأفلح وأنجح وحيي حياة الدنيا والآخرة والسلام[1].

إن هذه الرسالة تعتبر وثيقة عظيمة الأهمية إذ تدل على أصالة علم هذه البعثة العلمية، ووضوح أهدافهم الشرعية أمامها حتى إنهم أوجزوا فحوى الرسالة المحمدية – على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم – في عدة سطور موجزة. ونظراً لعظيم فائدتها عممت على أن تقرئ على منابر المساجد في جميع ضواحي إفريقية.

---

(١) انظر رياض النفوس للمالكي :١٠٢/١، ١٠٣.

الفصل الثاني

عصر الولاة (٩٦-١٨٤هـ)

المبحث الأول

نبذة تاريخية عامة عن الحالة في عصر الولاة(*)

يطلق عصر الولاة على تلك الحقبة الزمنية الواقعة بين انتهاء زمن الفتح وقيام دولة الأغالبة وفي هذه الفترة كان حكام الشمال الإفريقي يُعيَّنون من قبل الخليفة، ويمتد نفوذهم إلى المغرب والأندلس إلى أن استقل بالأندلس عبدالرحمن ابن معاوية بن هشام بن عبدالملك سنة ١٣٧هـ.

لقد امتازت بداية هذا العصر بوئام عجيب بين الفاتحين وإخوانهم البربر المسلمين الذين أقبلوا في شغف على تعلم الدين الجديد، وانضموا إلى الجيش الإسلامي، وحدثت بينهم المصاهرات، وكثر بناء المساجد والكتاتيب في سائر البلاد الإفريقية، وأخذ أهل مدنها يقلدون العاصمة الإسلامية حتى في طرازها المعماري، وانتشرت الثقافة الإسلامية بين البربر، ولا غرابة في كل هذا فإن أول الولاة وهو محمد بن يزيد القرشي (٩٦-٩٩هـ) قد استقر في إفريقية بأحسن سيرة وأعدلها، وكان يقسم ما يقبضه من غنائم على المسلمين من البربر والعرب على السواء.

(*) هذا المبحث أخذته من كتاب مدرسة الحديث في القيروان.

وبذلك أُنعم البربر بعدالة الإسلام فكان لهذا التصرف أبعد الأثر في نفوسهم، وتدعمت هذه السيرة الحسنة بقدوم إسماعيل بن أبي المهاجر(٩٩-١٠١هـ) والياً من قبل الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز، فسار سيرة من أرسله (خير وال وخير امير، وما زال حريصاً على دعاء البربر إلى الإسلام فأسلم بقية البربر على يديه)، وكان إذا عاد من الغزو افترش ذراعه فنام عليه، وكان زاهداً متواضعاً من كبار العباد، فأقبل عليه البربر المسلون يسمعون منه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد كان في روايته من الثقات، أخرج له الجماعة إلا الترمذي.

ونظراً لاهتمام عمر بن عبدالعزيز بتدوين السنة وحرصه على نشرها فقد أرسل واليه ابن أبي المهاجر ضمن عشرة من التابعين، من ثقات رواة الحديث، لتفقيه أهل القيروان ونشر السنة في ربوع إفريقية، وكانوا أهل علم وفضل اختط كل منهم داراً بالقيروان، وبنى مسجداً وكتّاباً، لتعليم البربر وأبنائهم اللغة العربية ومبادئ الإسلام، وقد وصف كل منهم بأنه:(انتفع به أهل إفريقية وبث فيها علماً كثيراً).

ولا شك ان المقصود بالعلم هنا علم الرواية المتعلق بالكتاب والسُنَّةِ بصفة عامة، سواء من ناحية أدائها إلى طلابها بالإسماع والإقْراء وغيرها، أو من ناحية تبليغ احكامها المتعلقة بالعقيدة والعبادات والمعاملات والأخلاق، إذ أن المذاهب الفقهية المحددة بالأئمة الأربعة وغيرهم لم تكن قد ظهرت بعد، وقد استقر هؤلاء التابعون بالقيروان حتى عُدُّوا من أهلها، فقد اعتبرهم المالكي الطبقة الأولى من علماء القيروان، ومنهم من زادت إقامته بها على ثلاثين عاماً، وهم في كل ذلك لا يفترون عن القيام بمهمة نشر العلم بإفريقية.

إلا ان هذا التوجه لم يدم طويلاً بسبب فساد سياسة الولاة التالين، فما أن

توفي عمر بن عبدالعزيز سنة ١٠١هـ حتى سارع يزيد بن عبدالملك بعزل إسماعيل بن أبي المهاجر وتولية يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج وصاحب شرطته، وكان ظلوماً غشوماً أساء السيرة في البربر، وأراد وسم حرسه في أيديهم، (وكان أكثرهم من مسلمي البربر)، كما تفعل ملوك النصارى، ووضع الجزية على من أسلم من أهل الذمة، متبعاً سيرة الحجاج في أهل العراق، فنقم عليه البربر، واتفق حرسه على قتله، وقالوا : جعلنا بمنزلة النصارى، فلم يلبث ان قتلوه وتولى بعده بشر بن صفوان الكلبي (١٠٣-١٠٩هـ) ثم عبيدة بن عبدالرحمن السلمي (١١٠-١١٤هـ) فكان همُّهما الغزو، ولم يؤثر عنهما اهتمام بالعلم، إلا أن الثاني ظلم البربر وتعسف في معاملتهم فحنقوا عليه.

ثم قدمها عبيدالله بن الحبحاب سنة ١١٦هـ من قبل هشام بن عبدالملك فأتم بناء جامع الزيتونة، ودار الصناعة بتونس، وغزا صقلية وجنوب الصحراء إلا أنه استجاب لمطامع رؤسائه بالمشرق فإنهم كانوا يستحبون طرائف المغرب، ويبعثون فيها إلى عمال إفريقية.....

. واشتد استياء البربر المسلمين من هذه الأفعال القبيحة، ورأوا التناقض الصارخ بين تعاليم الإسلام وبين سلوك هؤلاء العمال، وأصبحت عندهم قابلية للتمرد في الوقت الذي فشت فيه النزعة الخارجية في إفريقية والمغرب، ونادى أصحابها بشعارات خارجيَّة، ظاهرها فيه بعض الحق وباطنها ينطوي على شر عظيم، كالمساواة بين المسلمين ووجوب الخروج على الحكام الظلمة وغيرها، فصادف ذلك هوى في نفوس البربر، وتحمس كثير منهم لما نادى به دعاة الخوارج، إلا إنهم لم يعلنوا التمرد والعصيان إلا بعد أن يئسوا من امكانية تبليغ صوتهم بالشكوى إلى الخليفة، ذلك ما ذكره الطبري حيث قال :

فما زالوا - بربر إفريقية - من أسمع أهل البلدان وأطوعهم إلى زمان هشام بن عبدالملك ... فلما دب إليهم دعاة العراق واستثاروهم شقوا عصاهم، وفرقوا بينهم إلى اليوم).

وكان من سبب تفريقهم أنهم ردوا على أهل الأهواء فقالوا: إنا لا نخالف الأئمة، بما تجني العمال، ولا نحمل ذلك عليهم)، فقالوا لهم: إنما يعمل هؤلاء بأمر أولئك. فقالوا لهم: لا نقبل ذلك حتى نبورهم- أي نختبرهم- فخرج ميسرة المظفري زعيم الصفرية في بضعة عشر انساناً حتى قدم على هشام، فطلبوا الإذن، فصعب عليهم، فأتوا الأبرش - وزير هشام بن عبدالملك- فقالوا : أبلغ أمير المؤمنين ان أميرنا يغزو بنا وبجنده فإذا أصاب نفلهم دوننا. وقال تقدموا وأخّر جنده. فقلنا : تقدموا فإنه ازدياد في الاجر ومثلكم كفى إخوإنه..ثم إنهم عمدوا إلى ماشيتنا فجعلوا يبقرونها على السخال يطلبون الفراء الأبيض لأمير المؤمنين فاحتملنا ذلك، ثم إنهم ساومونا ان يأخذوا كل جميلة من بناتنا فقلنا : لم نجد هذا في كتاب ولا سنة ونحن مسلمون، فأحببنا أن نعلم عن رأي أمير المؤمنين ذلك أم لا؟ قال: نفعل. فلما طال عليهم ونفذت نفقاتهم ... كان وجههم إلى إفريقية فخرجوا على والي هشام فقتلوه واستولوا على إفريقية.

وهكذا اندلعت بإفريقية،والمغرب ثورات لا نهاية لها، ابتدأت سنة ١٢٢هـ وهي أول ثورة في إفريقية في الإسلام، وتضافرت جهود الإباضية والصفرية للاطاحة بحكومة القيروان، واصبح هَمّ الخليفة في المشرق القضاء على هذه الثورات فكان يرسل الجيش تلو الآخر، وقد ذكروا ان هذه الحروب منذ أن استعرت إلى أن تم القضاء عليها، في عهد يزيد بن حاتم سنة ١٥٦هـ بلغت ٣٧٥ موقعة ذهب ضحيتها آلاف القتلى، وقد شارك فيها العلماء مقاتلين وواعظين، فقد استنجد حنظلة بن صفوان بمن تبقى من بعثة عمر بن عبدالعزيز

لما ثارت عليه الخوارج، وقد دامت هذه الحروب أكثر من ثلاثين سنة تمكن الخوارج خلالها من الاستيلاء على القيروان مرتين، حيث استولى عليها الصفرية سنة ١٤٠هـ لمدة سنة وشهرين، وقد ربطوا دوابهم في المسجد الجامع وقتلوا كل من كان فيها من قريش وعذبوا أهلها...... ثم وليها بعدهم الإباضية لمدة سنتين[1].

---

(١) مدرسة الحديث في القيروان :١/٥٦ إلى ٦١.

المبحث الثاني

نبذة عن ولاة الدولة الأموية وخلفائهم في عصر الولاة

١- يزيد بن عبدالملك:

هو الخليفة أبوخالد القرشي الأموي الدمشقي، استخلف بعهد عقده له أخوه سليمان بعد عمر بن عبدالعزيز، وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية ولد سنة إحدى وسبعون . وكان لايصلح للإمامة، مصروف الهمة إلى اللهو والغواني، مريض بنوع من السل، ومات بسواد الأردن لخمس بقين من شعبان سنة خمس ومئة، فكانت دولته أربعة أعوام وشهراً وعهد بالخلافة إلى أخيه هشام، ثم من بعده لولده الوليد بن يزيد .

٢- يزيد بن أبي مسلم:

ولاه يزيد بن عبدالملك ولاية إفريقية وكان ظلوماً غشوماً أساء السيرة في البربر، وأراد وسم حرسه في أيديهم، و(كان أكثرهم مسلمي البربر)، كما تفعل ملوك النصارى، ووضع الجزية على من أسلم من أهل الذمة، متبعاً سيرة الحجاج في أهل العراق، فنقم البربر واتفق حرسه على قتله، وقالوا: (جعلنا بمنزلة النصارى) فلم يلبث ان قتلوه وولوا عليهم محمد بن يزيد (وهي ولايته الثانية) وكتبوا إلى يزيد بن عبدالملك معتذرين من قتل يزيد بن أبي مسلم فقبل عذرهم وأقر ما فعلوه. وقد اقترن قتل يزيد بظهور دعوة الخوارج في إفريقية وقد وصلت اليهم من القادمين من العراق، فلقنوها لمسلمي الشمال الإفريقي

فاستجاب لها من كان في نفسه هوى وانغمس في الجهل وتأثر من سوء سيرة الولاة، وله أغراض في تدمير الخلافة الإسلامية.

٣- ولاية بشر بن صفوان على إفريقية:

ولاه يزيد بن عبدالملك على إفريقية سنة ١٠٣هـ، وقد نكّل بآل موسى بن نصير تنكيلاً فظيعاً، واستصفى أموالهم لنفسه، ثم رجع إلى يزيد فوجده قد توفي سنة ١٠٥هـ، وتولى هشام بن عبدالملك فرده إلى إفريقية، وغزا صقلية، ورجع إلى القيروان فمات بها سنة ١٠٩هـ، وكانت ولايته سبع سنين[١].

٤- الخليفة هشام بن عبدالملك:

ابن مروان ابوالوليد القرشي الأموي الدمشقي ولد بعد السبعين، واستخلف بعهد معقود له من أخيه يزيد، وكانت خلافته في شعبان سنة خمس ومئة وأمه فاطمة بنت الأمير هشام بن إسماعيل بن هشام أخي خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي وكان هشام حريصاً جماعاً للمال، عاقلاً حازماً سائساً فيه ظلم مع عدل[٢].

الخليفة هشام مع سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب أحد الفقهاء السبعة:

لما حج هشام بن عبدالملك دخل الكعبة فإذا هو بسالم بن عبدالله، فقال لسالم سلني حاجة، فقال: إني لأستحي من الله أن أسأل في بيته غيره، فلما

---

(١) تاريخ الفتح العربي في ليبيا: ١٦١.

(٢) البداية والنهاية :٥/٢٤٤.

خرج سالم خرج هشام في أثره فقال له: الآن خرجت من بيت الله فسلني حاجة، فقال سالم : من حوائج الدنيا أم حوائج الآخرة؟ قال: من حوائج الدنيا، فقال سالم : إني ما سألت الدنيا مَنْ يملكها، فكيف أسألها من لايملكها[1].

من أقوال الخليفة هشام :(مابقي علي شيء من لذات الدنيا إلا وقد نلته إلا شيئاً واحداً، أخ أرفع مؤنة التحفُّظِ منه). ومن شعره : ويقال : إنه ما حفظ له من الشعر سوى هذا البيت:

إذا أنت لم تَعْصِ الهَوَى قَادَكَ الهَوَى..... إلى بعضِ ما فيه عليكَ مقالُ[2]

٥- وفاته:

كانت وفاته بسبب ورم الحلق: داء يقال له :الحرذونْ، وفي سكرات موته نظر إلى أولاده يبكون حوله فقال : جاد لكم هشام بالدنيا وجدتم عليه بالبكاء وترك لكم ما جمع، وتركتم له ما كسب، ماأسوأ منقلب هشام ان لم يغفر الله له، وكان نقش خاتمه الحكم للحكم الحكيم، وكانت وفاته يوم الأربعاء لست بقين من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة.

قال العلامة ابن كثير- رحمه الله- : (لما مات هشام بن عبدالملك مات ملك بني أمية، وتولى وأدبر أمر الجهاد في سبيل الله واضطرب أمرهم جداً، وإن كانت قد تأخرت أيامهم بعده نحو من سبع سنين ولكن في اختلاف وهيج، ومازالوا كذلك حتى خرجت عليهم بنو العباس فاستلبوهم نعمتهم وملكهم وقتلوا منهم خلقاً وسلبوهم الخلافة) [3].

---

(١) البداية والنهاية :٥/٣٦٨.

(٢) انظر سير أعلام النبلاء : ٥/٣٥١-٣٥٣.

(٣) البداية والنهاية: ٥/٣٦٩.

٦- ولاية عبيدة بن عبدالرحمن على إفريقية:

ولاه هشام بن عبدالملك على إفريقية في المحرم او صفر سنة ١١٠هـ مكان بشر، وكان محل إقامته القيروان[١].

٧- يزيد بن مسلم الكندي:

كان عاملا على طرابلس من قبل عبيدة بن عبدالرحمن وكان المستتير بن الحبحاب الحرشي قد كلف بغزو صقلية من طرف عبيدة، فتثاقل عن غزوها حتى جاء الشتاء وصعب ركوب البحر، ثم جهز نفسه وغزاها، وبينما هو في طريقه اليها هاج به البحر، وأغرق كل ما معه من السفن بما فيها ومن فيها، ورمي بالسفينة بمن كان بها على طرابلس، فأمسكه يزيد حتى جاءه كتاب عبيدة يأمره بالقبض عليه وارساله إليه موثوقاً، فنفذ يزيد أمر عبيدة وأرسل اليه ابن الحبحاب كما أمر، فأوجعه ضرباً، وطاف به القيروان، على حمار تشهيراً به لتقصيره في غزوة صقلية، وتأخيره إلى وقت الشتاء حتى كان ذلك سبباً في غرق الجيش وخسارة المسلمين، وعزل هشام عبيدة سنة ١١٤هـ ودامت ولايته أربع سنين وستة أشهر[٢].

٨- عبيدالله بن الحبحاب:

ولاه هشام بن عبدالملك على إفريقية في ربيع الآخر سنة ١١٦هـ، وقيل سنة ١١٤هـ ويقال إنه هو الذي بنى جامع تونس وقد ظهر لهشام في عدة مناسبات عجزه عن القيام بأمور المسلمين، فعزله في جمادى الأولى سنة

---

(١) تاريخ فتح العربي في ليبيا: ١٦١.

(٢) المصدر السابق: ١٦١-١٦٢-١٦٣.

١٢٣هـ[١].

يشعر المتتبع لأحداث إفريقية بأنه منذ أن تولى يزيد بن مسلم ١٠٢هـ إلى أن تولى كلثوم بن عياض سنة ١٢٣هـ، قد قل النشاط الجهادي في إفريقية، وأهمل أمر الفتح ومحاولة إخضاع مَنْ لم يخضع من البربر. ولولا ما كان من أمر عبيدة لابن الحبحاب بغزو صقلية وفشله فيه لقلنا إنه لم يكن هناك نشاط، ويظهر أن الخليفة هشاماً ادرك هذا خصوصاً لما ظهر له عجز عبيدالله بن الحبحاب، فتدارك الامر وولى[٢] على إفريقية كلثوم بن عياض ليجدد النشاط في إخضاع من بقي مناوئاً للخلافة.

٩- كلثوم بن عياض:

وبلغت أخبار الخوارج في إفريقية هشام بن عبدالملك، فولى عليها كلثوم بن عياض القشيري في جمأدى الآخرة سنة ١٢٣هـ وأرسله اليها في جيش قوامه اثنا عشر ألفاً، وخرج معه أهل مصر، وأهل برقة، وأهل طرابلس، وزحف إلى الشمال الإفريقي متوغلاً سنة ١٢٣هـ فلقيه ميسرة من رؤساء الخوارج الصفرية بقرب طنجة في جموع من البربر كثيرة، واستماتوا في قتاله حتى قتلوه وهزموا جيشه، وقويت شوكة الخوارج واقتطعوا المغرب عن طاعة الخلفاء في المشرق[٣].

ويقول صاحب شذرات الذهب : هزمهم أبو يوسف الأزدي رأس الصفرية الخوارج، ولعل ميسرة هو أبو يوسف او احد قواده، واتبعت الخوارج من انكسر من المسلمين فثبت لهم بلجُ القشيري ابن عم كلثوم وانتصر

---

(١) تاريخ الفتح العربي في ليبيا :١٦١-١٦٢-١٦٣.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) المصدر السابق نفسه.

عليهم، وقتل أبا يوسف الأزدي رئيس الخوارج[1].

١٠- صفوان بن أبي مالك:

لما وصل كلثوم إلى طرابلس، وكان الحاكم عليها صفوان بن أبي مالك أعد صفوان جيشاً وخرج معه إلى إفريقية، فوصلوا القيروان في رمضان في هذه السنة وكان الجيش بقدر ثلاثين ألفاً، وخرج كلثوم لقتال الخارجين عن الخلافة واستخلف على القيروان عبدالرحمن بن عقبة الغفاري وعلى الحرب مسلمة بن سوادة الجذامي القرشي.

ومازال بعض الرؤساء من البربر الذين اعتنقوا المذهب الخارجي يتربصون بالمسلمين ويتحينون الفرص للوثوب عليهم، ومن هؤلاء القادة عكاشة بن ايوب الفزاري، وهو من قبيلة هوارة من البرابرة الصفرية، وكان يقيم بنواحي قابس، فجمع هوارة وسار بها على مسلمة بن سوادة منتهزاً غياب عياض بن كلثوم عن القيروان، وأرسل عكاشة أخاه إلى صبراته فحصر أهلها في المسجد، وجعل عليها حبيب بن ميمون.

وبلغ خبر ما حل بأهل صبراته إلى صفوان حاكم طرابلس، فخرج لنجدتهم، وحاول أخو عكاشة أن يدافع عن صبراته، فما لبث ان غلب على أمره ونجا برأسه منهزماً بعد أن قُتِلَ أكثر أصحابه من زناته وهوارة وغيرهم، ولحق بأخيه عكاشة في قابس وكتب كلثوم بن عياض إلى صفوان بطرابلس يستنجده على عكاشة، فأنجده بأهل طرابلس ... ولكن جيوش الخوارج من البربر تكاثرت على كلثوم فقتل قبل أن يصل اليه صفوان في نجدته، ولما بلغ

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبي الفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي : ١٦١/١.

صفوان قابس بلغه قتل كلثوم وأصحابه فرجع إلى طرابلس، وتفرق جيش كلثوم، فرجع أهل إفريقية ومصر إلى إفريقية، وذهب أهل الشام إلى الأندلس وكان من بينهم عبدالرحمن بن حبيب الآتي ذكره، وكان ذلك سنة ١٢٤هـ أو ١٢٥هـ.

لم ييأس من بقي من المسلمين من النصر برجوع صفوان إلى طرابلس وقتل كلثوم بالرغم من مكانتهما المرموقة بينهم فتحصن سعيد بن بحرة وأصحابه بقابس وتنحى عنها عكاشة بنحو عشرين ك.م. وأعاد المسلمون جمع صفوفهم، فخرج عبدالرحمن بن عقبة الغفاري في أهل القيروان لقتال عكاشة فلقيه بين القيروان وقابس، فإنهزم عكاشة وقتل عامة أصحابه ثم جمع جموعه وأعاد الكرة على عبدالرحمن، فهزم عكاشة وأعاد الكرة الثالثة فهزم، وفي الرابعة استعان بعبدالواحد بن يزيد الهواري الصفري فخرج إليهم عبدالرحمن، فقتل عبدالرحمن وأصحابه وكان ذلك سنة ١٢٤هـ وتقدم عكاشة وعبدالواحد في جيوشهم إلى القيروان(١).

١١- حنظلة بن صفوان الكلبي :

بعد قتل عبدالرحمن بن عقبة كان عكاشة وعبدالواحد يهددون القيروان بجموعهما، وأسند هشام بن عبدالملك ولاية إفريقية والمغرب إلى حنظلة بن صفوان في صفر سنة ١٢٤هـ فأخذ في الاستعداد للدفاع عن القيروان.

وكان عكاشة بن أيوب الفزاري وعبدالواحد بن يزيد من برابرة هوارة، ومن المتمذهبين بمذهب الخوارج الصفرية الذين يستحلون أموال أهل السُّنَّةِ،

---

(١) تاريخ الفتح العربي :١٦٤-١٦٥.

ويستبيحون نساءهم وقتلهم، وكان معهم من البربر جموع عظيمة قدرت بثلاثمائة ألف، ولما وصلوا القيروان خرج إليهم حنظلة فهزموه، وتقدموا لحصار القيروان فأعاد حنظلة جمع شمله وتأهب لقتالهم، وأخرج كل ما في خزائنه من السلاح والعتاد، ودعا الله بطلب النصر وأمن المسلمون على دعائه، وخرج للقائهم خارج القيروان والتحم الجيشان بمكان يقال له القرن، قرب القيروان وكانت حرباً في أبشع صور الحروب القاسية، فهبت ريح النصر على أهل السنة وهزم الخوارج، وقتل عبدالواحد وجيء برأسه وبعكاشة أسيراً إلى حنظلة، فقتله حنظلةُ، وقتل في هذه المعركة ما يزيد على مائة وسبعين ألفاً وكان هذا سنة ١٢٤هـ وتسمى واقعة القرن[١].

وسمع الليث بن سعد الفقيه المصري المشهور بخبر هذه المعركة فقال :(ماغزوة كنت أحب أن أشهدها بعد غزوة بدر أحب إلي من غزوة القرن) قلت: لكونها ضد الخوارج وقتالهم فيه أجر عظيم ومثوبة من رب العالمين وتحقيقاً لما جاء في قتالهم على لسان الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم.

١٢- معاوية بن صفوان:

كان عامل حنظلة على طرابلس، فكتب إليه حنظلة يستنجده فأنجده بأهل طرابلس ولما وصل إلى قابس بلغه خبر هزيمة عكاشة وعبدالواحد، فأمره حنظلة أن يتقدم بجيشه إلى حرب الخوارج من البرابرة وغيرهم بنفزاوة فذهب اليهم وقاتلهم حتى قتل، فبعث حنظلة زيد بن عمرو الكلبي إلى جيش معاوية ورجع به إلى طرابلس[٢].

---

(١) تاريخ الفتح العربي : ١٦٦.

(٢) نفس المصدر ص١٦٦.

١٣- خلافة الوليد بن يزيد:

ابن عبدالملك بن مروان بن الحكم الخليفة أبوالعباس الدمشقي الأموي ولد سنة تسعين، وقيل سنة اثنين وتسعين، ووقت موت أبيه كان للوليد نيف عشرة سنة، فعقد له ابوه بالعهد من بعد هشام بن عبدالملك فلما مات هشام سلمت إليه الخلافة[١].

١٤- موقف الإمام الزهري معه قبل الخلافة:

كان الإمامُ الزهري يقدحُ أبداً عند هشام في الوليد ويذكر أموراً عظيمة وكان يقول يجب خلعه من ولاية العهد، فلايقدر هشام، ولو بقي الزهري لفتك به الوليد[٢].

ولما أراد هشام خلع الوليد من ولاية العهد، قال الوليد:

كفرتَ يداً من مُنْعِمٍ لوشكرْتَها ... جَزَاكَ بها الرحمنُ ذو الفضلِ والمَنِّ

رأيْتُكَ تَبْنِي جاهدا في قَطِيعتي ... ولو كُنتَ ذا حزم لهدَّمْتَ ما تَبْني

أراك على الباقينَ تجني ضَغينةً ... فيا وَيْحَهُمْ إنْ مت مِنْ شَرِّ ما تَجْني

كأني بهم يوماً وأكثرَ قِيلِهم ... ألا ليتَ أنَّا حينَ ياليتَ لا تُغْني[٣]

قتله :

وبسبب فسقه ومجونه ولهوه وشربه للخمر أراد الجند والرعية التخلص منه وقاد ذلك يزيد بن عبدالملك فلما احاطوا بالوليد نشر المصحف، وقال: أُقتَلُ كما قُتِلَ ابن عمي عثمان، وكان مقتله في جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة.

---

(١) سير أعلام النبلاء:٥/٣٧٠ إلى ٣٧٦.

(٢) نفس المصدر السابق. وقال محقق الكتاب العلامة الشيخ شعيب الأرنؤوط: الخبر تالف من أجل الواقدي فإنه متروك.

(٣) نفس المصدر السابق.

١٥- خلافة يزيد بن الوليد:

ابن عبدالملك بن مروان الخليفة أبو خالد القرشي الأموي الدمشقي الملقب بالناقص، لكونه نقص عطاء الأجناد، تَوَثَّبَ على ابن عمه الوليد بن يزيد، وتم له الأمر، واستولى على دار الخلافة في سنة ست وعشرين، ولكنه ما مُتِّع ولا بلع ريقه.

١٦- خطبته عند قتل الوليد:

"إني والله ما خرجت أَشَراً ولا بطراً، ولا حرصاً على الدنيا ولا رغبة في الملك، وإني لظلومٌ لنفسي إن لم يرحمني ربي، ولكن خرجتُ غضباً لله ولدينه، وداعياً إلى كتاب الله وسنة نبيه، حين دُرست معالمُ الهدى وطُفِئ نور أهل التقوى، وظهر الجبارُ المستحل للحرمة، والراكب البدعة، فاشفقتُ إذ غشيكم ظلمة أن لا يقلع عنكم من ذنوبكم، واشفقت أن يدعو أناساً إلى ما هو عليه، فاستخرتُ الله ودعوت من أجابني، فأراح اللهُ منه البلاد والعباد.

أيُّها الناسُ إن لكم عندي إن وُليتُ أن لا أضع لبنةً على لبنة، ولا أنقلَ مالاً من بلدٍ إلى بلدٍ حتى أَسُدَّ الثغورَ، فإن فَضَل شيءٌ رددته إلى البلد الذي يليه، حتى تستقيم المعيشةُ وتكون فيه سواء، فإن أردتم بيعتي على الذي بذلت لكم فأنا لكم، وإن ملتُ فلا بيعة لي عليكم، وإن رأيتُم أقوى مني عليها، فأردتُم بيعته، فأنا أول من يُبايع ويدخل في طاعته وأستغفر الله لي ولكم.

وأول من خرج بالسلاح في العيد يزيدُ بن الوليد بين صفين من الخيل في السلاح في باب الحصن إلى المصلّى.

وَعْظُه لبني أمية: وكان يقول لبني أمية إياكم والغِنَاء، فإنه ينقُص الحياء ويزيدُ في الشهوة، ويهدِمُ المروءةَ، وينوب عن الخمر، فإن كنتم لابد فاعلين

فجنبوه النساء فإن الغناء داعية للزنى.

وأصابته بدعة القدرية ودعا الناس إليها وقرب أصحاب غيلان الدمشقي الذي صلبه هشام بن عبدالملك لبدعته الشنيعة وهو عند المعتزلة أفضل من عمر بن عبدالعزيز للمذهب.

وفاته: كانت وفاته في سابع ذي الحجة سنة ست وعشرين ومئة، فكانت دولته ستةَ أشهر وآخر ما تكلم به واحسرتاه وا أسفاه[1].

١٧- الخليفة إبراهيم بن الوليد:

ابن عبدالملك الخليفة أبو إسحاق القرشي الأموي بويع بدمشق عند موت أخيه يزيد، وكان أبيض جميلاً وسيماً طويلاً أميل إلى السمن. ومكث في الخلافة سبعين ليلة، ثم خلع ووليها مروان بن محمد.

قال الذهبي - رحمه الله -: (وعاش إبراهيم إلى سنة اثنتين وثلاثين ومئة مسجونا، وكان ذا شجاعة وأمه بربرية ولم يستقم له أمر، فكان جماعة يسلمون عليه بالخلافة وطائفة بالإمرة، وامتنع جماعة من بيعته.

وقيل فيه من الشعر:

يُبَايَعُ إبراهيمُ في كُلِّ جُمْعَةٍ ... ألاَ إنَّ أمْرَاً أنتَ واليهِ ضَائِعُ

وفاته:

قتل يوم الزاب في سنة ١٣٢هـ.

---

(١) سير أعلام النبلاء : ٣٧٤/٥ إلى ٣٧٦.

١٨- استقلال عبدالرحمن بن حبيب عن الدولة الأموية :

هو عبدالرحمن بن حبيب بن عبيدة بن عقبة بن نافع، كان من أنصار كلثوم ومن المنهزمين في معاركه مع عكاشة إلى الأندلس سنة ١٢٣هـ وقتل والده حبيب مع كلثوم، وهو أول متغلب على إفريقية، واستقل بها أيام حكمه على بني أمية وخلع طاعة أبي جعفر المنصور العباسي، ورجع من الأندلس إلى تونس في جمادى الأولى سنة ١٢٧هـ ودعا أهلها إلى نفسه فأجابوه وحاول حنظلة أن يدخله تحت طاعته فأبى وقتل رسل حنظلة.

واعتزم عبدالرحمن أن يحتل القيروان ويضمها إلى تونس، فأرسل إلى حنظلة يطلب إليه التخلي عنها، وإنه مُصِرٌ على حربه إن لم يفعل.. وكان حنظلة تقياً ورعاً، فلم يسعه أمام إصرار عبدالرحمن على الحرب - إلا أن يتنازل له عن القيروان حقناً لدماء المسلمين وكان ذلك في جمادى الأولى سنة ١٢٩هـ ودخل عبدالرحمن القيروان، وتغلب على إفريقية كلها واستقل بها وكتب إليه مروان بن محمد بولايتها وفي سنة ١٣١هـ جدد سور طرابلس من جهة البر... وانتقل إليها الناس من كل مكان.

وفي هذه السنة (١٣٢هـ) قتل مروان بن محمد، وانقرضت دولة بني أميه من المشرق، بعد أن ملكت إحدى وتسعين سنة وتسعة أشهر وخمسة أيام وولي الملك فيها أربعة عشرة خليفة وظهرت على أعقابها دولة بني العباس والله يرث الأرض ومن عليها[1].

قلت: قال تعالى: ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شئ قدير﴾.

---

(١) انظر: تاريخ الفتح العربي، طاهر الزاوي ص١٦٧، ١٦٨.

مروان بن محمد آخر خلفاء الدولة الأموية

ابن عبدالملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص، بن أمية، أبو عبدالله الملك الخليفة الأموي يعرف بمروان الحمار، ومروان الجعدي نسبة إلى مودبه جعد بن درهم.

وكان مروان بطلاً شجاعاًداهية، رزيناً، جباراً، يصل السَّير بالسُّرى وسمي بمروان الحمار لشدة تحمله كما قيل أصبر في الحرب من حمار، ولد سنة اثنتين وسبعين[1]. بويع له بالخلافة بعد قتل الوليد بن يزيد، وبعد موت يزيد بن الوليد، ثم قدم دمشق وخلع إبراهيم بن الوليد وهو آخر مالك من بني أميه وكانت خلافته خمس سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام، وبقي بعد أن بويع لأبي العباس السفاح بالخلافة العباسية تسعة أشهر.

فتح بلاداً كثيرةً وحصوناً متعددة في سنين كثيرة وكان لا يفارق الغزو في سبيل الله وقاتل طوائف من الناس والكفار ومن الترك والخزر وغيرهم فكسرهم وقهرهم وقد كان بطلا شجاعاًحازم الرأي لولا أن جنده خذلوه بتقدير الله عزوجل لما له في ذلك من حكمة لما سلب الخلافة لشجاعته وصرامته ولكن من يَخْذُلُ اللهُ يُخْذَلُ ومن يُهن اللهُ فماله من مُكْرِمٍ[2].

وفاته: بعد إنهزامه أمام جيوش العباسيين في معركة الزاب فَرَّ هارباً فلحقته طلائع من العباسيين فلحقت به في مصر في منطقة أبو صير وعندما باغتته الخيل والتفت عليه من كل جانب استل سيفه وبقي يقاتل حتى قتل وكان من كلامه قبل أن يقتل: إن الجزع لايزيد في الأجل وإن الصبر لا ينقص الأجل.

---

(١) سير أعلام النبلاء : ٧٤/٦.

(٢) البداية والنهاية : ٤٩/٥.

وكان يتمثل بهذين البيتين:

ذل الحيــاة وهول الممات　　　وكلاً أراه وخيماً وبيــــــــــلا

فإن كــان لابد من ميتـــة　　　فنسير إلى الموت سيراً جميلا[1]

وذكر صاحب شذرات الذهب: إنه كان صائمــاً يـوم قتلـه وكـان يتمثـل بقـول الحجاج بن حكيم:

متقلدين صفائحاً هنديـــة　　　يتركن من ضربوا كأن لم يولد

وإذا دعوتهم ليوم كريهة　　　وافوكَ بين مكبر وموحـــــــــد

وكان نقش خاتمه:

رضيت بالله العظيم، وقيل أذكر الموت يـا غـافل، وكـان مقتلـه يـوم الاثنيـن عشر خلت من ذلك الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة[2].

---

(١) مروان ابن محمد وأسباب سقوط الدولة الأموية لسعدي أبو جيب: ٨٢.

(٢) شذرات الذهب : ١٨٣/١.

المبحث الثالث

أسباب سقوط الخلافة الأموية

عندما كنت أقرأ كتاب (مروان بن محمد وأسباب سقوط الدولة الأموية) للكاتب الدمشقي سعدي أبو جيب تذكرت الدكتور محمد ضيف الله بطاينة الأردني الذي كان أستاذاً في الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية وعندما كنت في السنة الرابعة بكلية الدعوة كان من حسن حظ دفعتنا أن درّسنا الأستاذ الدكتور الفاضل في التاريخ الإسلامي وكان المُقَرر ما يتعلق بالدولة الأموية ووزع علينا مذكرات ذات قيمة علمية إستفدت منها في بحثي هذا، وكانت محاضراته من أروع المحاضرات، أداءً وتحضيراً وصدقاً قال الشيخ حفظه الله: زال سلطان بني أمية من بلاد المشرق الإسلامي بمقتل مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية لثلاث بقين من ذي الحجة سنة اثنين وثلاثين ومائة للهجرة، وقد حاول المؤرخون في العصر الحاضر أن يلتمسوا أسباب زوال سلطان بني أمية فذكروا في هذا الجانب أسباباً عديدة نقسمها إلى الآتي:

أولاً: أسباب مباشرة:

تجمعت عن الهزائم المتلاحقة لجيوش بني أمية أمام جيوش العباسيين التي بدأت الثورة في خراسان وأخذت تزحف من هناك نحو حاضرة الأمويين في دمشق، فالتقت مع جيوش بني أمية التي يقودها مروان بن محمد وهزمتها في معركة الزاب من عام ١٣٢هـ، ثم سارت جيوش العباسيين من بعد ذلك في اتجاهين أحدهما نحو العراق والآخر نحو الشام، وأما مروان بن محمد فأخذ

يتراجع نحو بلاد الشام، فسار إلى قنسرين ثم إلى حمص ودمشق ثم إلى الأردن ثم إلى فلسطين ودخل من هناك إلى مصر، وقوات بني العباس تلاحقه حتى قتلته في (أبو بصير بمصر)، ولما علمت قوات بني أمية التي كانت محاصرة في واسط بالعراق بمقتل مروان استسلمت لبني العباس ودخلت في طاعتهم وبذلك انتهى سلطان بني أمية وانتقل إلى بني العباس.

ثانياً: الأسباب غير المباشرة:

ويمكن أن نجملها فيما يلي:-

أ- أسباب تتعلق ببني أمية والخلفاء منهم وهي :

١- ضعف شخصية بعض الخلفاء منهم.

٢- بذخ بعض الخلفاء وإسرافهم.

٣- تحكيم بعض الخلفاء أهواءهم في أمر قوادهم.

٤- ولاية العهد وما يترتب عليها من صراع.

٥- النزاع بين أفراد البيت الأموي على الخلافة.

ب- أسباب تتعلق بالرعية:

١- العصبية العربية.

٢- النزاع بين العرب والموالي.

٣- قيام حركات المعارضة: الشيعة، الخوارج، الدعوة العباسية.

ج- أسباب عامة :

١- إزدياد الخطر البيزنطي.

٢- المشكلات الاقتصادية.

وكل الأسباب السابقة عوامل لاينكر تأثيرها على إضعاف سلطان بني أمية،

إلا أن أبرز تلك العوامل التي واجهت بني أمية كان العامل الأساسي وهو نشوب الخلاف الذي دبّ بين أفراد البيت الأموي من أجل الخلافة.

لقد جرت محاولات من قبل كبار بني أمية لتحويل الخلافة عن أحدهم إلى غيره ولكن هذه المحاولات بدت أكثر ضرراً وأبعد أثراً عندما أوشكت الخلافة أن تنتقل من أبناء عبدالملك بن مروان إلى أبنائهم، فازدادت المنافسة بين أبناء الأبناء، واشتدت حتى صار عقلائهم يخشون أن يُفْضِي ذلك إلى زوال سلطانهم.

قال العباس بن الوليد بن عبدالملك، في نصحه لأخيه يزيد:

إني أعيذكم بالله من فتن	مثل الجبال تتسامى ثم تندفع
إن البرية قد ملت سياستكم	فاستمسكوا بعمود الدين وارتدعوا
لاتلحمن ذئاب الناس أنفسكم	إن الذئاب إذا ما ألحمت رتعوا
لاتبقرن بأيديكم لبطونكم	فثم لا حسرة تغني ولا جزع

إلا أن ذلك النصح لم يقبل وقتل يزيد بن الوليد الوليد بن يزيد فأدى ذلك إلى أمور أهمها:-

ثار أهل حمص وأعلنوا الطلب بدم الوليد بن يزيد وهجموا على دار العباس ابن الوليد بن عبد الملك أخي يزيد وأخرجوه وأهله من بيتهم وهدموا داره.

أ- ثار أهل فلسطين وبايعوا يزيد بن سليمان بن عبدالملك.

ب- ثار أهل الأردن وبايعوا محمد بن عبدالملك بن مروان ولكن يزيد بن الوليد استطاع أن يستميلهم.

ج- امتنع نصر بن سيار الذي كان والياً على خراسان من قبل الخليفة المقتول الوليد بن يزيد، امتنع من أن يسلم عمله للعامل الذي عين من قبل والي يزيد بن الوليد على العراق، لذلك وقعت الفتنة في خراسان بين مؤيد للخليفة

القائم ومعارض. وبعد موت الخليفة يزيد بن عبدالملك زحف مروان بن محمد بالجيش نحو دمشق يعلن الطلب بدم الخليفة المقتول الوليد بن يزيد ولا يعترف بخلافة الخليفة إبراهيم بن الوليد وقد كلف مروان ذلك أن يشتبك مع:

١- بشر بن الوليد بن عبدالملك الذي ولاه أخوه يزيد على قنسرين فأسره مروان وأسر أخاه مسروراً وحبسهما.

٢- اشتبك مروان مع جيش أرسله الخليفة إبراهيم بن الوليد بن عبدالملك بقيادة سليمان بن هشام بن عبدالملك وهزمه في معركة عين الحر.

٣- أما في العراق فإن أهل الكوفة قالوا لعبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب وكان زار الكوفة قالوا له: أدع إلى نفسك فبنو هاشم أولى بالأمر من بني مروان.

٤- انتفض أهل الشام وثاروا على مروان بعد ما كان غلب على الشام، وكان الذي يحرضهم ثابت بن نعيم الجذامي فاضطر مروان إلى أن يحاربهم فحاربهم وأخضعهم لسلطانه.

٥- قال الجند لسليمان بن هشام بن عبدالملك ١٢٧هـ أنت أرضى من مروان عند أهل الشام وأولى منه بالخلافة فأطاعهم واعلن الخروج على مروان فقاتله مروان وهزمه وهزم جمعه.

٦- أعلن الخوارج في هذه الأثناء الثورة فثار سعيد بن بهدل الشيباني في الجزيرة، وثار بسطام البهي في الجزيرة أيضاً وقتل سعيدُ الشيباني بسطاماً ثم خلف من بعد سعيد في قيادة الخوارج الضحاك بن قيس الشيباني وقد استطاع هذا أن يستولي على العراق.

٧- كما ثار الخوارج في خراسان وثاروا في مكة والمدينة وبالرغم أن مروان بن محمد نجح في التغلب على ثورات الخوارج وإخضاع من

ثار سواء بالعراق أم في الشام، فإن المسلمين بعامة لم ينظروا بعين الرضا إلى أخذ مروان الخلافة بحد السيف وقهر الناس، ودخلت النفوس نفرة، وتصدعت عصبة بني أمية في الشام وغيرها وانعكس ذلك على موقف الجند في معركة الزاب بين مروان وبني العباس ولم يخلصوا في القتال الإخلاص المعهود، وعندما تراجع مروان من معركة الزاب نحو الشام لم يجد في أثناء رجوعه معيناً ولا نصيراً من أهل الشام ولم يكن حاله في مصر أفضل فقد تخلى الناس عنه هناك حتى قتل[١].

(١) من محاضرات الدكتور محمد ضيف الله بطاينة، في الجامعة الإسلامية ١٤١٤هـ.

الفصل الثالث

الخلافة العباسية

تنسب الخلافة العباسية إلى العباس بـن عبدالمطلـب عم الرسـول صلـى اللـه عليه وسلم وكان قيام هذه الخلافة في سنة ١٣٢هـ وقبل البدء في دراسـة هذه الخلافة نتطرق أولا إلى كيفية نشأتها؟ (*)

المبحث الأول

ظهور الدعوة العباسية وتطورها

لاحظنا أن الخلافة انتقلت إلى بني أمية أولاً: بتنازل الحسن بن علـي رضـي الله عنهما لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنـه، وثانيـا: بترسـيخ مـروان بـن الحكم وابنه عبدالملك مبدأ التوارث في الحكم، ولكـن الخلافـة العباسـية لـم يكـن ظهورها بنفس الشكل.

ظهرت في الخلافة الأموية دعوات معارضة منها دعوة آل البيت وقد تمثلت أولاً في خروج الحسين بن علي رضي الله عنهما ثم حفيده زيد بـن علـي، كمـا ظهرت حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي التي نادت بإمامة محمد بـن الحنفيـة، وهـذه الحركـة تدعـى الكيسـانية وتمـيزت هـذه الحركـة عـن سـابقاتها

(*) جل الفصل أخذته من محاضرات الشيخ عبدالعزيز نور ولي.

بأن لها مبادئ وأفكار مستقاة من أفكار السبئية التي أخذت عن المجوسية والهندوكية والمسيحية واليهودية[1].

ورغم أن محمد بن الحنفية لم يكن له علاقة بهذه الحركة إلا أن المختار استغل اسمه ومع أن هذه الحركة قد هزمت إلا أن جذورها بقيت تعمل لتنشر أفكارها بين الناس، وقد انقسمت هذه الدعوة بعد وفاة محمد بن الحنفية إلى قسمين:

قسم ادعى أن محمد بن الحنفية لم يمت وإنما اختفى في جبل رضوى[2]، وعنده عين ماء وعين عسل يأخذ منهما رزقه وهو المهدي المنتظر وهذا القسم يدعي بالكربية نسبة إلى أبي محرب الضرير[3]. وقسم آخر اعتقد موت محمد ابن الحنفية وانتقال الأمر من بعده لابنه أبي هشام عبدالله بن محمد، ويدعي بالهاشمية نسبة لأبي هاشم[4].

كان أبو هاشم طموحاً جمع حوله الأتباع وأحاط حركته بسرية تامة واستمر هو يزور البلاط الأموي لإبعاد الشبهة عنه ورغم ذلك فقد أحس الخليفة سليمان ابن عبدالملك بخطره ويقال أنه دس له من سقاه السم وهو في طريقه إلى الحجاز، ولما أحس أبو هشام بدنو أجله مال إلى الحميمة[5]. حيث يعيش محمد ابن علي بن عبدالله بن عباس وأولاده، وأطلعه على أخبار دعوته وعرفه بأتباعه ودعاته. وأعطاه كتاباً إليهم يأمرهم بطاعته وهكذا انتقلت الدعوة

---

(١) راجع مبادىء الكيسانية في الملل والنحل للشهرستاني، وغيره من مصادر الفرق.

(٢) رضوي : من جبل تهاة يقع بين المدينة وينبع (ياقوت:٣/٥١).

(٣) عبدالقاهر البغدادي : الفرق بين الفرق: ٣٧.

(٤) الملل والنحل : ٢٠١/١.

(٥) الحميمة : بلد في أطراف الشام قرب عمان (ياقوت :٣٠٧/٢).

الهاشمية إلى العباسيين وذلك سنة ٩٨هـ[١].

أ- مراحل الدعوة:

وجه محمد بن علي في عام ١٠٣هـ اثني عشر نقيباً إلى خراسان ليقوموا بالدعوة فيها، ثمانية من العرب وأربعة من غير العرب، ويرتبط بكل نقيب عدد من الدعاة يدعون الناس دون أن يبينوا مَن الإمام، وكانوا يحيطون عملهم بسرية تامة، واختيرت خراسان مركز للدعوة العامة لاضطراب أحوالها من حيث كثرة المشاحنات فيها بين القيسية واليمانية وقربها من بلاد ما وراء النهرين حيث يكثر الفرس والموالي الذين يبتغون الحصول على امتيازات أكبر، ولبعدها عن مركز الخلافة الأموية، أما الكوفة فلا تصلح لدعوة عامة ولكن لدعوة خاصة سرية جداً وذلك لشدة المراقبة عليها من قبل ولاة بني أمية إضافة إلى خذلانها لكل دعوة بعد انضمامهم لها[٢].

أرسل محمد بن علي في عام ١٠٩هـ رجلاً قوياً متفهماً للمحيط الفارسي واسمه عمار ولقب بخداش فقام بنشاط واسع لنشر الدعوة في خراسان ولكنه اتصل بأصحاب المبادئ المنحرفة مثل الخرمية مما أغضب عليه محمد بن علي واستطاع ولاة بني أمية القبض عليه وقتله سنة ١١٨هـ[٣].

توفي محمد بن علي في سنة ١٢٥هـ وانتقل الأمر من بعده لابنه إبراهيم الذي عمل على تنظيم الدعوة وإعطائها صفتين جديدتين:

---

(١) التاريخ الإسلامي، لمحمود شاكر : ٥/٤٣-٤٥، فاروق عمر: طبيعة الدعوة العباسية، فصل تنظيم الدعوة وتفجيرها.

(٢) المرجع السابق : ٥/٤٣-٤٥.

(٣) المرجع السابق : ٥/٤٣-٤٥.

١- إن الدعوة والبيعة للرضا من آل البيت.

٢- الأخذ بثأر شهداء آل البيت.

وانضم بذلك إلى هذه الدعوة الشيعة وأخذوا في تأييدها، كما أعطى الدعوة دفعة جديدة باختياره لأبي مسلم الخراساني قائداً عاماً لها في خراسان على أن يستشير سليمان بن كثير الخزاعي الذي قام بالدعوة بعد خداش وكان أبو مسلم شاباً مما جعل سليمان ابن كثير أن لايعطيه الثقة الكاملة في بداية الأمر، ولكنه أظهر كفاءة وقدرة أرغمت سليمان على الانسحاب، وانفرد أبو مسلم بالقيادة في خراسان سنة ١٢٨هـ[١].

استطاع أبو مسلم أن يضم إليه العرب اليمانية ومن ثم عمد إلى السيطرة على خراسان فتم له ذلك بتغلبه على نصر بن سيار والي بني أمية ثم وجه إبراهيم بن قحطبة الطائي على رأس جيش إلى العراق فانتصر على يزيد بن هبيرة والي الأمويين على العراق.

شك مروان بن محمد في أن الدعوة التي تنتشر في خراسان وراءها إبراهيم ابن محمد العباسي فألقى القبض عليه وكما أحس إبراهيم إنه مقتول لا محالة عهد بالأمر لأخيه أبي العباس وأمره بالخروج من الحميمة والتوجه إلى الكوفة، فسار أبو العباس بإخوته وأعمامه إليها، وهناك أخذت البيعة له رغم محاولة أبي سلمة الخلال القائم بالدعوة في الكوفة من نقل الأمر إلى العلويين، ثم وجه أبو العباس عمه عبدالله بن علي إلى الشام لحرب بني أمية فسار عبدالله إليها وطرد مروان منها بعد أن هزمه في موقعة الزاب، ولما استقر الأمر له في الشام لاحق مروان بن محمد حتى وقع في يديه في بوصير بمصر وقتل[٢].

---

(١) التاريخ الإسلامي، مرجع سابق : ٥/٤٣-٤٥.

(٢) المرجع السابق : ٥/٤٣-٤٥.

ب- نظرة عامة في الدعوة العباسية :

١- يذكر كثيرٌ من الباحثين أن الدعوة العباسية هي ثورة فارسية ضد السيادة العربية التي تمثلت في الخلافة الأموية، ولكن لو تتبعنا هذه الدعوة في مراحلها المختلفة لوجدنا:

أولاً: أن النقباء الذين بعثهم محمد بن علي إلى خراسان كان معظمهم من العرب واختيار القواد في خراسان من الموالي لايعني إنها ثورة فارسية لأن اختيار قائد من الموالي لخراسان يناسب تلك البلاد كما اختير قائد عربي للعراق وعباسي للشام.

ثانياً: لو رجعنا إلى المصادر التاريخية لوجدنا أن مقاومة الدعوة لم تكن من العرب كما أن مؤيديها لم يكونوا من الفرس في خراسان، بل إن هناك كثيراً من الموالي حاربوا الدعوة في خراسان إلى جانب ولاة بني أمية، كما أن كثيرا من العرب وقفوا إلى جانب الدعوة وأيدوها.

ثالثاً: اختيار خراسان مركز للدعوة ليس دليلاً على موالاة الموالي لها حيث إن خراسان فتحت في عهد عثمان رضي الله عنه وفي فترة الخلافة الأموية انتقلت كثيرٌ من القبائل العربية للسكنى فيها وأصبح عدد العرب فيها ما يقارب عدد سكانها الأصليين.

٢- كانت الدعوة الهاشمية التي قادها أبو هاشم بن محمد بن الحنفية دعوة متطرفة وكانت تعمل في الخفاء للقضاء على الخلافة الإسلامية بسبب ما اعتنقته من عقائد وأفكار فاسدة، وانتقال الأمر إلى بني العباس كان في صالح الدولة الإسلامية أولاً وأخيراً، وذلك لأن بني العباس كانوا على منهج أهل السنة والجماعة بعكس تلك الطائفة، ورغم أن العباسيين رفعوا شعارات عامة أدت إلى انضمام طوائف مختلفة إليها، إلا إنهم لم يمكنوا تلك الطوائف من الأمر بعد

قيام دولتهم واستقرار الخلافة لهم، بل حاربوا تلك الطوائف، واعتناق بعض قادة الدعوة لتلك العقائد المتطرفة لايعني أن هذه الدعوة كانت ذات طبيعة متطرفة، بل إن العباسيين مثلوا الإسلام الصحيح في حركتهم كما أن عدم إدخالهم لمبادئ الغلو والرجعة والتناسخ هو الذي جذب المسلمين نحوهم أكثر من غيرهم من الفرق الأخرى، ولو اعتنقت الدعوة العباسية تلك المبادئ لاتهمها أعداؤها بانحراف العقيدة واستغلوا ذلك في مناهضتهم لها[1].

---

(١) طبيعة الدعوة العباسية : ١٢٧.

المبحث الثاني

العصور العباسية

امتد حكم العباسيين من سنة ١٣٢هـ إلى سنة ٦٥٦هـ وهي السنة التي سقطت فيها بغداد في أيدي المغول، وقسمت هذه الفترة إلى عدة عصور:

١- العصر العباسي الأول: يمتد من سنة ١٣٢هـ إلى سنة ٢٣٢هـ وهو عصر سيطرة الخلفاء كما يعرفه البعض بأنه عصر النفوذ الفارسي ولكن التعريف الأخير فيه نظر[١].

٢- العصر العباسي الثاني: ويمتد من سنة ٢٣٢ إلى سنة ٣٣٤هـ، وهو يعرف بعصر النفوذ التركي.

٣- العصر العباسي الثالث ويمتد من سنة ٤٤٧هـ إلى سنة ٦٥٦هـ، وهو يعرف بالعصر السلجوقى[٢].

أ- العصر العباسي الأول:

تولى الخلافة في هذه الفترة تسعة خلفاء، والشجرة التالية تبين هؤلاء الخلفاء ومدة حكم كل واحد منهم . العباس بن عبدالمطلب القرشي الهاشمي، عبدالله، علي، محمد، إبراهيم:

١- أبو العباس السفاح: (١٣٢-١٣٦)

---

(١) معركة حطين للذهبي : ١٠٩٩-١١٨٧.

(٢) عبدالعزيز سالم : دراسات في تاريخ العرب :٦/٣،١١٠٩.

٢- أبو جعفر المنصور: (١٣٦-١٥٨)

٣- المهدي (١٥٨-١٦٩)

٤- الهادي: (١٦٩-١٧٠)

٥- الرشيد: (١٧٠-١٩٣)

٦- الأمين (١٩٣-١٩٨)

٧- المأمون (١٩٨-٢١٨)

٨- المعتصم: (٢١٨-٢٢٧)

٩- الواثق: (٢٢٧-٢٣٢)

ب- شخصيات خلفاء العصر العباسي الأول:

أولاً: أبو العباس السفاح (١٣٢-١٣٦هـ):

هو عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس، كان شاباً مليحاً مهيباً أبيض طويلاً ووقوراً، مات وهو في أوائل العقد الرابع من عمره وكان مشهورا بجوده. بويع له بالخلافة سنة ١٣٢هـ في الكوفة وتوفي بالجدري في ١١ من ذي الحجة سنة ١٣٦هـ بالأنبار(١).

ثانيا: أبو جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ):

هو عبدالله بن محمد بن علي، ولد سنة خمس وتسعين أو نحوها، ضرب في الآفاق ورأى البلاد، وطلب العلم وكان أسمراً طويلاً نحيفاً مهيباً، خفيف العارضَين، ومُعَرَّقَ الوجه، رحْبَ الجبهة، وكان مهيباً شجاعاًذا رأي

---

(١) البداية والنهاية : ٦٣/١٠.

وحزم، ودهاء وجبروت وكان حريصاً على المال، تاركاً للهو واللعب، ذا فقه وأدب وعلم وكان صحيح الإسلام[1]. كان حليماً رغم شدته، وكان يتصدى لمصالح الناس أول النهار، وينظر في مصالح أهله في آخره، ولا يرضى من عماله انشغالهم باللهو[2].

كان يلقب بأبي الدوانيق لشدة محاسبته للصُنّاع، ومع ذلك كان جواداً بالمال في المهالك وكان يعتبر نفسه من الملوك فكان يقول الملوك أربعة معاوية وعبدالملك وهشام بن عبدالملك وأنا[3]. تولى الخلافة سنة ١٣٦هـ وتوفي في ذي الحجة ١٥٨هـ وكان سائراً إلى مكة للحج ودفن بها[4].

ثالثاً: المهدي: (١٥٨-١٦٩هـ):

هو محمد بن عبدالله بن محمد بن علي ولد سنة سبع وعشرين ومائة وكان جواداً مقداماً وكان محبوباً إلى رعيته محارباً للزندقة منكِّلاً بأهلها طلب العلم وتأدب وولى طبرستان في خلافة أبيه[5]. وقد لقب بالمهدي رجاء أن يكون الموعود في الأحاديث فلم يكن هو وكان تولى الخلافة سنة ١٥٨هـ وتوفي في المحرم من سنة ١٦٩هـ[6].

رابعاً: الهادي: (١٦٩-١٧٠هـ):

هو موسى بن محمد بن عبدالله بن محمد، ولد بالري وكان أبيض طويلاً

---

(١) سير أعلام النبلاء :٨٣/٧.

(٢) البداية والنهاية : ١٢٨/١٠.

(٣) السير: ٨٣/٧-٨٤.

(٤) المصدر السابق ٨٧/٧.

(٥) المرجع السابق : ٤٠٠/٧-٤٠١.

(٦) البداية والنهاية : ١٥٥،١٦١.

جسيماً، وكان فيه ظلم وشهامة ولعب وكان شجاعاً فصيحاً لسناً أديباً مهيباً عظيم السطوة كان مثل والده في إستئصال الزنادقة، وكان يكره تدخل النساء في شؤون الدولة، وقد قال لأمه الخيزران، وكانت متصرفة في الأمور: لئن وقف ببابك أمير لأقتلنَّكِ، أما لك مغزل يشغلُكِ أو مصحف يذكرك، تولى الخلافة سنة ١٦٩، وتوفي في ربيع الأول من سنة ١٧٠هـ[(١)].

خامساً: الرشيد: (١٧٠-١٩٣هـ):

هو هارون بن محمد بن عبدالله بن محمد، كان مولده بالري سنة ١٤٨هـ، وكان أبيض طويلاً جميلاً وسيماً يميل إلى السمن، وكان من أنبل الخلفاء وأحشم الملوك، ذا حج وجهاد وغزو وشجاعة ورأي، وفصاحة وعلم وبصر بأعباء الخلافة، وله نظر جيد في الأدب والفقه[(٢)]. غزا بلاد الروم وهو صغير السن في خلافة والده، ولما تولي الخلافة كان يغزو عاماً ويحج عاماً، وكان يصلي مائة ركعة في اليوم، ويتصدق بألف صدقة، وكان يحب العلماء، ويعظم حرمات الدين، ويبغض الجدل والكلام، ويبكي على نفسه، ولهوه وذنوبه لاسيما إذا وُعِظَ[(٣)] كان الرشيد إذا حج أحج معه مائة من الفقهاء وأبنائهم، وإذا لم يحج أحج ثلاثمئة بالنفقة السابغة والكسوة التامة، وكان توليه الخلافة سنة ١٧٠هـ، وتوفي بطوس في جمادى الأخرى سنة ١٩٣هـ[(٤)].

---

(١) السير ٧/٤٤١،٤٤٢،٤٤٣،٤٤٤.
(٢) المرجع السابق ٩/٢٨٦-٢٩٥.
(٣) البداية والنهاية: ١٠/١٦٤.
(٤) السير: ٩/٢٨٦-٢٨٧.

سادساً: الأمين: (١٩٣-١٩٨هـ):

هو محمد بن هارون بن محمد بن عبدالله، ولد سنة سبعين ومائة، وأمه زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر، كان كثير اللهو واللعب، فصيحاً أديباً، وقد تولى الخلافة سنة ١٩٣هـ، وكثرت في عهده الفتن بسبب الصراع بينه وبين أخيه المأمون، وانتهى الأمر بمقتله سنة ١٩٨هـ[١].

سابعاً: المأمون:

هو عبدالله بن هارون بن محمد بن عبدالله، ولد سنة سبعين ومائة، كان فيه تشيع واعتزال وجهل بالسنة الصحيحة، وكان سبب اعتزاله لاجتماع جماعة منهم حوله فأخذ المذهب عنهم، وكان يحب العلم ولكن لم يكن ذا بصيرة فيه، وكان يحفظ القرآن، وكان له اطلاع بعلوم عدة مثل الفقه والطب والفرائض والنحو والكلام والغريب، وأمر بتعريب كتب الأوائل، وعمل مرصداً فوق جبل دمشق، ودعا إلى القول بخلق القرآن، وكان ذا حزم ورأي وعقل وهيبة وحلم، وكان جوادا، ذا حافظة قوية، وكان حين توفي والده سائراً في غزو ما وراء النهر، وحدثت بينه وبين أخيه حوادث، وتولى الخلافة في المحرم سنة ١٩٨هـ، وقد مال إلى رأي العلويين فترة، ثم قال في القرآن مقالته الفاسدة وامتحن العلماء من أجلها ولم يتركها حتى توفي في رجب سنة ٢١٨هـ[٢].

ثامناً: المعتصم: (٢١٨-٢٢٧هـ):

هو محمد بن هارون بن محمد بن عبدالله، ولد سنة ثمانين ومائة، كان ذا

---

(١) البداية والنهاية : ٢٢٢/١٠-٢٣٠.

(٢) المرجع السابق.

قوة وبطش وشجاعة وهيبة، ولكنه كان قليل العلم، وكان أمير الحج سنة ٢٠٠هـ، وهو الذي فتح عمورية حين تولي الخلافة، وقد امتحن الناس بفتنة خلق القرآن، وكتب إلى الأمصار بذلك، وأخذ المؤذنين وفقهاء المكاتب بها، وأنشأ مدينة سامراء، وجعل عسكره من المماليك الترك، وأسكنهم تلك المدينة، وكان له همة عالية في الحروب، ومهابة عظيمة في القلوب، وإنما كانت همته الإنفاق على الحرب لا في البناء ولا في غيره، وكان توليه للخلافة سنة ٢١٨هـ، وتوفي في ربيع الأول سنة ٢٢٧هـ[1].

تاسعاً: الواثق: (٢٢٧-٢٣٢هـ):

هو هارون بن محمد هارون بن محمد، ولد سنة ست وتسعين ومائة، وكان من الخلفاء الذين أحسنوا إلى الطالبين حتى ماترك فيهم فقير، ولكنه بقي على سيرة أبيه وعمه في القول بخلق القرآن، وكان وافر الأدب، وكانت خلافته سنة ٢٢٧هـ، وتوفي في ذي الحجة سنة ٢٣٢هـ[2].

ج- أهم سمات العصر العباسي الأول:

١- بناء مدينة السلام (بغداد):

لقد بنيت في الخلافة الأموية عدة مدن، وكانت هذه المدن ذات صبغة عسكرية، فهي عبارة عن معسكرات للجند، وكانت هناك مدن ذات صبغة إدارية، أما في العهد العباسي فإن الخلافة كانت مرتبطة ارتباطاً

---

(١) البداية والنهاية: ٢٨٧/١٠-٢٨٨.

(٢) السير: ٢٧٢/١٠-٢٨٩.

كبيراً بالجيش والموظفين ولذلك كانت فكرة إنشاء المدن مثل بغداد وسامراء كانت تهدف إلى أن تكون المدينة الجديدة تضم دواوين الموظفين ومعسكر للجند، بويع أبو العباس السفاح للخلافة في الكوفة، ولكنه أحس إنها لاتصلح مركزاً للخلافة لميولها العلوية الواضحة، لذلك لم يستقر بها بل بدأ يتنقل بغية اختيار موقعٍ جديدٍ يكون مركزاً للخلافة، فبنى الهاشمية قرب الكوفة ثم انتقل إلى الأنبار وبنى قربها أيضاً مدينة سميت بنفس الاسم (الهاشمية)، ثم تولى أبو جعفر المنصور الخلافة فبنى الرصافة قرب الكوفة ثم قام برحلة بقصد البحث عن موقع مناسب للعاصمة الجديدة وذلك عام ١٤١هـ حيث وجده بين نهري دجلة والفرات، فهذا الموقع بين النهرين يساعد في تحصين المدينة، كما أن هذين النهرين وما تفرع عنهما من جداول يساعدان في خصوبة الأرض وهذا يوفر لسكان المدينة الغذاء وييسر لهم المواصلات النهرية، إضافة إلى اعتبارات مناخية واقتصادية أخرى كان لها تأثيرها في اختيار هذا الموقع. دعيت العاصمة الجديدة بمدينة السلام وقد بدأ بناؤها عام ١٤٥هـ وحصنت المدينة بإحاطتها بالرصافة وبمعسكر وبحفر الخنادق حولها، كما حصنت المناطق المحيطة بها فقد اعتبر بناء الرصافة معسكر المهدي على الجانب الشرقي لدجلة سنة ١٥١هـ وبناء الرافقة على التخوم السورية سنة ١٥٥هـ، من التحصينات لتلك المنطقة وبالتالي للعاصمة الجديدة، وزيادة لحماية المدينة نقلت الأسواق إلى خارج الأسوار حتى لا يتسنى للجواسيس الذين يأتون على شكل تجار لدخولها، وبنى للسوق جامعاً خاصاً به لنفس الغرض، كما بنيت المدينة بشكل دائري ليسهل الدفاع عنها، وبني قصر الخليفة ودواوين الدولة داخل الأسوار، وكانت للمدينة أربعة أبواب وهي باب خراسان وباب الكوفة وباب البصرة وباب الشام، وعلى كل باب قبة، وتعلو السور أبراج الحراسة والمراقبة وقد تم

بناؤها سنة ١٤٩هـ[١].

٢- ظهور الثورات المنحرفة، ومن هذه الثورات:

- ثورة الراوندية:

ظهرت هذه الثورة في عهد أبي جعفر المنصور وكان الراوندية يقولون بالتناسخ وادعوا ألوهية المنصور وفي سنة ١٤١هـ أتوا قصره وجعلوا يطوفون حوله ويقولون هذا قصر ربنا فقبض المنصور على رؤسائهم وسجنهم، فغضبوا وهاجموا السجن وأخرجوا رؤساءَهم منه، وقصدوا نحو المنصور، فخرج إليهم بنفسه ولحقت به جيوشه وقضت عليهم[٢].

- ثورة المقنعية:

وهم أتباع المقنع اسمه عطاء، وكان يقول بالتناسخ ويزعم أن الله ظهر في صورة آدم ولهذا سجدت له الملائكة، ثم نوح والأنبياء من بعده واحدا تلو الآخر، ثم تحول إلى أبي مسلم الخراساني ثم تحول إليه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وكان قبيح الوجه أعور، ولذلك اتخذ قناعا من ذهب على وجهه وكان يُري أتباعه قمراً يُرى من مسافة بعيدة، فعظم اعتقادهم به ومنعوه بالسلاح، وحاصره جيش المسلمين بقيادة سعيد الحريثي في قلعته سنة ١٦٣هـ، وألحوا عليه في الحصار فلما أحس بالغلبة تحسى هو ونساؤه سماً فماتوا، ودخل جيش المسلمين قلعته واستحوذوا على أمواله[٣].

---

(١) تاريخ بغداد: ١٣/١، فاروق العمر : العباسيون الأوائل.

(٢) البداية والنهاية : ٧٨/١٠.

(٣) المصدر السابق : ١٤٩/١٠.

- ثورة الخرمية:

أتباع بابك الخرمي الذي ظهر في آخر عهد المأمون، وكان يقول بالتناسخ ووجود إلهين وإباحة النساء، وقوي أمره في خلافة المعتصم وما زال المعتصم يرسل إليه الجيوش حتى قضى عليه سنة ٢٢٢هـ[١]. وهناك حركة سبناذ المجوسي سنة ١٣٧هـ خرج يطلب دم أبي مسلم الخراساني، وحركة أستاذ سيس في بلاد خراسان سنة ١٥٠هـ.

ويلاحظ في معتقدات هذه الحركات إنها امتداد لمعتقدات المزدكية التي أخذت عن المانوية والتي ظهرت أيام قبادر والد أنو شروان، وكانت تقول بوجود إلهين النور والظلمة، وكانوا ينهون الناس عن الخلاف والمباغضة والقتال، ولما كان أكثر ذلك يقع بسبب الأموال والنساء في نظرهم أباحوها وجعلوا الناس شركة فيهما كاشتراكهم في الماء والنار والكلأ[٢].

---

(١) محمود شاكر : ٢٢١/٥.

(٢) التاريخ الإسلامي: ٢١٩/٥.

المبحث الثالث

العصر العباسي الثاني

لاريب إنه قد صاحب ظهور العصر العباسي الأول تشكيلات سياسية، وولايات أسرية، وأمارات مذهبية مستقلة كالأغالبة، والأدارسة، وغيرهم. وكانت بدايات العصر العباسي لهذه الحقبة تعتبر منذ عهد الخليفة جعفر المتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ) أما نهاية هذه العصر كانت في آخر عهد الخليفة عبدالله المستكفي (٣٣٣-٣٣٤هـ). وإليك ترتيب أسماء خلفاء الدولة العباسية في عهدها الثاني:

١- جعفر المتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ)
٢- محمد المنتصر (٢٤٧-٢٤٨هـ)
٣- أحمد المستعين (٢٤٨-٢٥٢هـ)
٤- محمد المعتز (٢٥٢-٢٥٥هـ)
٥- محمد المهتدي (٢٥٥-٢٥٦هـ)
٦- أحمد المعتمد (٢٥٦-٢٧٩هـ)
٧- أحمد المعتضد (٢٧٩-٢٨٩هـ)
٨- علي المكتفي (٢٨٩-٢٩٥هـ)
٩- جعفر المقتدر (٢٩٥-٣٢٠هـ)
١٠- محمد القاهر (٣٢٠-٣٢٢هـ)
١١- محمد الراضي (٣٢٢-٣٢٩هـ)
١٢- إبراهيم المتقي (٣٢٩-٣٣٣هـ)
١٣- عبدالله المستكفي (٣٣٣-٣٣٤هـ)

أولاً: سمات العصر العباسي الثاني:

١- بدأ النفوذ التركي:

كان المعتصم قد استخدم الجند الترك وأكثر من ذلك حتى زاد إذاهم في بغداد وتضايق الناس منهم، فبنى لهم مدينة (سر من رأى) [1] وكان هؤلاء الجند يستعان بهم في الجهاد والقضاء على الحركات الخارجية على الدولة[2]، ولكن بدأ نفوذ هؤلاء الترك يزداد وبخاصة مع ضعف الخلفاء، وبدؤوا يتسلطون على أمور الدولة وأصبح الخليفة في كثير من الأحيان اسماً أو صورة في قصره ليس عليه إلا التوقيع على التعليمات أو إصدار الأوامر التي يفرضها عليه القادة، وقد وصف أحد الشعراء ذلك بقوله:

خليفة في قفص   بين وصيفٍ وبغا
يقول ما قالا له   كما تقول الببغا

والذي ساعد في ضعف الخلفاء أن معظمهم تولوا الخلافة وهم لازالوا في سن لم تساعدهم على تمرس أمور الدولة، فنجد من الخلفاء من لم يتجاوز الثلاثين من عمره عند المبايعة مثل المتوكل والمنتصر والمستعين والمعتمد والمكتفي والراضي.

وهناك من لم يتجاوز العشرين، فالمعتز تولى الخلافة وهو في التاسعة عشرة، والمقتدر بويع له وهو لم يتجاوز الثالثة عشرة. أما من تجاوز الثلاثين منهم: المهتدي الذي بلغ الخامسة والأربعين حين بويع له، والمعتضد وكان عمره سبعاً وثلاثين حين تولى الخلافة والقاهر وقد بلغ اثنين وثلاثين سنة حين

---

(١) التاريخ الإسلامي : ١٢/٦.

(٢) المصدر السابق: ١٣/٦.

تولى الخلافة، والمتقي أربعاً وثلاثين، والمستكفي أربعين سنة.

إضافة إلى أن معظم هؤلاء الخلفاء يتولى الأمر بمساعدة القادة الترك، وبالتالي يكون أداة طيعةً في أيديهم، فنجد الجند الترك كانوا يرغبون في تولية محمد بن الواثق ولكنهم عدلوا عنه لصغر سنه إلى جعفر المتوكل بن المعتصم، ثم ابنه محمد المنتصر تولاها أيضاً بمساعدتهم بعد مقتل والده، ثم أحمد المستعين بن المعتصم بايعوه وعدلوا عن أولاد المتوكل خوفاً منهم أن يثأروا لأبيهم، ومحمد المعتز بن المتوكل بويع له بعد خلع عمه المستعين، وكذلك محمد المهتدي بن الواثق ولي بعد أن أُشْهِدَ على المعتز أمامه بأنه عاجز عن الخلافة واعترف بذلك، ثم أحمد المعتمد بن المتوكل الذي بويع له بعد مقتل المهدي، ثم أحمد المعتضد بن طلحة الموفق بن المتوكل، ثم علي المكتفي بن المعتضد، ثم جعفر المقتدر بن المعتضد الذي عهد إليه أبوه، وما لبث أن خلع ثم قتل وبويع محمد القاهر بن المعتضد بعد أن زهد فيها عبدالله بن علي المكتفي، ثم جاء محمد الراضي بن المقتدر بعد خلع عمه القاهر، ثم إبراهيم المتقي بن المقتدر الذي بويع له بعد أخيه، ثم أخيراً عبدالله المستكفي بن المكتفي الذي بويع له بعد خلع المقتدر.

كما أن تسلط بعضهم على بعض ساعد في ضعفهم فنجد المنتصر يتسلط على أبيه مما شجع الأمراء على قتله كما تسلط على أخويه المؤيد والمعتز ليخلعهما من ولاية العهد، كما وقع القتال بين المستعين والمعتز طلباً للخلافة وانتهى الأمر بخلع المستعين ومبايعة المعتز، وقام المعتز بخلع أخيه المؤيد من ولاية العهد، وأبعد ابن عمه المهتدي، وأيضاً لصغر سن المقتدر حاول جماعة عزله وولوا ابن المعتز ولكن مؤيدي المقتدر استطاعوا استعادة الخلافة له وسجن ابن المعتز كما عذب القاهر عندما تولى الخلافة آل أخيه المقتدر.

ومع ضعف هؤلاء الخلفاء إلا أن بعضهم كان فيه صلاح ومع ذلك فإن صلاحهم لم يفد رعيتهم كثيرا، فهناك المتوكل الذي نصر السنة وقضى على فتنة خلق القرآن، والمهتدي كان ورعاً متعبداً صواماً عادلاً، والمعتضد كانت أيامه طيبة كثيرة الأمن والرخاء، أسقط المكوس ونشر العدل ورفع الظلم عن الرعية، ثم المكتفي ساس الرعية بسيرة حسنة فأحبوه ودعوا له، والراضي كان سمحاً كريماً أديباً شاعراً محباً للعلماء، ثم المتقي كان كثير التلاوة للقرآن.

ولم تخل هذه الفترة من محاولات لبعض الخلفاء في التخلص من النفوذ التركي، فالمتوكل حاول نقل الخلافة إلى دمشق لذلك، كما كان المنتصر يصفهم بأنهم قتلة الخلفاء، وعاد المستعين إلى بغداد ليتخلص من نفوذهم ولم يقبل اعتذارهم وحذا المعتمد حذوه في العودة إلى بغداد، وبعدها لم يعد أحد من الخلفاء بعده إلى سامراء، وقد كان أخوه الموفق هو القائم بأمر الدولة، واستطاع الموفق برجاحة عقله وحسن تدبيره أن يسير أمور الدولة، كما جلس للمظالم وقاد الجيوش بنفسه للقضاء على ثورة الزنج، ولكنه توفي قبل الخليفة، ثم المعتضد الذي جدد ملك بني العباس بعد أن كاد يزول، وكان يسمى السفاح الثاني، وقد كانت فترة المعتمد والمعتضد (٢٥٦-٢٨٩هـ) فترة انتعاش وقوة للخلافة بجهود الموفق وابنه المعتضد.

٢- ظهور منصب أمير الأمراء:

بدأ ظهور هذا المنصب في خلافة الراضي (٣٢٢-٣٢٩هـ) وذلك مع فساد وضع الوزراء وعجزهم واضطراب أحوال الدولة وكثرة الطامعين فيها، كل هذه الأمور دفعت الخليفة إلى استحداث هذا المنصب وتوليته لشخص يستطيع إدارة الدولة والنظر في كل شؤونها، وكان أول من تولى هذا المنصب محمد بن رائق وكان والي البصرة وواسط وامتاز بعلو الهمة والشجاعة والشهامة وتولى

هذا المنصب سنة ٣٢٤هـ[١].

وبظهور منصب أمير الأمراء ضعف منصب الوزير وقل نفوذه، وذلك لأن أمير الأمراء أصبح هو حاكم الدولة بتسلمه لمقاليد الأمور، فهو الذي يولي ويعزل الولاة، كما أن الأموال تجلب إليه فينفقها فيما يراه مناسباً، كما أصبح يدعا له على المنابر مع الخليفة ونقش اسمه على السكة تحت اسم الخليفة[٢].

ولكن سرعان ما أصبح هذا المنصب مطمع الطامعين، وكان أول من انتزعه "بجكم" الذي دخل بغداد سنة ٣٢٧هـ، ومع فساد هذا المنصب فسدت أمور الدولة واضطربت أحوالها وأدى هذا إلى ضعف حالة الدولة العباسية، ولم يبق للخليفة غير بغداد وأعمالها، وأما بقية أنحاء الدولة فتولى أمورها أُسِر مختلفة مثل الحمدانيين والساسانيين والبويهيين وغيرهم[٣].

٣- مقتل معظم خلفاء هذا العصر:

كان من أضرار النفوذ التركي على الخلافة العباسية، إنهم تسلطوا على الخلفاء أنفسهم فإذا أحسوا من خليفة ميلاً عنهم أو نفور الناس منه لشدة خضوعه لقواده الترك عملوا على إزاحته وتولية غيره لتحقيق مصالحهم أو لاسترضاء العامة، ولما كان عزل الخليفة وخلعه لا يتأتى إلا إذا فقد الخليفة لشرط من الشروط الواجب توافرها فيه أو موته لجؤوا إلى القتل وأحيانا إلى سمل العينين فيصاب بالعمى وبالتالي يفقد شرط الأبصار.

والخلفاء الذين قتلوا في هذا العصر هم، المتوكل حيث دبر ابنه المنتصر مع

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٣٢٥/١٥.

(٢) تاريخ عصر الخلافة العباسية، ليوسف العش:١٨٢.

(٣) حسن إبراهيم حسن:٢٨/٣.

الترك مؤامرة لاغتياله، وكانت المحاولة الأولى لاغتياله في دمشق ولكنهم فشلوا، ثم كانت المحاولة الثانية التي تكللت بالنجاح على يد بعض قادة الترك بالسيف. ثم تلاه المنتصر الذي غضب على الترك، ففكروا في قتله وأوعزوا لطبيبه بذلك وأعطوه مالاً كثيراً ففصده بريشة مسمومة فمات. ثم المستعين الذي تنكر للترك وامتنع عن العودة إلى سامراء فخلعوه وبايعوا ابن أخيه المعتز، وقامت الحرب بينهما وهزم المستعين ولكن القادة الترك لم يكتفوا بخلعه ونفيه فقد أوجسوا خيفة من بقائه حياً، وزينوا للمعتز بقتله، ثم أرسلوا أحد حجاب القصر في شرذمة من الجيش فقتله.

ثم أنهم ما لبثوا أن قتلوا المعتز حيث دخل جماعة منهم إليه وجروه برجله إلى باب الحجرة وضربوه بالدبأبيس وخرقوا قميصه وأقاموه في الشمس، فكان يرفع رجلاً ويضع أخرى من شدة الحرارة، ولازالوا يلطمونه، ثم أشهدوا عليه خلع نفسه وسلموه إلى من يعذبه فمنعوا عنه الماء والشراب ثلاثة أيام، ثم أدخلوه سرداباً وسد عليه بابه فمات، ثم المهتدي حيث ثار عليه الترك وأسروه ثم خلعوه ثم عذبوه حتى مات، ثم المقتدر الذي خلع مرتين ثم أعيد إلى الخلافة وأخيراً خرج عليه أحد قادة الترك، وانتهى الأمر بقتله، ثم القاهر الذي خلع وسملت عيناه وحبس واستمر في الحبس حتى مات سنة ٣٥٧هـ، ثم المستكفي الذي قتله الديلم بعد أن جروه من سريره وساقوه ماشياً إلى منزل معز الدولة وسلموه وحبسوه حتى مات سنة ٣٣٨هـ[(١)].

---

(١) انظر : الكامل في التاريخ في سنة وفاته أو خلعه في الجزء السادس، وتراجمهم في سير أعلام النبلاء في الجزء الرابع عشر والخامس عشر والتاريخ لحسن إبراهيم حسن الجزء الثالث.

المبحث الرابع

العصر العباسي الثالث

وهكذا انتهى العصر العباسي الثاني بتلك الفجائع المريرة، والأحقاد الدفينة، والمكائد الخبيثة. ثم أعقب هذا العصر عصرٌ آخر يسمى في المنظومة السياسية بالعصر العباسي الثالث، حيث يؤرخ لهذا العصر منذ بداية عهد الخليفة المطيع لله وامتد هذا العصر من عام ٣٣٤هـ، واستمر إلى نهاية عام ٤٤٧هـ حيث كانت نهاية خلافة الخليفة عبدالله القائم. وتولى الخلافة في هذه الحقبة الزمانية أربعة خلفاء من بني العباس وهم:

١- الفضل المطيع (٣٣٤-٣٦٣).

٢- عبدالكريم الطائع (٣٦٣-٣٨١).

٣- أحمد القادر (٣٨١-٤٢٢).

٤- عبدالله القائم (٤٢٢-٤٦٧).

سمات العصر العباسي الثالث

أولاً: سيطرة الأسرة البويهية على الحكم:

تنتسب الأسرة البويهية إلى بوية بن فناخسرو الديلمي، وكان علي بن بويه الذي لقب بـ عماد الدولة، أحد قادة الديلم، ولكنه سرعان ما تملك البلاد، واستطاع هو وإخوته الحسن الملقب بـ ركن الدولة، وأحمد الملقب بـ معز

الدولة، أن يستولوا على شيراز التي استقر فيها علي بن بويه وجعلها مركزاً لحكمة وعراق العجم حيث استقر الحسن بن بويه، وكرمان والأهواز حيث استقر أحمد، وكان الأخوين الحسن وأحمد يدينون بالولاء لأخيهم الأكبر علي ابن بويه. زحف أحمد بن بويه معز الدولة إلى بغداد سنة ٣٣٤هـ، واستقبله الخليفة المستكفي استقبالاً حافلاً وقلده أمير الأمراء ومنحه وأخويه الألقاب، ولكن سرعان ما ساءت العلاقة بين أحمد بن بويه والخليفة المستكفي حيث اتهم الخليفة بعمله في الخفاء على إزالته وإعادة الحكم للترك، فخلعه وبايع ابن عمه المطيع بالخلافة[1].

وبتملك أسرة بني بويه على بغداد بدأ عهد جديد من عهود العصر العباسي سمي بالعصر البويهي لم يكن حال الخلافة العباسية في العصر البويهي بأحسن من حاله في العصر التركي الذي سبقه فرغم أن مدة كل خليفة من خلفاء هذا العصر قد طالت إلا إنهم بقوا ضعافاً ليس لهم من الأمر شيء، وقد تتابع على الحكم في العراق من البويهيين أحمد بن بويه الذي لقب كما أسلفنا بمعز الدولة (٣٣٤-٣٥٦هـ)، ثم ابنه بختيار الذي لقب بعز الدولة (٣٥٦-٣٦٧هـ)، ثم عضد الدولة بن ركن الدولة الحسن بن بويه (٣٦٧-٣٧٢هـ)، ثم ابنه أبو كاليجار المرزبان الذي لقب بصمصام الدولة (٣٧٢-٣٧٦هـ)، ثم أخوه شرف الدولة الذي انتزع الحكم منه (٣٧٦-٣٧٩هـ) ثم أخوهما أبو نصر الذي لقب ببهاء الدولة (٣٧٩-٤٠٣هـ) ثم جاء بعده ابنه أبو شجاع الذي لقب بسلطان الدولة (٤٠٣-٤١١هـ) ثم أخوه مشرف الدولة (٤١١-٤١٦هـ) ثم أخوهما أبو طاهر الذي لقب بجلال الدولة (٤١٦-٤٣٥هـ) ثم أبو كاليجار بن سلطان الدولة

---

(١) التاريخ العباسي والفاطمي للعبادي : ١٦٢-١٦٣.

(٤٣٥-٤٤٠هـ) ثم ابنه أبو نصر خسرو فيروز الذي لقب بالملك الرحيم (٤٤٠-٤٤٧هـ) الذي انتهى عصر بني بويه به[1].

ثانياً- استفحال سلطان الشيعة:

لقد انتشر في هذا العصر سلطان الشيعة في مناطق متعددة من العالم الإسلامي آنذاك، سواء بظهور دويلات مستقلة لهم أو ظهور أحزاب شيعية مختلفة.

أ- البويهيون:

لقد كانت الأسرة البويهية التي تقلدت الحكم على بغداد وجعلت الخليفة تحت سيطرتها كانت هي نفسها تعتنق المذهب الشيعي، بل إنهم أظهروا عقيدتهم بكل وضوح وتحدوا الناس من أجلها، فقد أمر معز الدولة سنة ٣٥١هـ عامة الشيعة ببغداد بالكتابة على المساجد ما نصه (لعن الله معاوية بن أبي سفيان، ولعن من غصب فاطمة رضي الله عنها فدكا، ومن منع من أن يدفن الحسن عند قبر جده عليه السلام، ومن نفى أبا ذر الغفاري، ومن اخرج العباس من الشورى) وقام بعض الناس بمسحه في الليل، فأراد معز الدولة إعادة كتابته ولكن أشار عليه وزيره بأن يبدلها بـ(لعن الله الظالمين لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولايذكر أحداً في اللعن إلا معاوية، ففعل ذلك[2].

في السنة التالية أمر معز الدولة في العاشر من المحرم بغلق الأسواق وإظهار النياحة، وأن يلبسوا قباباً عملوها بالمسوح، وان يخرج النساء ناشرات

---

(١) التاريخ الإسلامي لحسن إبراهيم: ٣/٤٣-٦٣.

(٢) الكامل في التاريخ :٧/٤.

الشعور سادرات الوجوه قد شققن ثيابهن ويدرن في البلد بالنوائح ويلطمن وجوههن على الحسين بن علي رضي الله عنهما، فاستجاب الناس لذلك، ولم يستطع أهل السنة المنع لكثرة الشيعة ولان السلطان معهم، ثم تكرر هذا الأمر في السنة التي بعدها. وفي الثامن عشر من ذي الحجة من سنة ٣٥٢هـ أمر معز الدولة بإظهار الزينة في البلد وأشعلت النيران في مجلس الشرطة وأظهر الفرح وفتحت الأسواق ليلاً كما يفعل ليالي الأعياد، فعل ذلك فرحاً بعيد الغدير - يعني غدير خم- وضربت الدبابات والبوقات وكان يوماً مشهوراً.

ومع ان البويهين ناصروا مذهبهم بشكل كبير إلا أنهم لم ينقلوا الخلافة من بني العباس إلى العلويين وذلك لان هذا الأمر سيؤدي إلى صدام بينهم وبين عامة الناس، وهذا الصدام لن يكون مثل غيره مما وقع بين السنة والشيعة، بل قد يؤدي إلى إضعاف مركزهم أو زواله، ومن جهة ثانية فإن وجود خليفة علوي يعترفون بخلافته ويقرونها سيسلبهم كثيراً من صلاحياتهم، وهذه النقطة بالذات قد أشار إليها أحد خواص معز الدولة عندما أراد الأخير نقل الخلافة إلى العلويين حيث قال له: ليس هذا برأي فإنك اليوم مع خليفة تعتقد أنت وأصحابك أنه ليس من أهل الخلافة، ولو أمرتهم بقتله لقتلوه مستحلين دمه، ومتى اجلست بعض العلويين خليفة كان معك من تعتقد أنت وأصحابك صحة خلافته فإن أمرهم بقتلك لفعلوه[1].

ب- العبيديون:

نشأت هذه الحركة أولاً في المغرب على يد أبي عبدالله الشيعي، وهو رجل

(١) الكامل في التاريخ: ٣١٥/٦.

من أهل الكوفة يدعى الحسين بن أحمد بن زكريا، وكان قد تنقل بين اليمن والحجاز واستقر اخيراً في المغرب حيث بدأ دعوته السلمية عام ٢٨٨هـ واستمرت ثلاثة أعوام، عمل خلالها على جذب الأنصار إليه، وبخاصة في قبيلة كتامة البربرية، ثم كانت مرحلة الحرب التي استمرت حتى سقوط القيروان عاصمة دولة الأغالبة في يده وذلك عام ٢٩٧هـ[1].

ولما استقرت الأحوال بأبي عبدالله الشيعي طلب زعيم الدعوة التي كان في الشام وهو عبيدالله من ذرية عبدالله بن ميمون القداح الفارسي وهو يزعم أنه من ذرية فاطمة رضي الله عنها لذلك سمى دولته بالدولة الفاطمية، وادعى أنه المهدي، ولكن أكثر العلماء ينفون صحة هذا النسب، وقد قامت الدولة العبيدية في المغرب من عام ٢٩٨هـ إلى عام ٣٦١هـ وانتقلت إلى مصر عام ٣٦٢هـ واستمرت إلى عام ٥٦٤هـ، وسيأتي مزيد بيان وتفصيل عنها في الكتاب الثالث إن شاء الله.

ج- القرامطة:

قامت هذه الحركة على يد حمدان بن الأشعث الملقب بـ"قرمط"، وكان قيام حركته في الكوفة سنة ٣٧٨هـ وكان حمدان قرمط قد اعتنق المذهب الشيعي الإسماعيلي على يد أحد دعاتها وهو حسين الأهوازي، وصار قرمط من كبار دعاة الإسماعيلية واحد أصولها، وقد خلفه زعيم آخر يدعى الحسن بن بهرام ويعرف بأبي سعيد الجنابي، التفت حوله القرامطة وهاجم سنة ٢٨٧هـ هجر عاصمة البحرين وجعلها عاصمة له، وقد استفحل شرهم بشكل كبير فهاجموا

---

(١) في التاريخ العباسي والفاطمي: ٢٢٤-٢٢٥.

بغداد، كما هاجموا سنة ٢٨٩هـ دمشق وفي سنة ٣١٧هـ هاجموا الحجاج في المسجد الحرام وقتلوا من كان فيه وألقوا جثثهم في بئر زمزم، كما هاجموا من كان في طرقات مكة وما حولها وقتلوا عدداً هائلاً منهم، ونهبوا دوره وخلعوا الحجر الأسود واخذوه معهم إلى عاصمتهم وما اعادوه إلا بأمر عبيدالله المهدي العبيدي[١].

وعادوا إلى مهاجمة دمشق سنة ٣٦٠هـ واوقعوا بأهلها ما لاعين رأت ولا أذن سمعت، واستمر خطرهم على الإسلام والمسلمين إلى نهاية العصر البويهي.

د- الحمدإنيون :

ينتسب الحمدإنيون إلى قبيلة تغلب العربية، وقد نشأت دولتهم في شمال العراق والشام عام ٣١٧هـ وكانت عاصمتهم حلب، وقد دافعوا عن حدود بلاد الشام الشمالية، وكانت لهم جولات في مواجهة الروم. وكان الحمدإنيون فيهم تشيع ولكنه لم يصل إلى درجة الغلو، ولكن هذا التشيع جعل صلاتهم بالدول الشيعية الأخرى صلات جيدة، فأدت هذه الصلات إلى إرسال الهدايا الثمينة لهم، كما أن هذه الصلات اتسعت إلى حد مساعدتها لهم في هجماتهم الغاشمة على المسلمين بالمال والسلاح.

هذه بعض الحركات والدول التي اعتنقت المذهب الشيعي وظهرت في هذا العصر، وهناك غيرها، وقد بسطت نفوذها على بقاع شاسعة من العالم الإسلامي آنذاك وأذاقت أهل السنة الويلات ولكن الله غالب على أمره[٢].

---

(١) الكامل في التاريخ : ٦/٢٠٣-٢٠٤.

(٢) أيعيد التاريخ نفسه: ٥٤-٥٥-٥٦-٥٧.

ثالثاً: ظهور الإمارات المستقلة:

أ- الإمارة الأموية في الأندلس (١٣٨-٣١٦هـ):

هرب عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك من ايدي العباسيين وعندما وصل إلى إفريقية متخفياً عن طريق مصر وبرقة اختفى هناك مدة ثم سار إلى المغرب الأقصى حيث نزل على أخواله، وفي سنة ١٣٦هـ، بدأ يعد العدة لدخول الأندلس. أرسل عبدالرحمن مولاه بدر الرومي إلى الأندلس الذي دعا له فيها واستطاع ان يجمع حوله أعواناً ثم عاد إلى عبدالرحمن يخبره بأحوالها.

عبر عبدالرحمن مضيق جبل طارق في غرة ربيع الأول سنة ١٣٨هـ والتف حوله مؤيدوه فسار بهم حتى التقى بيوسف بن عبدالرحمن الفهري والي العباسيين وجرى بينهما صدام انتهى بانتصار عبدالرحمن ودخوله قرطبة في ذي الحجة من نفس السنة[1].

لقب عبدالرحمن بن معاوية بالداخل لإنه أول من دخل الأندلس من بني أمية حاكماً، وبه بدأ عهد جديد سمي بعهد الإمارة حسب شكل الحكم واستمر هذا العهد حوالي قرن وثلاث أرباع القرن، حتى إعلان الخلافة فيها سنة ٣١٦هـ.

وكان عبدالرحمن الداخل أو صقر قريش كما سماه أبو جعفر المنصور لشجاعته وقوة نفسه أول أمراء هذه الإمارة ودعي أيضاً بعبدالرحمن الأول لإنه أول ثلاثة أمراء بني أمية حملوا هذا الاسم وهم أشهر أمراء تلك الفترة[2].

---

(١) سير أعلام النبلاء : ٨/٢٤٤-٢٤٦، التاريخ الأندلسي:٢١٦.

(٢) المرجع السابق : ٢١٧.

ب- شجرة نسب الإمارة الأموية في الأندلس:

هشام بن عبدالملك - معاوية - عبدالرحمن-هشام-الحكم-عبدالرحمن- محمد- المنذر- عبدالله - محمد -عبدالرحمن.

أمراء الإمارة الأموية في الأندلس:

١- عبدالرحمن الداخل الأول: (١٣٨-١٧٢)

٢- هشام الأول :(١٧٢-١٨٠)

٣- الحكم الأول :(١٨٠-٢٠٦)

٤- عبدالرحمن الأوسط الثاني : (٢٠٦-٢٣٨)

٥- محمد الأول: (٢٣٨-٢٧٥)

٦- المنذر: (٢٧٣-٢٧٥)

٧- عبدالله :(٢٧٥-٣٠٠)

٨- عبدالرحمن الناصر الثالث:(٣٠٠-٣٥٠) وفي عهده بدأت الخلافة الأموية في الأندلس سنة ٣١٦هـ.

جـ- أحوال الإمارة الأندلسية:

أدى الفتح الإسلامي للأندلس إلى انتقال حالته إلى حياة قائمة على أسس إسلامية وقد أثمرت الجهود التي بذلت من قبل الولاة في ترسيخ دعائم الحياة الإسلامية وظهرت ثمار تلك الجهود في عهد الإمارة. فقد نمت التنظيمات المختلفة في عهد الإمارة وظهر مذهب الحجابة والوزارة، كما ظهرت القوة الحربية البحرية وتقدمت التنظيمات العسكرية، وعنى بالثغور والأساطيل، وتميز هذا العهد وما تلاه بالانتاج في مختلف النواحي العلمية فنمت العلوم

وازدهر الميدان الثقافي وكثر الإنتاج فيه واتسع نطاق التعليم، وزاد الاهتمام بالكتب والمكتبات في أنحاء الأندلس كافة وشملت كلا الجنسين وغدت الأندلس أحد مراكز الثقافة في العالم الإسلامي(١). ووجد تبادل ثقافي بين العلماء وفي المؤلفات بين الأندلس وبقية البلاد الإسلامية(٢)، وشاع التعليم في هذا العهد وما بعده في أنحاء الأندلس وأصبح عاماً وشمل الذكور والإناث، وعمت معاهد التعليم ومؤسساته سواء بجهود الأمراء وبجهود المجتمع وكانت اللغة العربية هي لغة الثقافة والتفاهم عند المسلمين بصورة رئيسة(٣).

ومن الجوانب الحضارية التي أولتها النهضة العامة في الأندلس عنايتها بالجانب العمراني الذي قام على أسس هندسية وفنية في الدقة والذوق والأناقة، وكان الاهتمام العمراني يشمل المرافق العامة والخاصة(٤).

ومن أبرز المنشآت العمرانية العامة مسجد قرطبة الجامع الذي بدأ بناءه سنة ١٧٠هـ في إمارة عبدالرحمن الداخل(٥).

كما اهتم في هذه الفترة بإنشاء المدن وإقامة التحصينات ودور صناعة السفن، والحدائق والمساجد وأنشئت دار السكة لضرب النقود(٦). وفي ميدان الزراعة جلبت إلى الأندلس الغروس والبذور المتنوعة، وتقدمت وسائل الري، وأجريت المياه سواء للسقي أو للشرب بطريقة فنية(٧).

---

(١) التاريخ الأندلسي: ٢٧٨-٢٨٩.

(٢) المرجع السابق: ٢٨٠.

(٣) المرجع السابق: ٢٨٦.

(٤) المرجع السابق: ٢٧٩.

(٥) المرجع السابق: ٢٤٤.

(٦) المرجع السابق: ٢٧٩.

(٧) المرجع السابق: ٢٨٠-٢٨٦-٢٨٧-٢٨٩.

وتوفر في هذه الفترة الأمن والرخاء سوى بعض الحوادث الداخلية المحددة، وكذلك تحرشات إسبانيا الشمالية والفرنج التي كانت تعكر ذلك الجو الآمن. كما قامت بعض علاقات دبلوماسية مع عدد من الدول في أوربا وغيرها بعد أن ظهرت هيبة الإمارة في الأندلس ووضحت قوتها وعلت مكانتها وحرصت هذه الدول على صداقة الأندلس وإقامة علاقات ودية معها، لذلك وجهت إلى الأندلس سفارات كثيرة لقد كانت هذه الإنجازات وغيرها نتيجة دخول هذا البلد في رحاب الإسلام وخير إنجاز له تحرره من العبودية للناس إلى العبودية لله وحده[١].

د- العلاقة بين الإمارة الأندلسية والخلافة العباسية:

استمرت الصلات بين الإمارة الأندلسية وبين بقية العالم الإسلامي كما هي رغم وجود الجفوة بين أمراء الأندلس وبين الخلافة العباسية، ولم تحاول الخلافة العباسية استعادت الأندلس محاولة جادة، فلم تتجاوز محاولتها تأييد الدعوات التي تقوم لصالحها ودعمها، أما تسيير الجيوش فلم يحدث إطلاقاً، ولعل السبب في ذلك بُعْد الأندلس عن مركز الخلافة من جهة وما يكلف ذلك من جهد وخسارة للطرفين من جهة أخرى[٢].

أما ما ذكره بعض المؤرخين الغربيين من أن العلاقة بين شارلمان ملك فرنسا وبين الرشيد كانت لهدف لهما لتقوم فرنسا بمهاجمة الإمارة الأموية فلا صحه له، لإنه مهما بلغت العداوة بين الأمراء والخلافة فلا يمكن أن تصل إلى

---

(١) التاريخ الأندلسي: ٢٨٠-٢٨٦-٢٨٧-٢٨٩.

(٢) المرجع السابق: ٢٨٧-٢٨٩.

درجة أن يشجع الرشيد حاكماً مسيحياً لاحتلال قطر من الأقطار الإسلامية وطرد المسلمين منه، فالخلافة العباسية ترى في الإمارة الأندلسية قطراً خرج عن الطاعة وإنه عاجلاً أو آجلاً سيعود إليها، وتحريض شارلمان لاحتلاله يعني خروجه من أيديهم تماماً[1].

من جهة أخرى كانت الخلافة العباسية ترى في أهل الأندلس من رعاياهم المسلمين فلا يمكن بحال من الأحوال أن يوافقوا أو يشجعوا الغارات التي يشنها عليهم نصارى الشمال بل لو إنهم استطاعوا دفعاً لما تقاعسوا عن ذلك.

لايمكن معرفة هذه الجوانب من قبول ادعاءات مثل هؤلاء المؤرخين وهم أتوا من جهلهم بطبيعة الرابطة التي تربط بين أفراد المجتمع الإسلامي، وإنها رابطة لا تحدها حدود زمانية ولا مكانية، بل هي أكبر من المطامع الدنيوية.

رابعاً: فتنة خلق القرآن

ازدهرت في هذا العصر الحركة العلمية وبرز العلماء في مختلف العلوم العقلية النقلية، ونشطت حركة الترجمة وبخاصة في عهد الخليفة المأمون فترجمة كتب اليونان والهند، ولو اقتصرت الترجمة على العلوم النافعة لم يكن في ذلك بأس ولكنها شملت كتب الفلاسفة الذين تكلموا في الغيبيات التي لايعلمها إلا الله فكانت هذه الكتب سبب الفتن التي أصابت الأمة الإسلامية آنذاك. فما لبث أن ظهر علم الكلام وبالتالي تطور مذهب الاعتزال، وأخذ يتجه إلى مناقشة الأمور العقائدية بصورة جدلية، وهذا بالتالي أدى إلى نفي صفات الله سبحانه وتعالى أو تأويلها وقد اعتنق الخليفة المأمون عقيدة المعتزلة وأظهر فتنة خلق القرآن وامتحن العلماء فيها.

---

(١) العلاقة السياسية بين الدولة العباسية والأندلس:١٣٥.

كانت البداية مناظرات ومجادلات كلامية بين الطوائف ثم انتقلت إلى مرحلة الصراع بين أهل السنة والمعتزلة، واستطاعت المعتزلة أن تحمل المأمون على اعتناق مذهبها وتدفعه لتقريره على الأمة وكان المأمون كما قال ابن كثير يحب العلم ولكن لم تكن له بصيرة نافذة فيه فدخل عليه بسبب ذلك الداخل وراج عنده الباطل، ودعا إليه وحمل الناس عليه قهراً[(١)]، فحدثت الفتنة[(٢)].

وكانت بداية هذه الفتنة في أواخر عهد المأمون سنة ٢١٨هـ[(٣)] ولما مات أوصى المعتصم بأن يعتقد ما اعتقده هو[(٤)]. وكان الإمام أحمد على رأس من واجهوا هذه الفتنة وقد لاقى في سبيل ذلك كثيراً من التعذيب، وكان ذلك على يد المعتصم حيث إن المأمون مات قبل أن يلتقي بالإمام أحمد واستمرت الفتنة في عهد الواثق ورفعت في عهد المتوكل[(٥)].

---

(١) البداية والنهاية : ٢٨٨/١٠.

(٢) مقدمة في شرح الأصول اعتقاد أهل السنة للالكائي:٣٥/١.

(٣) البداية والنهاية : ٢٨٤/١٠.

(٤) المرجع السابق: ٢٩٣/١٠.

(٥) انظر حول الفتنة سير أعلام النبلاء:٢٣٧/١١-٢٦٥، والمصدر السابق:٣٤٥/١٠-٣٤٩.

الفصل الرابع

الخوارج في الشمال الإفريقي

المبحث الأول

نشأة الخوارج[*]

أولاً: معاني اسم الخوارج:

قبل أن أذكر بداية نشأة الخوارج وتطورهم، نذكر طائفة من أقوال أهل العلم فيهم: فقد بين أبو الحسن الأشعري أن اسم الخوارج يطلق على الذين خرجوا على الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان خروجهم على علي هو العلة في تسميتهم بهذا الاسم، حيث قال رحمه الله تعالى: (والسبب الذي سموا له خوارج خروجهم على علي بن أبي طالب لما حكم) [1].

وأما ابن حزم فقد بين أن اسم الخارجي يتعدى إلى كل من أشبه أولئك النفر الذين خرجوا على علي رضي الله عنه وشاركهم في معتقدهم، فقد قال: (ومن وافق الخوارج من إنكار التحكيم وتكفير أصحاب الكبائر، والقول بالخروج على أئمة الجور وأن أصحاب الكبائر مخلدون في النار، وأن الإمامة جائزة في

(*) جل الفصل الرابع منقول من كتاب : عقيدة أهل السنة في الصحابة للدكتور ناصر بن علي، وكتاب مذكرات في الفرق للدكتور العواجي .

(١) مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري : ٢٠٧/١.

غير قريش فهو خارجي، وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون خالفهم فيما ذكرنا فليس خارجياً) [١].وأما الشهرستاني فقد عرف الخوارج بتعريف عام اعتبر فيه الخروج على الإمام الذي اجتمعت الكلمة على إمامته الشرعية خروجاً في أي زمن كان، حيث قال في تعريفه للخوارج: (كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه، يسمى خارجياً سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان) [٢].

وقال ابن حجر رحمه الله تعالى معرفاً لهم: (والخوارج الذين أنكروا على علي التحكيم وتبرؤوا منه ومن عثمان وذريته وقاتلوهم، فإن أطلقوا تكفيرهم فهم الغلاة منهم) [٣].

وقال في تعريف آخر: (أما الخوارج فهم جمع خارجة، أي طائفة وهم قوم مبتدعون سموا بذلك لخروجهم عن الدين وخروجهم على خيار المسلمين) [٤].

فالخوارج هم أولئك النفر الذين خرجوا على علي رضي الله عنه بعد قبوله التحكيم بعد موقعة صفين ولهم ألقاب أخرى عرفوا بها غير لقب الخوارج ومن تلك الألقاب: الحرورية سموا بهذا الاسم لنزولهم بمنطقة حروراء في أول أمرهم، ومن ألقابهم الشراة: لقولهم شرينا أنفسنا في طاعة الله، ومن أسمائهم المارقة والمحكمة لإنكارهم الحكمين، وقولهم لا حكم إلا لله، وهم يرضون بهذه الألقاب كلها إلا المارقة فإنهم ينكرون أن يكونوا مارقة من الدين كما يمرق

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم: ١١٣/٢.

(٢) الملل والنحل، للشهرستاني: ١١٤/١.

(٣) هدى الساري مقدمة فتح الباري:٤٥٩.

(٤) فتح الباري : ٢٨٣/١٢.

السهم من الرمية[1].

ولكن يجب أن ننوه ههنا على ضوابط تعريف الخوارج، حيث إن هذه التعاريف السالفة لاتنسحب بالضرورة على من خرج على الحكام المبدلين لشرع الله الحنيف، الذين يحرسون مناهج العلمانية الكافرة ويسوسون الدنيا بها!! بل يصدق وصف الخوارج - سالف الذكر - وينسحب على من خرج على الحكام المسلمين الذين يحكمون بشرع الله الحنيف ويسوسون الدنيا به. وعلى ذلك انعقد إجماع أهل السنة والجماعة. كما ذكر ذلك الإمام النووي -رحمه الله- بقوله: (قال القاضي عياض أجمع العلماء على أن الإمامة لاتنعقد لكافر وعلى إنه لو طرأ عليه الكفر انعزل، إلى أن قال: فلو طرأ عليه كفر وتغيير للشرع أو بدعة خرج عن حكم الولاية، وسقطت طاعته ووجب على المسلمين القيام عليه وخلعه ونصب إمام عادل إن أمكنهم ذلك)[2].

ثانيا: بداية نشأة الخوارج:

وأما بداية نشأتهم فإنها كانت بعد حصول الاتفاق على التحكيم بين علي ومعاوية سنة سبع وثلاثين، فقد أخرج الطبري من طريق سليمان بن يونس بن يزيد عن الزهري أن أهل الشام نشروا المصاحف حين كاد أهل العراق أن يغلبوهم ودعوا إلى ما فيها، فهاب أهل العراق، فعند ذلك حَكَّموا الحكمين، فاختار أهل العراق أبا موسى الأشعري، واختار أهل الشام عمرو بن العاص، فتفرق أهل صفين حين حكم الحكمان وإنهما يجتمعان بدومة الجندل فإن لم

---

(١) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة: ١١٣٤/٣.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي : ٢٢٩/١٣.

يجتمعا لذلك اجتمعا من العام المقبل بـأَذْرُح، فلمـا انصـرف علـي خـالفت الحرورية وخرجت، وكان ذلك أول ما ظهرت فأذنوه بالحرب وقالوا: لاحكم إلا لله[1].

فكان أول خروجهم على علي رضي الله عنـه، بعـد أن وافـق علـى التحكيم واعتبروا التحكيم خطيئة تؤدي إلى الكفر مع إنهم هم الذين أكرهوا علياً رضـي الله عنه على قبوله عندما رفع أصحـاب معاويـة رضـي اللـه عنـه المصـاحف. (ولما بعث علي أبا موسى ومن معه من الجيش إلـى دومـة الجنـدل اشـتد أمـر الخوارج وبالغوا في النكير علـى علـي وصرحـوا بكفـره، فجـاءه رجـلان منهـم وهما زرعة بن البرج الطائي، وحرقوص بن زهير السـعدي، فقـال: لاحكـم إلا لله، فقال علي: لاحكم إلا لله، فقال له حرقوص: تب من خطيئتك واذهـب بنـا إلى عدونا حتى نقاتلهم حتى نلقى ربنا، فقال علي: قد أردتكم علـى ذلـك فـأبيتم، وقد كتبنا بيننا وبين القوم عهودا وقد قال تعالى: ﴿وأوفوا بعهد الله إذا عـاهدتم ولاتنقضوا الإيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً﴾ (النحل: ٩١).

فقال له حرقوص: ذلك ذنب ينبغي أن نتـوب منـه، فقـال علـي مـاهو بذنـب، ولكنه عجز من الرأي، وقد تقدمت إليكم فيما كـان منـه ونهيتكـم عنـه، فقـال لـه زرعة بن البرج أما والله يـا علـي لئـن لـم تـدع تحكيـم الرجـال فـي كتـاب اللـه لأقاتلنك أطلب بذلك رحمة الله ورضوإنه، فقال علي تباً لك ما أشقاك كـأني بـك قتيلا تسفي عليك الريح، فقال: وددت أن قد كـان ذلـك، فقـال لـه علـي: إنـك لـو كنت محقا كان في الموت عزية عن الدنيا، ولكن الشيطان قد استهواكم)[2].

ولما رأوا عزم علي على إنقاذ الحكومة وبعثـه أبـا موسـى الأشـعري قـرروا

---

(١) انظر تاريخ الامم والملوك، للطبري: ٧٥/٥.

(٢) المرجع السابق: ٧٢/٥، الكامل في التاريخ : ٣٣٤.

الانفصال عنه وتعيين أمير عليهم، فاجتمعوا في منزل عبدالله بن وهب الراسبي فخطبهم خطبة بليغة زهدهم في الدنيا ورغبهم في الآخرة والجنة وحثهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم قال فاخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الظالم أهلها إلى جانب هذا السواد إلى بعض كور الجبال أو بعض هذه المدائن منكرين لهذه الأحكام الجائرة، ثم قال حرقوص بن زهير فقال بعد حمد الله والثناء عليه: (إن المتاع بهذه الدنيا قليل وإن الفراق لها وشيك فلا تدعونكم زينتها أو بهجتها إلى المقام بها ولا تلتفت بكم عن طلب الحق وإنكار الظلم ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ (النحل:١٢٨).

فقال حمزة بن سنان الأسدي: (ياقوم إن الرأي ما رأيتم وإن الحق ما ذكرتم، فولوا أمركم رجلاً منكم، فإنه لابد لكم من عماد وسنان ومن راية تحفون بها، وترجعون إليها فبعثوا إلى زيد بن حصن الطائي وكان من رؤوسهم - فعرضوا عليه الإمارة فأبى، ثم عرضوها على حرقوص بن زهير فأبى، وعرضوها على حمزة بن سنان فأبى، وعرضوها على شريح بن أبي أوفى العبسي فأبى وعرضوها على عبدالله بن وهب الراسبي فقبلها، وقال: أما والله لا أقبلها رغبة في الدنيا ولا أدعها فرقاً من الموت) [١].

واجتمعوا أيضاً في بيت زيد بن حصن الطائي السنبسي فخطبهم وحثهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتلا عليهم آيات من القرآن، ومنها قوله تعالى: ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾ (ص:٢٦) وقوله تعالى: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾، ﴿فأولئك هم الظالمون﴾، ﴿فأولئك

---

(١) تاريخ الطبري : ٥/٧٤-٧٥.

هم الفاسقون﴾، ثم قال: فاشهد على أهل دعوتنا من أهل قبلتنا إنهم اتبعوا الهوى ونبذوا حكم رجل منهم يقال له: عبدالله بن شجرة السلمي، ثم حرض أولئك على الخروج على الناس وجاء في كلامه اضربوا وجوههم وجباههم بالسيوف حتى يطاع الرحمن الرحيم، فإن أنتم ظفرتم وأُطيع الله كما أردتم - أثابكم ثواب المطيعين له العاملين بأمره، وإن فشلتم فأي شيء أفضل من المصير إلى رضوان الله وجنته؟ (١)

قال العلامة ابن كثير بعد أن ذكر ما أملاه الشيطان لهم بما تقدم ذكره: (وهذا الضرب من الناس من أغرب أشكال بني آدم، فسبحان من نوع خلقه كما أراد وسبق في قدره العظيم، وما أحسن ما قال بعض السلف في الخوارج إنهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون إنهم يحسنون صنعا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا﴾.

والمقصود أن هؤلاء الجهلة الضلال، والأشقياء في الأقوال والأفعال اجتمع رأيهم على الخروج من بين أظهر المسلمين، وتواطئوا على المسير إلى المدائن ليملكوها على الناس ويتحصنوا بها، ويبعثوا إلى إخوانهم وأضرابهم ممن هم على رأيهم ومذهبهم من أهل البصرة وغيرها - فيوافوهم إليها، ويكون اجتماعهم عليها، فقال لهم زيد بن حصن الطائي إن المدائن لاتقدرون عليها، فإن بها جيشاً لاتطيقونها وسيمنعوها منكم ولكن واعدوا إخوانكم إلى جسر نهر جوخي ولا تخرجوا من الكوفة جماعات، ولكن اخرجوا وحداناً لئلا يفطن بكم فكتبوا كتاباً عامّاً إلى من هو على مذهبهم ومسلكهم من أهل البصرة وغيرها

---

(١) انظر البداية والنهاية، لابن كثير: ٣١٢/٧.

وبعثوا به إليه ليوافوهم إلى النهر ليكونوا يداً واحدة على الناس، ثم خرجوا يتسللون وحداناً لئلا يعلم أحد بهم فيمنعوهم من الخروج، فخرجوا من بين الآباء والأمهات والأخوال والخالات وفارقوا سائر القرابات يعتقدون بجهلهم وقلة علمهم وعقلهم أن هذا الأمر يرضي رب الأرض والسموات، ولم يعلموا إنه من أكبر الكبائر الموبقات والعظائم والخطيئات، وإنه مما زينه لهم إبليس الشيطان الرجيم المطرود عن السموات، الذي نصب العداوة لأبينا آدم، ثم لذريته مادامت أرواحهم في أجسادهم مترددات، وقد تدارك جماعة من الناس بعض أولادهم وإخوانهم، فزادوهم وأنبوهم ووبخوهم، فمنهم من استمر على الاستقامة، ومنهم من فر بعد ذلك فلحق بالخوارج فخسر إلى يوم القيامة، وذهب الباقون إلى ذلك الموضع ووافى إليهم من كانوا كتبوا إليه من أهل البصرة وغيرها، واجتمع الجميع بالنهروان وصارت لهم شوكة ومنعة[1].

فبداية الخوارج على شكل جماعي له اتجاهه وآراؤه الخاصة بدأ بالخروج على عليٍّ رضي الله عنه، وأما خروج ذي الخويصرة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فكان اعتراضه على النبي صلى الله عليه وسلم اعتراض فرد وليس اعتراض جماعة، وإما خروج الثائرين على عثمان رضي الله عنه هو خروج عن طاعة الإمام الحق إلا أن هذا الخروج لم يكن يتميز بأنه خروج جماعة لها عقائدها الواضحة وآراؤها المتميزة، وإنما كان خروجاً من قوم أهل جهل وبغي وتعنت وأهل ظلم وخيانة وافتراء اندس فيهم زنادقة.

ثالثاً: الأحاديث والآثار الواردة في ذم الخوارج:

لقد وردت أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذم الخوارج

---

(١) البداية والنهاية، لابن كثير : ٧/٢٠٧.

وصفوا فيها بأوصاف ذميمة شنيعة جعلتهم في أخبث المنازل وكذا وردت بعض الآثار عن السلف تتضمن كذلك ذمهم وما سلكوه من الطريق المخالف لغير سبيل المؤمنين.

فمن تلك الأحاديث الواردة في ذمهم:

١- ما رواه الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يَقْسِمُ قَسْمَاً - إذ أتاه ذو الخُوَيْصِرَة وهو رجل من بني تميم، فقال: يارسول الله أعدل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ويلكَ، ومن يَعدُل إذا لم أعدلْ، قد خبتُ وخسرتُ إن لم أكن أعدل!! فقال عمر يا رسول الله ائذن لي فيه فاضرب عنقه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لايجاوز تراقِيَهُم يمرقُون من الدين كما يمرق السهمُ من الرَّمِيَّة"[١].

وإذا تتبعت أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخوارج تجد ذماً واضحاً لهم، فقد وصفهم صلى الله عليه وسلم بأنهم طائفة مارقة، وإنهم يشددون في الدين في غير موضع التشديد، وإنهم يبالغون في الصلاة وقراءة القرآن لكنهم لايقومون بحقوق الإسلام، بل يمرقون منه بحيث يدخلون فيه ثم يخرجون منه سريعاً لم يتمسكوا منه بشيء.

وفي قوله صلى الله عليه وسلم: "لايجاوز تراقيهم" احتمالان: الأول: يحتمل إنه لكونه لاتفقهه قلوبهم ويحملونه على غير مراد، الثاني: يحتمل أن يكون المراد أن تلاوتهم لاترتفع إلى الله[٢].

---

(١) صحيح البخاري : ٢٨١/٢، صحيح مسلم : ٧٤٤/٢-٧٤٥.

(٢) فتح الباري : ٦١٨/٦.

ومن صفاتهم الذميمة التي ذمهم بها الرسول صلى الله عليه وسلم إنهم ليس لهم من الإيمان عندما يقرؤون القرآن يظنونه لشدة ما بلغوا إليه من سوء الفهم إنه لهم وهو عليهم.

٢- وفي البخاري عن علي بن أبي طالب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يخرج قوم في آخر الزمان أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية لايجاوز إيمانهم حناجرَهم يمرُقُون من الدين كما يمرُقُ السَّهْمُ من الرَّمِيةِ"[١].

ومن صفات الذم التي ذم بها الخوارج على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم إنهم أبغض الخلق إلى الله. فقد جاء في صحيح مسلم من حديث عبيدالله ابن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الحرورية لما خرجت وهو مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه قالوا: لاحكم إلا لله، قال علي كلمة حق أريدَ بها باطلٌ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف ناساً إني لأعْرِفُ صفتهم في هؤلاء، يقولون الحقَّ بألسنتهم لا يجاوزُ هذا منهم (وأشار إلى حَلقِه) مِن أبغضِ خلق الله إليه، منهم أَسْوَدُ في إحدى يديه طُبْيُ شاةٍ[٢] أو حلمة ثدي، فلما قتلهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: انظروا فنظروا فلم يجدوا شيئا، فقال: ارجعوا فوالله ما كَذبتُ ولا كذبت مرتين أو ثلاثاً ثم وجدوه في خَرِبَةٍ فأتوا به، حتى وضعوهُ بين يديْهِ، قال عبيدالله: وأنا حاضرٌ من أمرهم وقول عليٍّ فيهم[٣].

ومن الصفات القبيحة التي ذمهم بها عليه الصلاة والسلام إنهم بمروقهم من

---

(١) صحيح البخاري : ٢٨١/٢.

(٢) طبي شاة: ضرع شاة : انظر النهاية في غريب الحديث والاثر: ١١٥/٣.

(٣) صحيح مسلم : ٧٤٩/٢.

الدين لايوفّقون للعودة إليه، وإنهم شر الخلق والخليقة، فقد روي مسلم رحمه الله من حديث أبي ذر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سيكون بعدي من أمتي قوم يقرؤون القرآن لايجاوز حلاقيمهم يخرجون من الدِّين كما يخرجُ السهم من الرميَّةِ، ثم لايعودون فيه، هم شرُّ الخلق والخليقة"[1].

وروي من حديث أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر قوما يكونون في أمته يخرجون في فرقة من الناس سيماهم التحالق قال: "هم شر الخلق أو من أشَرِّ الخلق، يقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق"[2]. قال النووي: قوله صلى الله عليه وسلم: "يتيه قوم قبل المشرق" أي يذهبون عن الصواب وعن طريق الحق يقال تاه إذا ذهب ولم يهتد لطريق الحق والله أعلم[3]. ومن الصفات المذمومة التي تلبسوا بها وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم إنها واقعة فيهم إنهم يتدينون بقتل أهل الإسلام وترك عبدة الأوثان والصلبان، فقد روى الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري قال: "بعث علي رضي الله عنه وهو باليمن بذُهَيْبَةٍ في تربتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمها رجل بين أربعة نفر... فجاء رجل كث اللحية مشرف الوجنتين[4]، ناتِىءُ الجبين[5]، محلوق الرأس فقال: اتق الله يا محمد، قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يطع الله إن عصيته أيأمنني على أهل الأرض ولا تأمنوني؟ قال: ثم أدبر الرجل، فاستأذن رجل من القوم في قتله يرون أنه خالد

---

(١) صحيح مسلم : ٧٥٠/٢.

(٢) المرجع السابق: ٧٤٥/٢.

(٣) شرح النووي : ١٧٥/٧.

(٤) مشرف الوجنتين : أي غليظهما، والوجنة ما ارتفع من لحم خد الإنسان .

(٥) ناتىء الجبين : أي بارز الجبين من النتوء وهو الارتفاع.

ابن الوليد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن من ضِئْضِيءِ[1] هذا يخرج قومٌ يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد"[2].

وفي هذه معجزة باهرة للرسول صلى الله عليه وسلم حيث وقع منهم ما أخبر به صلى الله عليه وسلم، فإنهم كانوا يسلون سيوفهم على أهل الإسلام بالقتل وكانوا يغمدونها عن الكفار من اليهود والنصارى، وكانوا يعظمون ظلمهم بل بلغ بهم سوء حالهم، أن عنفوا أحدهم على تتأوله حبة تمر من نخيل كتأبي كما زجروا أحدهم ولاموه على قتله خنزيراً لمعاهد، أما سفكهم دماء أهل الإسلام فإنهم يستحلون ذلك ويهونون أمره، ولا يلومون عليه كقتلهم عبدالله بن خباب بن الأرت[3] وغيره من المسلمين، فإنهم فعلوا ذلك واستعرضوا الناس بالسيف دون أن يقول بعضهم لبعض هذا منكر.

ومن الصفات القبيحة التي كانت ذماً وعاراً مشيناً للخوارج أن الرسول صلى الله عليه وسلم حرّض على قتلهم إن هم ظهروا وأخبر عليه الصلاة والسلام إنه لو أدركهم لأبادهم بالقتل إبادة عاد وثمود، وأخبر عليه الصلاة والسلام بأن من قتلهم له أجر عند الله تعالى يوم القيامة. ففي صحيح البخاري قال صلى الله عليه وسلم: "لئن أدركتهم لأقتلهم قتل عاد"[4]. وفي رواية أخرى

---

(١) الضِئْضِيء بالهمز: الأصل والمراد: يخرج من صلبه ونَسله. جامع الأصول لابن الأثير ٨٨/١٠.
(٢) صحيح البخاري :٢٣٢/٢، صحيح مسلم : ٧٤١/٢-٧٤٢.
(٣) انظر مصنف بن أبي شيبة : ٣٢٣/١٥.
(٤) صحيح البخاري : ٢٣٢/٢.

قال: "لئن أدركتهم لأقتلنّهم قتل ثمود"[1].

وأما الآثار الواردة عن السلف في ذم الخوارج فكثيرة جداً أيضاً نذكر طرفاً منها لبيان أن الخوارج اتصفوا بصفات ذميمة عابهم بها السلف رحمهم الله فمن الصفات التي ذمهم بها السلف إنهم قوم أصيبوا بالفتنة فعموا عن الحق وصموا فلا يسمعون حقاً ولا يهتدون إليه.

فقد روى عبدالرزاق عن معمر عمَّن سمع الحسن قال: لما قتل عليّ رضي الله عنه الحرورية قالوا: من هؤلاء يا أمير المؤمنين، أكفارٌ هم؟ قال: من الكفر فروا! قيل فمنافقون؟ قال: إن المنافقين لايذكرون الله إلا قليلاً وهؤلاء يذكرون الله كثيراً، قيل فما هم؟ قال، قوم أصابتهم فتنة فعموا فيها وصموا[2].

ومن الصفات الشنيعة التي شنع عليهم السلف بها إنهم كانوا يعتبرونهم من شرار خلق الله تعالى، حيث إنهم عمدوا إلى آيات من كتاب الله تعالى مقصود بها الكفار فجعلوها في المؤمنين، فقد كان عبدالله بن عمر رضي الله عنهما يراهم شرار خلق الله وقال: إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين[3].

وروى عبدالرزاق عن معمر عن أبي غالب قال: لما أتي برؤوس الأزارقة فنصبت على درج دمشق[4] جاء أبو أمامة رضي الله عنه، فلما رآهم دمعت عيناه، ثم قال: كلاب النار كلاب النار هؤلاء لشر قتلى قتلوا تحت أديم السماء وخير قتلى تحت أديم السماء الذين قتلهم هؤلاء، قلت: فما شأنك دمعت عيناك؟

---

(١) المرجع السابق: ٧٤/٣، جل مبحث الخوارج من كتاب عقيدة أهل السنة في الصحابة، للدكتور ناصر بن علي عائض.

(٢) مصنف عبدالرزاق / ١٥٠/١٠.

(٣) رواه البخاري تعليقاً: ١٩٧/٤.

(٤) هذه الرؤوس مما كان بعث به المهلب بن أبي صفرة في عهد عبدالملك بن مروان.

قال رحمة لهم إنهم كانوا من أهل الإسلام قال: قلت أبرأيك قلت: كلاب النار أو شيء سمعته؟ قال إني إذا لجريء بل سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة ولا اثنتين ولا ثلاثاً فعدد مراراً، ثم تلا ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾ حتى بلغ ﴿هم فيها خالدون﴾ وتلا ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات﴾ حتى بلغ ﴿أولوا الألباب﴾ ثم أخذ بيدي فقال: أما إنهم بأرضك كثير فأعاذك الله تعالى منهم[1]. وروي ابن أبي شيبة بإسناده إلى عمير بن إسحاق، قال: ذكروا الخوارج عند أبي هريرة، قال: "أولئك شرار الخلق"[2].

(١) مصنف بن عبدالرزاق : ١٠/١٥٢، مصنف ابن أبي شيبة : ١٥/٣٠٧-٣٠٨.
(٢) مصنف بن أبي الشيبة :١٥/٢٠٥.

المبحث الثاني

أهم فرق الخوارج

لقد تشعبت الخوارج إلى فرق عدة بلغ بها بعض أهل العلم ممن كتب في الملل والنحل إلى عشرين فرقة، وعند النظر في هذه الفرق من خلال الكتب التي ألفت في الفرق يتضح أن الخلاف والنزاع بينها لم يكن في أمور مهمة تؤدي إلى تكوين جماعات مستقلة، بل إن معظم نزاعهم كان يحصل في كثير من أحوالهم حول أمور فرعية، ومن ذلك العدد الكثير الذي ذكر في تعداد فرقهم، نذكر هنا أهم فرقهم المتمثلة في المحكمة الأولى والأزارقة، والنجدات، والصفرية، والإباضية، وعداها من الفرق فهي متفرعة منها وداخلة فيها.

أولاً: المحكمة الأولى:

يقصد بالمحكمة الأولى أولئك الذين خرجوا على الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهم الذين أعلنوا شعار لاحكم إلا لله. والتفوا حوله وقد اختلف في أول من نادى بهذا الشعار منهم، فقيل إنه عروة بن حدير أخو مرداس الخارجي، وقيل إن أول من نادى يزيد بن عاصم المحاربي، وقيل إنه رجل من بني يشكر، كان مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه بصفين، ولما اتفق الفريقان على التحكيم ركب وحمل على أصحاب علي، وقتل منهم واحدا ثم حمل على أصحاب معاوية، وإنه خرج من حكمهم فقتله رجل من همدان، ثم إن جماعة ممن كانوا مع علي رضي الله عنه في حرب صفين استمعوا منه ذلك الكلام واستقرت في قلوبهم تلك الشبهة، ورجعوا مع علي إلى الكوفة، ثم فارقوه

ورجعوا إلى حروراء [١].

ولما استقروا في حروراء كانوا يعاملون من يخالفهم من المسلمين في رأيهم أبشع المعاملة وأشد القسوة، قال أبو الحسين الملطي واصفاً ما بلغوا إليه من ظلم وإجرام: (فأما الفرقة الأولى من الخوارج فهم المحكمة الذين كانوا يخرجون بسيوفهم فيمن يلحقون من الناس، فلا يزالون يقتلون حتى يقتلوا وكان الواحد منهم إذا خرج إلى التحكيم لا يرجع حتى يَقتل أو يُقتل، فكان الناس منهم على وجل وفتنة) [٢].

ومن أبشع جرائمهم وأفظعها قتلهم عبدالله بن خباب بن الأرت، فقد روى الإمام أحمد بإسناده إلى حميد بن هلال عن رجل من عبدالقيس كان مع الخوارج ثم فارقهم، قال: دخلوا قرية فخرج عبدالله بن خباب مذعوراً يجر رداءه، فقالوا: لم تُرْعَ، قال: والله لقد رعتُمُوني، قالوا: فهل سمعت من أبيك حديثاً يحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تُحَدِّثُناه، قال: نعم. سمعته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنه ذكر فتنةً القاعدُ فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، قال: فإن أدركت ذاك فكن عبدالله المقتول"، قال أيوب ولا أعلمه إلاّ قال: ولاتكن عبدالله القاتلَ قالوا: أأنت سمعت هذا من أبيك يحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم. قال فقدموه على ضفة النهر فضربوا عنقه، فسال دمه، كأنه شراك نعل ما أمَّذَقَ [٣] وبقروا أم ولده عما في بطنها" [٤]. وكان الذي تولى

---

(١) انظر مقالات الإسلاميين:١/٢٠٧-٢٠٩، الفرق بين الفرق للبغدادي: ٧٤-٧٥.

(٢) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، لأبي الحسن محمد بن أحمد الملطي:٥١.

(٣) معناه إنه مر فيه كالطريقة الواحدة ولم يختلط به ولذلك شبهه بالشراك الأحمر وهو سير النَّعل .

(٤) انظر المسند: ٥/١١٠.

قتله منهم رجل يقال له: مسعر بن فدكي[1].

ولما بلغ عليا رضي الله عنه نبأ قتلهم عبدالله بن خباب وقتلهم الكثير من الأطفال والنساء، وقد كان رضي الله عنه متأهباً للعودة إلى صفين لمقاتلة أهل الشام، فرأى أن العودة لمقاتلة هؤلاء المفسدين أولى فكان في ذلك خير له ولأهل الشام فرجع إلى النهروان (فقاتلهم مقاتلة شديدة وكان عددهم اثني عشر ألفا فما انفلت منهم إلا أقل من عشرة، وما قتل من أصحاب علي إلا أقل من عشرة، فإنهزم اثنان منهم إلى عمان، واثنان إلى كرمان واثنان إلى سجستان واثنان إلى الجزيرة، وواحد إلى تل موزن)[2]. وظهرت بدع الخوارج في هذه المواضع منهم[3]، وقد انمحت بدعهم في بعض هذه الأماكن نهائياً، وبعضها باقية فيها إلى اليوم.

ثانيا: الأزارقة:

هم أتباع رجل منهم يسمى بأبي راشد نافع بن الأزرق الحنفي ولم يكن للخوارج قوم أكثر منهم عددا وأشد منهم شوكة، ولهم اعتقادات فارقوا بها المحكمة الأولى وسائر فرق الخوارج فهم يعتقدون أن من خالفهم من هذه الأمة فهو مشرك بينما المحكمة: إن مخالفهم كافر ولا يسمونه مشركاً، ومما اختصموا به أيضاً إنهم يسمون من لم يهاجر إلى ديارهم من موافقيهم مشركاً، وإن كان موافقاً لهم في مذهبهم وكان من عاداتهم فيمن هاجر إليهم أن يمتحنوه بأن يسلموا إليه أسيراً من أسراء مخالفيهم وأطفالهم ويأمروه بقتله، فمن قتله

---

(١) مقالات الإسلاميين لأبي حسن الندوي:١/٢١٠.

(٢) بلد قريب من حران، انظر معجم البلدان :٢/٤٥.

(٣) انظر الملل والنحل: ١/١١٧.

صدقوه في دعواه إنه منهم، وإن لم يقتله قالوا: هذا منافق ومشرك، وقتلوه ويزعمون أيضاً، أن أطفال مخالفيهم مشركون ويزعمون إنهم يخلدون في النار، وبالإضافة إلى هذه المعتقدات الشاذة والآراء المنحرفة، فقد نادى الأزارقة ببعض الآراء التي تنم عن جهلهم بالشرع وعدم فقههم في الدين، من ذلك: إسقاطهم حد الرجم عن الزاني المحصن بحجة إنه لم يرد في القرآن نص عليه[1].

كما اسقطوا أيضاً حد القذف عمن قذف المحصن من الرجال مع وجوب الحد على قاذف المحصنات من النساء، تمسكاً أيضاً: في زعمهم بما - ورد في القرآن - وذهبوا أيضاً إلى أن يد السارق تقطع في القليل والكثير من غير اعتبار لنصاب الشيء المسروق، وأن القطع يكون من المنكب كما أوجبوا على الحائض الصلاة والصوم في حال حيضها، كما إنهم حرموا قتل النصارى واليهود وأباحوا قتل المسلمين، وهذه الآراء واضح فيها الجهل وعدم العلم والفهم للقرآن، وعدم الإلمام بالسنة، ويصدق عليهم قوله صلى الله عليه وسلم: "يقرؤون القرآن لايجاوز حناجرهم"[2].

وقد اشتدت شوكة الأزارقة وصارت لهم قوة حتى أخذوا في مقاتلة غيرهم حتى تغلبوا على بلاد الأهواز وأرض فارس وكرمان أيام عبدالله بن الزبير حين بعث عاملاً له على البصرة، فأخرج لهم سرية لقتالهم وكان عدد هذه السرية ألف مقاتل، فقتلهم الخوارج ثم بعث إليهم بثلاث آلاف من المقاتلة فظفر بهم الخوارج أيضاً، فبعث عبدالله بن الزبير من مكة كتاباً وجعل قتالهم إلى المهلب بن أبي صفرة حتى جمع عسكراً عظيماً وهزم نافع بن الأزرق

---

(١) انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل :١٨٩/٤.

(٢) الحديث في صحيح مسلم : ٧٤٠/٢.

وقتل في هذه الهزيمة وبايعت الأزارقة بعده رجلاً آخر منهم فهزمه المهلب أيضاً، وقتل في هذه الهزيمة فبايعوا بعده قطري بن الفجاءة التميمي، وسموه بأمير الموت، واستمر المهلب في مقاتلتهم حتى انحازوا إلى نيسابور من بلاد فارس وجعلوها دار هجرتهم[1].

وقد بلغت المدة التي قاتلهم فيها المهلب تسع عشرة سنة، بعضها في زمان ابن الزبير، وبعضها في زمان عبدالملك بن مروان ولما ولي الحجاج بن يوسف العراق أقر المهلب على قتالهم فاستمر المهلب في مقاتلتهم حتى وقع الخلاف بين قطري بن الفجاءة وأتباعه، فواصل المهلب مقاتلة قطري فكان كلما سار قطري إلى ناحية من النواحي تبعه المهلب حتى هزمه إلى الري، ثم اتجه لمقاتلة جماعة أخرى "منهم بقيادة رجل منهم يسمى عبدربه الصغير حتى كفي شغله وقتله، وبعث الحجاج جيشاً عظيماً إلى الري فقاتل قطري بن الفجاءة، فإنهزم إلى طبرستان ثم هرب في جملة من أتباعه إلى موسى بن عبيدة بن هلال اليشكري فتبعته جنود الحجاج حتى قتلته وقطع الله دار الأزارقة بقتل قطري فلم تجمع لهم قوة بعد ذلك مثل ما كانت لهم من قبل[2].

ثالثاً: النجدات:

هؤلاء هم أتباع نجدة بن عامر الحنفي الذي يقال: إنه كان باليمامة حيث تخلف عن نافع بن الأزرق عند رجوعهم من مكة، وبينما هو في طريقه ليلحق بمعسكر نافع بن الأزرق التقى به من أخبره بما أحدثه نافع من الآراء التي

---

(١) انظر الفرق بين الفرق :٨٥-٨٦، البداية والنهاية : ٣٤٨/٨.

(٢) انظر تاريخ الأمم والملوك للطبري :٢٠٢/٦.

منها: استباحة قتل أطفال مخالفيه، وحكمه على القعدة بالشرك[1]. وهنا قيل: إنه رجع إلى اليمامة لما سمع بما أحدثه نافع وأعلن انفصاله عنه، وتبرأ منه وبويع له بالإمامة وأصبح أميراً على طائفة من الخوارج عرفوا بالنجدات[2]، وصار لنجدة وأتباعه نفوذ واسع في كثير من البلدان شمل البحرين وشواطئ الخليج وامتد إلى عمان وبعض أجزاء اليمن[3].

وذهب النجدات إلى أن الدين أمران:

أحدهما: معرفة الله تعالى ومعرفة رسله عليهم الصلاة والسلام وتحريم دماء المسلمين[4]، والإقرار بما جاء من عند الله جملة فهذا واجب على الجميع والجهل به لا يعذر فيه. والثاني: ما سوى ذلك فالناس معذورون فيه إلى أن تقوم عليهم الحجة في الحلال والحرام، وتدين النجدات بمبدأ العذر بالجهل في أحكام الفروع حتى سموا بالعاذرية[5].

وقد اختلف النجدات مع زعيمهم نجدة بن عامر الحنفي، ونقموا عليه عدة أمور من بينها تعطيله حد الخمر، وعدم عدله في قسم الفيء وتفريقه الأموال بين الأغنياء من أتباعه وحرمانه ذوي الحاجة منهم، ومكاتبته عبدالملك بن مروان، ووصل الخلاف إلى قتل نجدة وانقسموا إلى ثلاث فرق، النجدية والعطوية نسبة إلى عطية بن الأسود الحنفي وإلى الفديكية نسبة إلى أبي فديك، وكان هذا الخلاف بين النجدات من أعظم العوامل في تدمير هذه الفرقة حيث

---

(١) انظر الملل والنحل للشهرستاني : ١/١٢١.

(٢) مقالات الإسلاميين : ١/١٧٤.

(٣) انظر الفرق بين الفرق: ٩٠، الكامل لابن الأثير:٤/٢٠١.

(٤) المقصود بالمسلمين الموافقون لهم في مذهبه.

(٥) انظر الملل والنحل : ١/١٢٤.

اضمحل أمرها وتلاشى أثرها[1].

رابعاً: الصفرية:

لقد اختلف العلماء فيمن تنتسب إليه هذه الفرقة، هل سموا بذلك نسبة إلى الصفرة إشارة إلى صفرة وجوههم من أثر ما تكلفوه من السهر والعبادة والزهد أم سموا بهذه التسمية نسبة إلى رجل معين كما نسبت الأزارقة والنجدات والإباضية. المهم في هذا الموضوع أن الصفرية كانت أقل شذوذاً وأقل غلواً من الأزارقة إذ إنهم خالفوهم في رأيهم تجاه القعدة ومرتكب الكبيرة، فلم يكفروا القعدة كما ذهب الأزارقة ما داموا موافقين لهم على مذهبهم، ولم يكفروا مرتكب الكبيرة على الإطلاق كما هو مذهب الأزارقة، بل فرقوا بين الذنوب التي فيها حد مقرر كالزنى والسرقة والقذف والقتل العمد، فهذا في رأيهم لايتجاوز بمرتكبهم الاسم الذي سماه الله بها زان، وسارق وقاذف، وقاتل عمد، وليس صاحبه كافراً ولا مشركاً، وكل ذنب ليس فيه حد كترك الصلاة والصوم فهو كفر وصاحبه كافر[2]. ولايرى الصفرية أن دار مخالفيهم دار حرب، كما لم يحكموا بقتل أطفال المشركين وتكفيرهم ولا يقولون بخلودهم في النار، ولم يجيزوا سبي الذرية والنساء، ولهم آراء انفردوا بها في الشرك والكفر والبراءة. فالشرك عندهم شركان: شرك هو طاعة الشيطان، وشرك هو عبادة الأوثان والكفر كفران كفر بإنكار النعم، وكفر بإنكار الربوبية، والبراءة براءتان: براءة من أهل الحدود سُنّة وبراءة من أهل الجحود فريضة ولم يسقط الصفرية عقوبة الرجم كما فعل الأزارقة، وأجازوا التقية كالنجدات ولكن في القول دون

---

(١) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة: ٣/١١٥٠،١١٥١.

(٢) انظر الفرق بين الفرق: ٩١.

العمل[1].

كلمة للشيخ طاهر الزاوي - رحمه الله - في الخوارج:

يذكر الشيخ طاهر الزاوي في كتابه تاريخ الفتح العربي في ليبيا أن دعوة الخوارج تسللت عن طريق رسلهم إلى المغرب، وبثوا فيه ضلالاتهم ووجدت دعوتهم الخبيثة من البربر إذانا صاغية فتمكنت من نفوسهم وتفرقوا أحزاباً وشيعا تسمت كل منها باسم رئيسها. واختلفت أهواؤهم فيما يدعون إليه، وأعان على نشر ضلالاتهم بين البربر الجهل الذي كان مخيماً على عقولهم، وكان هَمُّ أصحاب هذه النحل محاربةَ مبادئ الإسلام وانتزاع الدولة من العرب بأي ثمن كان، ورفعوا راية العصيان في وجه الخلافة الأموية وانتشرت بدعة الخوارج في كافة المغرب، ويقول صاحب خلاصة تاريخ تونس: (وانتشرت في الأندلس لإنها كانت إذ ذاك تابعة لإفريقية، وقد ساعد على انتشارها ما طرأ على الدولة الأموية من ضعف بسبب ظهور الدعوة العباسية) وقد كان لظهور دعوة الخوارج في إفريقية أسوأ الأثر على الإمارات الإسلامية في إفريقية ولم يستقيم أمرها إلى أن استقر أمر الدولة العباسية فاهتموا بإفريقية اهتماماً خاصاً.

وقد تسربت بدعة الخوارج إلى إفريقية في زمن غير معين ويظهر إنه كان في أواخر المائة الأولى من الهجرة، وأوائل المائة الثانية منها، جاء بها جماعة من الأفاقين من المشرق، وكانت قبيلة مضغرة - من البربر البتر - أول من اعتنق المذهب الخارجي، وانتشر فيها، وكان لرئيسها ميسرة المضغري نشاط في الدعوة إليه، وكان ميسرة يعرف بالفقير وهو أول من ناصر نحلة الخوارج ودعا إليها، وجمع الناس على تأييدها وقد تلقاها من الأفاقين القادمين من المشرق.

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني: ١٣٧/١.

ولما ولي عبيدالله بن الحبحاب على إفريقية سنة ١١٤هـ استعمل عمر بن عبدالله المرادي على طنجة والمغرب الأقصى، فنقم البربر عليه سيرته فيهم فقتلوه سنة ١٢٥هـ وولى ميسرة بدله على طنجة عبدالأعلى بن جريج الإفريقي وهو رومي الأصل، ومولى للعرب، فقتل أيضاً، وانتشرت الفتنة واضطرب حبل الأمن في المغرب فأرسل عبيدالله بن الحبحاب إليه جيشا بقيادة خالد بن أبي حبيب الفهري، فلقيه ميسرة في جموع كثيرة من البربر فهزمه وقُتل خالد، وازدادت فتنة الخوارج في المغرب وقويت شوكتهم وكان من أكبر قواد ميسرة المشهورين طريق أبو صبيح البرغواص وكان قائماً بدعوة الصفرية[1].

---

(١) انظر تاريخ الفتح العربي في ليبيا:١٥٤-١٥٥.

الفصل الخامس

الإباضية

لقد تحيرت كثيراً عند وصولي إلى تاريخ الإباضية في بلادنا حيث إن الأمر يحتاج إلى تجرد وإنصاف وبيان الحقائق التي يتقرب بها إلى الله عزوجل ومن أسباب تحيري أن علماء الفرق يعدون الإباضية من فرق الخوارج، وشيوخ الإباضية ينكرون ذلك ولا يعترفون بنسبتهم إلى الخوارج، ويعدون هذا من غلطات التاريخ التي لم يَتَحرَّ فيها المؤلفون الحقيقة وعالج الشيخ مفتي ديارنا رحمه الله طاهر الزاوي هذا الموضوع بأن جعل كلامه عن الإباضية مستقلا عن الخوارج، وذهب إلى كونه مذهباً من المذاهب الإسلامية التي يتقرب بها إلى الله تعالى ودعاء أبناء المسلمين في ليبيا خصوصاً من اتباع المذهب المالكي والإباضي إلى تحقيق إخوة الدين ويجب على الجميع أن يكونوا كتلة واحدة، وإخوانا متحدين متحابين، وقال إن جميع مذاهب المسلمين تصدر عن أصل واحد هو كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اللذين جاء بهما محمد صلى الله عليه وسلم[1]. ولم يتعرض الشيخ طاهر الزاوي رحمه الله إلى تذكير إخواننا في الدين في بعض المزالق العقدية التي خالف فيها بعض علماء الإباضية المعتمدين في المذهب لأصول أهل السنة والجماعة التي هي العصمة للأمة من الوقوع في الانحرافات العقدية وغيرها،

---

(١) تاريخ الفتح العربي في ليبيا، للشيخ طاهر الزاوي:١٥٥.

ونقصد بأصول أهل السنة والجماعة ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الغر الميامين الطيبين الأطهار وما عليه الأئمة الأخيار من أئمة هذا الدين.

ولا نستطيع أن ننكر ما قام به أتباع هذا المذهب من جهاد ضد إيطاليا في العصر المعاصر والوقوف مع الخلافة الإسلامية متمثلة ذلك في شخصية زعيمهم الموهوب الشيخ سليمان الباروني، ولانستطيع أن ننكر شجاعتهم وإقدامهم وما قدموه للمسلمين في بلادنا ضد الكفر والإلحاد والنصارى إلا أن ذلك لايمنع أن نقول ما نراه حقاً وصواباً وديناً وقربة إلى الله تعالى مراعين في ذلك الأدب والأخلاق في النقد وغرضنا في ذلك الالتقاء على كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم ﴿إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله﴾ فعلى القارئ الكريم أن يتذكر قول الله تعالى عن الذين ﴿يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾. فهذا خلق قرإني كريم .

المبحث الأول

نسبت الإباضية وفرقهم وزمن دخولهم للشمال الإفريقي ودولتهم

أولاً: ينتسبون إلى عبدالله بن إباض بن تيم اللات بن ثعلبة بن بني مرة بن عبيد رهط الأحنف بن قيس آل مقاعس التميمي، كان من أهل العراق جاء إلى الإمام جابر بن زيد لأخذ العلم عنه كان يناظره في أموره وفي مهماته الدينية وفيما يأتي منها وما يذر، وهو تابعي عاصر معاوية، وابن الزبير، وكانت له آراء واجه بها الحكام(١).

يقول الشيخ مفتي الديار الليبية - رحمه الله - :(وهذا المذهب معدود من مذاهب المسلمين التي تعتمد أصولها على الكتاب والسنة ويتفق في كثير من أصوله وفروعه مع مذاهب أهل السنة، ولايختلف معها إلا في مسائل قليلة، وما من مذهب من مذاهب أهل السنة إلا وهو يخالف غيره في بعض المسائل، وقد قال ابن حزم في كتابه (الفصل في الملل والنحل) إن أصحاب عبدالله بن يزيد الإباضي الفزاري الكوفي أقرب إلى أهل السنة من بقية الفرق الأخرى. وهذا المذهب منتشر في مسقط وعمان من بلاد العرب بالمشرق، وفي الزنجبار من بلاد إفريقيا، وفي إفريقية وفي ليبيا والجزائر).

ومن أسمائهم:

يقول الدكتور غالب العواجي: (قد ذهب بعض العلماء من الإباضية إلى

---

(١) انظر طلقات المعهد الرياض في حلقات المذهب الإباضي، سالم بن حمود السيبابي :٧٧، وانظر : الإباضية بين الفرق الإسلامية ص٣٥٣ لعلي يحيى معمر.

تحديد الوقت الذي استعملت فيه تسمية الإباضية وأن ذلك كان في القرن الثالث الهجري وقبلها كانوا يسمون أنفسهم جماعة المسلمين، أو أهل الدعوة، أهل الاستقامة، كما يذكر ابن خلفون من علمائهم) [1].

ثم ناقش الدكتور غالب في كتابه القيم قضية إدراج الإباضية ضمن فرق الخوارج فقال: (ومن هنا يتبين لنا أن تسميتهم باسم الخوارج قديمة وجدت قبل ظهور الأزارقة سواء كان ذلك من التنبؤ بظهورهم على لسان النبي صلى الله عليه وسلم أو في ترديد هذا الاسم على لسان علي رضي الله عنه أو على ألسنة غيره من الناس وعلى ألسنة بعض علماء الإباضية أيضاً وعلى هذا فلا يخطئ من أَلْحَق تسمية الإباضية بالخوارج - ويبقى ما امتاز به الإباضية من تسامح - أو تسامح أغلبيتهم تجاه مخالفيهم قائماً وثابتاً لهم رغم ما يظهر أحياناً في بعض كتب الإباضية من الشدة والقسوة تجاه المخالفين لهم والحكم عليهم بالهلاك والخسران كما يقرره الوارجلاني منهم في كتابه الدليل لأهل العقول)[2]. لقد ذكر الدكتور غالب رأى علي يحيى معمر - رحمه الله - في قضية الإباضية وأنها ليست من فرق الخوارج وذكر غيره من علماء الإباضية الذين يرون إنهم فرقة من فرق الخوارج[3].

ثانيا: فرق الإباضية:

انقسمت الإباضية إلى فرق منها ما يعترف به سائر الإباضية ومنها ما ينكرونها ويشنعون على من ينسبها إليهم ومن تلك الفرق:

---

(١) فرق معاصرة، للدكتور العواجي: ١/٨٠، انظر :أجوبة بن خلفون ص٩.

(٢) فرق معاصرة :١/٨٤.

(٣) نفس المصدر : ١/٨٠ إلى ٨٤.

- الحفصية: أتباع حفص بن أبي المقدام.
- اليزيدية: أتباع يزيد بن إنيسة.
- الحارثية: أتباع حارث بن يزيد الإباضي.
- أصحاب طاعة لايراد بها الله[1]. إلا أن علي يحيى معمر -رحمه الله- ينفي وجود هذه الطوائف عند الإباضية أشد النفي[2].

وإضافة إلى تلك الفرق السابقة فإنه يوجد ست فرق أخرى للإباضية في المغرب هي:

- **فرقة النكار:**

زعيمهم رجل يسمى أبو قدامة يزيد بن فندين الذي ثار في وجه إمام الإباضية بالمغرب عبدالوهاب بن رستم. وسميت هذه الفرقة بالنكارية لإنكارهم إمامة ابن رستم. وقد سميت الفرقة الموافقة لعبدالوهاب بن رستم بالوهابية أو الوهبية.

- **النفاثية:**

نسبة إلى رجل يسمى فرج النفوسي المعروف بالنفاث ونفوسة قرية تقع في ليبيا.

- **الخلفية:**

نسبة إلى خلف بن السمح بن أبي الخطاب عبدالأعلى بن السمح المعافري الذي كانت له مناوشات مع الدولة الرستمية.

- **الحسينية:**

وزعيمهم رجل يسمى أبو زياد أحمد بن الحسين الطرابلسي.

---

(١) انظر : مقالات الأشعري ٨٣/١.

(٢) الإباضية بين الفرق : ص٢٣.

- **السكاكية:**

نسبة إلى زعيمهم عبدالله السكاك اللواتي من سكان قنطرار تميز بأقوال تخرجه عن الإسلام وقد تبرأت منه الإباضية.

- **الفرثية:**

زعيمهم أبو سليمان بن يعقوب بن أفلح [1].

ثالثاً: زمن دخول الإباضية إلى الشمال الإفريقي:

وأول دخول هذا المذهب إلى إفريقية في أوائل المائة الثانية من الهجرة سنة ١٢٠هـ وما بعدها تقريباً. ويؤخذ من كتاب السير للشماخي أن أول من أدخله إلى إفريقية سلمة بن سعيد قدم من المشرق إلى إفريقية في أول المائة الثانية لنشره والدعوة إليه، وكان شديد التعصب له، وذكر الشماخي في كتاب السير إنه كان يقول: (وددت أن يظهر الأمر - يعني مذهب الإباضية - يوما واحدا، فما أبالي أن تضرب عنقي).

وقد اجتمع به في إفريقية عاصم السدراتي، وإسماعيل بن درار الغدامسي وداود القبلي النفراوي، وعبدالرحمن بن رستم، وأخذوا عنه مذهب الإباضية، ولما رأى رغبتهم في دراسة هذا المذهب رغبهم في السفر إلى البصرة لتلقي المذهب على يد أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة البصري مولى بن تميم، وكان إذ ذاك من العلماء المبرزين في المذهب، فرحلوا إليه أربعتهم وانضم إليهم بالبصرة عبدالأعلى بن السمح أبو الخطاب الحميري اليمني فأصبحوا خمسة، ومكثوا عند أبي عبيدة خمسة أعوام يأخذون عنه المذهب الإباضي حتى

---

(١) فرق معاصرة (٨٥/١).

أصبحوا من أعلامه ثم رجعوا خمستهم إلى إفريقية في زمن معين، ويظهر إنه فيما بين الخمسة والعشرين إلى الأربعين من القرن الثاني الهجري.

وعبدالرحمن بن رستم بن مهران هو من الفرس حج مع أبيه وأمه، فمات أبوه بالحجاز، وتزوجت أمه برجل من القيروان، فذهب معها إلى القيروان، وأول ما تلقى مذهب الإباضية على مسلمة ابن سعيد، وهؤلاء الخمسة يسميهم الإباضية حملة العلم، وهم عندهم في محل التعظيم والإجلال، ومن أئمتهم المشهورين.

وبعد رجوع هؤلاء الخمسة إلى إفريقية زاد انتشار مذهب الإباضية وكثر أنصاره كما سنذكره في حروب أبي الخطاب. وقد انحصر أتباع هذا المذهب في إفريقية في البربر وكان أكثر أتباعه من هوارة ولمسابة ونفزاوة، ومغيلة، ومغراوة، وبني يفرن بن زنانة، وقد توارثوه خلفاً عن سلف، وما زالوا يدينون به إلى الآن وقل أن تجد في طرابلس بربرياً على مذهب مالك كما يندر أن تجد فيها عربياً على مذهب الإباضية[1].

قلت: وأصبح كثير من أبناء الشعب الليبي عرباً وبربراً يدينون بعقيدة أهل السنة والجماعة وينقادون إلى الدليل من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ونبذوا التعصب الذميم وراء ظهورهم واستفادوا من تاريخهم من خطورة التعصب وأثره في تفرق المسلمين وينظرون إلى غد مشرق يسود فيه تحكيم شرع الله في بلادهم وقد أخذوا بالأسباب الربانية والسنن الكونية من أجل التمكين لدين الله تعالى.

---

(١) انظر : تاريخ الفتح العربي في ليبيا ص ١٥٥ ومابعدها.

رابعاً: دولة الإباضية:

قامت للإباضية دولتان إحداهما في المغرب والأخرى في المشرق -عمان- تمتع المذهب الإباضي فيهما بالنفوذ والقوة. وساعد انتشار المذهب الإباضي في عمان بعدها عن مقر الخلافة ثم مسالكها الوعرة. ويرجع دخول المذهب الإباضي عمان إلى فرار بعض الخوارج بعد معركة النهروان إلى هذا البلد كما يرى بعض العلماء. ولكن السالمي من علماء الإباضية يرى أن دخول المذهب إلى عمان يرجع إلى قدوم عبدالله بن إباض.

وعلى أي حال فقد قوي المذهب وأراد أهل عمان الاستقلال عن الخلافة العباسية في عهد السفاح والمنصور وانتخبوا لهم خليفة هو الجلندي بن مسعود بن جيفر الأزدي إلا أن جيوش الخلافة العباسية قضت على حلم أهل عمان وظلت جزءاً من الدولة العباسية إلى سنة ١٧٧هـ حيث بدأت نزعة الاستقلال وولوا عليهم سنة ١٧٩هـ إماماً منهم واستمرت ولاتهم في الحكم في عمان ابتداء بأول خليفة وهو محمد بن أبي عفان الأزدي ثم الوارث بن كعب الخروصي ثم غسان بن عبدالله ثم عبدالملك بن حميد ثم المهنا بن جيفر اليحمدي وهكذا توالت أسماء الخلفاء الإباضيين اسماً تلو الاسم حتى عهد اليعارية الذين قوي نفوذهم جداً واستمروا إلى أن حدثت الانشقاقات والتفرق بينهم فتدخلت الدول الاستعمارية وقضت على الإمامة.

- أما بالنسبة لدولة الإباضية في المغرب فإن قيام هذه الدولة كان نتيجة لانتشار المذهب الإباضي هناك بين قبائل البربر. وطريقة قيام المذهب الإباضي - في المغرب - تمت بوضع خطة للقبض على زمام السلطة شيئاً فشيئاً وكان أول زعيم لهم هو أبو الخطاب عبدالأعلى بن السمح المعافري، فاستولوا على طرابلس ثم عين عبدالرحمن الرستمي قاضياً عليها وواصل أبو

الخطاب انتصاراته ولكن جيش الخلافة العباسية دحرهم في معركة قتل فيها أبو الخطاب وتفرقت الإباضية، ثم قام عبدالرحمن الرستمي الذي يعتبر مؤسس الدولة الرستمية الإباضية في المغرب بمحاولات الاستقلال، وتمت له السيطرة على أماكن كثيرة وسلموا عليه بالخلافة سنة ١٦٠هـ وهو فارسي الأصل، وقد توفي سنة ١٧١هـ فاختاروا ابنه عبدالوهاب الذي واصل تنمية المذهب إلى أن مات، فخلفه ابنه أفلح بن عبدالوهاب وبعد وفاته تولى ابنه أبو اليقظان محمد بن أفلح إلى أن توفي، فخلفه ابنه أبو حاتم يوسف بن محمد بن أفلح إلا أن العلاقة ساءت بينه وبين عمه يعقوب بن أفلح، ودارت بينهما معارك هائلة ومن هنا بدأت الدولة الرستمية في الأفول وداهمتهم الشيعة بقيادة أبي عبيدالله الشيعي وانتهت أسرتهم في سنة ٢٩٦هـ فرثاهم علماء الإباضية كثيراً[1].

خامساً : موقف الإباضية من المخالفين لهم:

تتسم معاملة الإباضيين لمخالفيهم باللين والسماحة ويحرمون الاغتيال والقتل في السر وأن يبدأ أحد من أهل البغي من أهل القبلة بقتال حتى يدعى إلا من عرفوه بعينه، وجوزوا تزويج المسلمات من مخالفيهم . وهذا ما يذكره علماء الفرق عنهم إضافة إلى أن العلماء يذكرون عنهم كذلك أن الإباضية تعتبر المخالفين لهم من أهل القبلة كفارَ نعمةٍ غير كاملي الإيمان، ولا يحكمون بخروجهم من الملة، إلا أن هذا المدح ليس بالاتفاق بين العلماء فهناك من يذكر من الإباضية إنهم يرون ان مخالفيهم محاربون لله ورسوله وإنهم يعاملون المخالفين لهم أسوأ المعاملة، والحقيقة أن القارئ لكتب علماء الفرق يجد إنهم

---

(١) فرق معاصرة :١/٨٦-٨٧-٨٩.

متعارضون في النقل عنهم إلا أن يقال إن طائفة من الإباضية متشددون وآخرون معتدلون، وبهذا وجد الشيخ علي يحيى معمر - رحمه الله - ثغرة في كلام علماء الفرق لوصفهم بالتناقض والاضطراب في النقل إلى آخر ما أورد من انتقادات لا تسلم له على اطلاقها، وذلك انك تجد في بعض كلام علماء الإباضية أنفسهم الشدة في الحكم على المخالفين لهم ووصفهم بأنهم كفار وإنهم من أهل النار مالم يدينوا بالمذهب الإباضي، وتجد آخرين يتسامحون في معاملة المخالفين لهم ويبدو عليهم اللين تجاههم[1]. وتجد التعصب في حكمهم على مخالفيهم ظاهراً قوياً من قراءتك لكتاب مقدمة التوحيد لابن جميح وكتاب الحجة في بيان المحجة في التوحيد بلا تقليد للعيزأبي، ورسالة في فرق الإباضية بالمغرب للمارغيني، وكتاب الدليل لأهل العقول للورجلاني وكذا

---

(١) وإليك نص الرسالة من أحد أبناء السنة في دولة عمان الإباضية بقيادة قابوس، حيث جاء فيها: إنه قد تم اسناد كل الوزارات الهامة، والقضاء والمحاكم لأتباع المذهب الإباضي وإقصاء أهل السنة عمداً، لدرجة أصبح ٩٩٪ من ولاة الولايات من الإباضية، باستثناء واحد موالي لهم وهو علماني من أصول سنية، وياليته توقف هذا التعصب الإباضي إلى هذا الحد بل ذهب إلى اكثر من ذلك، حيث إجبار المدارس على تعليم كيفية الصلاة للأطفال على المذهب الإباضي بدأ من السنة الأولى. وتعميم المنهج الإباضي على المدارس. ومنع أهل السنة من إلقاء الخطب أو الدروس الإسلامية إلا بإذن مسبق وخطي من وزارة العدل وبشروط معينة، حتى بات معظم أئمة المساجد وخاصة في منطقة العاصمة من الإباضية، بل يمنع المحسنون من تعيين أئمة للمساجد التي يبنونها على نفقتهم الخاصة، بل زاد الأمر عن ذلك حتى قرروا بعدم السماح لأهل الخير من أهل السنة استقدام إمام او مؤذن من خارج البلاد إلا بإذن من وزارة العدل !! وفي المقابل السعي الحثيث في طبع وتوزيع الكثير من الكتب والنشرات عن المذهب الإباضي في مناطق أهل السنة. وإنشاء المعاهد الدينية العلمية التي تمنح درجة البكالوريوس في مناطق السنة على أساس المذهب الإباضي، وتشجيع أبناء السنة على مواصلة الدراسة في هذه المعاهد بعد أن أغلقت الجامعات في وجوههم، وتشجيع الإباضية من أبناء شمال افريقيا وإتاحة فرص العمل لهم للعمل في سلك التدريس والإمامة في عمان، واعتبار المذهب الإباضي القرقة الـ (٧٣) الناجية، وادعائهم إنه يمثل مذهب الحق والاستقامة. (مجلة السنة: العدد الثامن والأربعون- ذوالحجة ١٤١٥هـ).

العقود الفضية وكشف الغمة الجامع لأخبار الأمة فإن القارئ لهذه الكتب يجد التشديد تجاه المخالفين قائماً على أشده كما تشهد بذلك مصادرهم المذكورة. ومع هذا فإن العلماء المتقدمين وكثير من المتأخرين يذكرون عبارات كثيرة تصف الإباضية بالتسامح واللين تجاه المخالفين ممن يدعون الإسلام إلا معسكر السلطان فإنه دار بغي وحرابة ومع ذلك نفى الشيخ علي يحيى معمر أن يكون من مذهب الإباضية إنهم يرون أن معسكر السلطان معسكر بغي وحرابة ولكنه هو يقّسم حكام المسلمين في كتابه الإباضية بين الفرق الإسلامية جعل هذا الوصف ينطبق على الحاكم الذي يخرج عن العدل ولا يطبق أحكام الإسلام كاملة[1].

(١) انظر : الإباضية بين الفرق الإسلامية ص٢٧-٢٨، وانظر : فرق معاصرة : ٨٩/١.

المبحث الثاني

موقف الإباضية من الصحابة

أولاً: موقف الإباضية من الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم:

من الأمور المتفق عليها عند سائر الخوارج الترضي التام والولاء والاحترام للخليفتين الراشدين : أبي بكر وعمر رضوان الله عليهما أما بالنسبة للخليفتين الراشدين الآخرين عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما فقد هلك الخوارج فيهما وذموهما مما برأهما الله عنه. والذي يهمنا أن نشير هنا إلى رأي الإباضية في الصحابة رضوان الله عليهم والرد عليها من منظور أهل السنة والجماعة.

أ- موقف الإباضية من عثمان رضي الله عنه:

من الأمور الغريبة أن تجد ممن يدعي الإسلام ويؤمن بالله ورسوله من يقع في بعض الصحابة خصوصاً من شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنة وثبتت بذلك النصوص في حقه. فعثمان رضي الله عنه صحابي جليل شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنة ونحن نشهد واثقين من ذلك.

أما بالنسبة لبعض الإباضية فقد تبرؤوا منه ومن خلافته بل وحكموا عليه بالارتداد والعياذ بالله وحشاه من ذلك، ففي كتاب كشف الغمة لمؤلف إباضي من السب والشتم لعثمان مالا يوصف ولم يكتف بالسب والشتم وأنما اختلق روايات عن بعض الصحابة يسبون فيها عثمان بزعمه ويحكمون عليه بالكفر، ولا شك أن هذا بهتان عظيم منه ويوجد كذلك كتاب في الأديان وكتاب آخر

اسمه (الدليل لأهل العقول) للورجلاني فيهما أنواع من السباب والشتم لعثمان ومدح لمن قتلوه حيث سماهم (فرقة أهل الاستقامة) وهم في الحقيقة بغاة مارقون لا استقامة لهم إلا على ذلك[1].

وإليك أخي القارئ الكريم الأدلة الواضحة والبراهين القاطعة والأنوار الساطعة في فضل عثمان ومكانته في الدين ومحبة سيد المرسلين له مما هو معلوم عند جمهور أهل السنة والجماعة أن أفضل الناس على الاطلاق بعد أبي بكر وعمر هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر يكنى أبا عمرو ويقال أبا عبدالله[2]. يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في عبد مناف وعدد ما بينهما من الآباء متفاوت، فالنبي صلى الله عليه وسلم من حيث العدد في درجة عفان كما وقع لعمر سواء[3]، وأمه رضي الله عنه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس وأمها أم حكيم البيضاء بنت عبدالمطلب وهي شقيقة عبدالله والد النبي صلى الله عليه وسلم ويقال إنهما ولدا توأماً فكان ابن بنت عمة النبي صلى الله عليه وسلم وكان النبي صلى الله عليه وسلم ابن خال والدته وقد اسلمت أمه رضي الله عنه وماتت على الإسلام ولها صحبة رضي الله عنها وأما والده فإنه مات في الجاهلية.

فعثمان رضي الله عنه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى وأحد الثلاثة الذين خلصت لهم الخلافة من الستة، ثم تعينت

---

(١) انظر : فرق معاصرة ٩٤/١، انظر : الدليل لأهل العقول ص ٢٧،٢٨.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد: ٥٣/٣، الكامل لابن الأثير :١٨٤/٣.

(٣) فتح الباري : ٥٤/٧، الإصابة:٢٢٢/٤.

فيه بإجماع المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم، فكان ثالث الخلفاء الراشدين الائمة المهديين المامور باتباعهم والاقتداء بهم وكان رضي الله عنه من السابقين الأولين إلى الإسلام وهاجر إلى الحبشة أول الناس ومعه زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عاد إلى مكة وهاجر إلى المدينة، فيما كانت وقعة بدر اشتغل بتمريض بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام بسببها في المدينة، وضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجره فيها، فهو معدود فيمن شهدها فلما توفت زَوّجَهُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بأختها أم كلثوم ولذلك لقب بذي النورين، لإنه توزج ابنتي نبي واحد ولم يتفق ذلك لغيره رضي الله عنه، وشهد الخندق والحديبية وبايع عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ بإحدى يديه، وشهد خيبر وعمرة القضاء وحضر الفتح وهوازن والطائف وغزوة الطائف وغزوة تبوك وجهز جيش العسرة، صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسن صحبته وتوفى عنه وهو عنه راض، وصحب أبا بكر فأحسن صحبته وتوفى وهو عنه راض، وصحب الفاروق فأحسن صحبته وتوفى وهو عنه راض، وكان رضي الله عنه مما جمع بين العلم والعمل، والصيام والتهجد والإنفاق والجهاد في سبيل الله وصلة الارحام، وكان من الصادقين القائمين الصائمين المنفقين في سبيل الله(١).

وقد وردت أحاديث كثيرة تضمنت ذكر فضائله رضي الله عنه وبعضها دال على إنه أفضل الخلق بعد الشيخين رضي الله عنهما ومن تلك الأحاديث:

---

(١) انظر تذكرة الحافظ الذهبي: ١/٨-١٠، البداية والنهاية : ٧/٢١٢-٢١٩، لوامع الأنوار البهية، السفاريني : ٢/٣٢٨-٣٣٤.

١- ماروواه الإمام البخاري بإسناده إلى عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: "كنا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لا نعدل بأبي بكر أحداً، ثم عمر ثم عثمان ثم نترك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لانفاضل بيهنم"[١].

٢- روى الشيخان من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه:" أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل حائطاً وأمرني بحفظ باب الحائط-البستان- فجاء رجل يستأذن فقال :أئذن له وبشره بالجنة . فإذا أبوبكر، ثم جاء آخر يستأذن فقال :أئذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه فإذا عثمان بن عفان"[٢].

٣- وروى الإمام أحمد بإسناده إلى عبدالرحمن بن سمرة قال : جاء عثمان ابن عفان إلى النبي صلى الله عليه وسلم بألف دينار في ثوبه حين جهز صلى الله عليه وسلم جيش العسرة قال فصبها في حجر النبي صلى الله عليه وسلم يقلبها بيده ويقول : ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم يرددها مراراً"[٣].

قال العلامة ابن القيم ذاكراً صفة خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى غزوة تبوك: (ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جدَّ في سفره وأمر الناس بالجَهَاز وحَضَّ أهلَ الغنى على النفقة والحملان في سبيل الله، فحمل رجال من أهل الغنى واحتسبُوا، وانفق عثمان بن عفان في ذلك نفقة عظيمة لم ينفق أحدٌ مثلها، كانت ثلاثمائة بعير بأحْلاسها وأقتابِها وعُدَّتها، وألفَ دينار عَيناً)[٤].ومن مناقبه رضي الله عنه إجماع الصحابة على خيريته رضي الله عنه، فإنه لما بويع لم يبق في الشورى إلا هو وعلي والحكم عبدالرحمن بن عوف

---

(١) صحيح البخاري ك٢/٢٩٧.

(٢) المرجع السابق: ٢/٢٩٦.

(٣) المسند:٥/٦٣، الترمذي في سننه:٥/٢٨٩.

(٤) زاد المعاد: ٣/٥٢٧.

وبقي عبدالرحمن ثلاثة أيام بلياليها يشاور المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، ويشاور أمهات المؤمنين ويشاور أمراء الأمصار فإنهم كانوا بالمدينة حجوا مع عمر وشهدوا موته حتى قال عبدالرحمن إن لي ثلاثاً ما أغتمضت بنوم وبعد هذا كله وبعد أخذ المواثيق منهم على ان يبايع من بايعه أعلن النتيجة بعد هذا الاستفتاء حين قال إني رأيت الناس لا يعدلون بعثمان فبايعه علي وعبدالرحمن وسائر المسلمين بيعة رضاً واختيار.

إن الأدلة كثيرة جداً في بيان فضل عثمان وإقامة الحجة على من طعن في عثمان رضي الله عنه.

ب- موقف الإباضية من علي رضي الله عنه ومعاوية وبعض الصحابة:

بعض الإباضية يتضح من كتابتهم البراءة من علي رضي الله عنه فإن ذلك واضح في كتاب كشف الغمة فقد كتب المؤلف تحت عنوان فصل من كتاب الكفاية قوله: فإن قال ما تقولون في علي بن أبي طالب، قلنا له إن علياً مع المسلمين في منزلة البراءة وذكر أسباباً - كلها كذب - توجب البراءة منه في زعم مؤلف هذا الكتاب منها حربه لأهل النهروان وهذا تحامل مذموم.

ومن الجدير بالذكر أن بعض الإباضية قد اعتدلوا في موقفهم تجاه علي رضي الله عنه كما يبدو من كلامهم. ففي كتاب وفاء الضمانة بأداء الأمانة مدح وثناء لعلي وأورد الشيخ علي يحيى معمر فصلاً طويلاً بين فيه اعتقاد الإباضية في الصحابة بأنهم يقدرونهم حق قدرهم ويترضون عنهم ويسكتون عما جرى بينهم ونقل عن أبي إسحاق أطفيش في رده على الأستاذ محمد عقيل العلوي أنه قال له : (أما مازعمت من شتم أهل الاستقامة لأبي الحسن علي

وأبنائه فمحض اختلاق) [1].

ونقل عن التعاريتي أيضاً مدحه للصحابة خصوصاً علياً وابنائه وكذلك التذميري الإباضي . وأخيراً قال الشيخ علي يحيى معمر (ولم يكن يوماً من الأصحاب شتم له أو طعن اللهم إلا من بعض الغلاة وهم أفذاذ لا يخلو منهم وسط ولا شعب) [2].

وهذه الحقيقة التي ذكرها الشيخ علي يحيى معمر -رحمه الله- تجعل شدته على صاحب كتاب الفرق في كتابه (الإباضية بين الفرق) في غير محلها فما الذي يمنع أن يكون نقل هؤلاء العلماء على أقل تقدير على هؤلاء الأفذاذ الذين أشار إليهم في كتابه.

والورجلاني يعتبر على حد التعبير السابق ليحيى معمر من الغلاة المتشددين فهو يواصل في كتابه الدليل لأهل العقول تكفيره وشتمه لمعاوية رضي الله عنه ولعمرو بن العاص بل قد قال زعيم الإباضية عبدالله بن إباض نفسه في كتابه لعبدالملك عن معاوية ويزيد وعثمان كما يرويه صاحب كشف الغمة (فإنا نشهد الله وملائكته إنا براء منهم وأعداء لهم بأيدينا وألسنتنا وقلوبنا نعيش على ذلك ما عشنا ونموت عليه إذا متنا ونبعث عليه إذا بعثنا نحاسب بذلك عند الله) [3].

وصاحب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة يشتم الحسن والحسين رضي الله عنهما وأوجب البراءة منهما بسبب ولايتهما لأبيهما على ظلمه وغشمه كما يزعم وكذلك بسبب قتلهما عبدالرحمن بن ملجم وتسليمهما الإمامة لمعاوية

---

(١) انظر : الضمانة (٣/٢٢).

(٢) انظر: الإباضية بين الفرق (ص٢٨٧).

(٣) انظر: فرق معاصرة (١/٩٥).

وهي أسباب لايعتقدها من عرف الصحابة الذين شهد الله ورسوله لهم بالسابقة والفضل ولكن انقطع عنهم العمل فأحب الله أن لايقطع عنهم الأجر وصدق الشاعر حين قال:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص   فهي الشهادة لي بإني كامل

ونفس الموقف الذي وقفه الخوارج عموماً والورجلاني ومن تابعه من الإباضية أيضاً من الصحابة السابقين وقفوه أيضاً من طلحة بن عبيدالله والزبير بن العوام وأوجب لهما الورجلإني النار فسبحان الله ما أجرأ أهل الأهواء والزيغ على شتم خيار الناس بعد نبيهم الذي نصروا الإسلام بأنفسهم وأموالهم وأولادهم ومات الرسول صلى الله عليه وسلم وهو راض عنهم[1].

د- موقفنا من الصحابة رضوان الله عليهم:

١- علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

أجمع أهل السنة من السلف والخلف من أهل الفقه والأثر أن أبا السبطين أفضل الخلق بعد أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين واسمه رضي الله عنه علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي ويكنى أبا تراب وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف ابن قصي ويقال إنها أول هاشمية ولدت هاشمياً وقد أسلمت وهاجرت.

وعلي رضي الله عنه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنه راض وكان رضي الله عنه رابع الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين المأمور بالاقتداء بهم، وكان

---

(١) انظر : فرق معاصرة (٩٥/١).

ممن سبق إلى الإسلام ولم يتلعثم، وتربى في حجر النبي صلى الله عليه وسلم وزَوَّجه ابنته فاطمة رضي الله عنهما، وهاجر إلى المدينة وشهد بدراً والحديبية وسائر المشاهد غير تبوك، لأن النبي صلى الله عليه وسلم خلفه فيها على المدينة، وأبلى ببدر وأحد وبالخندق وبخيبر بلاءاً عظيماً، وأغنى في تلك المشاهد وقام فيها المقام الكريم، وكان لواء النبي صلى الله عليه وسلم بيده في مواطن كثيرة، وجاهد في الله حق جهاده، ونهض بأعباء العلم والعمل والفتيا رضي الله عنه وأرضاه، وكان رضي الله عنه من جملة من غسل النبي صلى الله عليه وسلم وكفنه وولي دفنه[1].

ولقد وردت الأحاديث الكثيرة والأخبار الشهيرة التي دلت على فضله رضي الله عنه ومنها:

١- مارواه الشيخان من حديث سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر: "لأعطين هذه الراية رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله. قال: فبات الناس يدوكون -أي يخوضون - ليلتهم أيهم يعطاها قال: فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها فقال أين علي بن أبي طالب؟ فقالوا: هو يارسول الله يشتكي عينيه قال: فأرسلوا إليه فأتي به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية فقال علي: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا فقال: انفُذْ على رِسْلِكَ حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَم"[2].

---

(١) انظر: عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة:١/٢٧٥.

(٢) صحيح البخاري:٢/٢٩٩-٣٣٠، صحيح مسلم :٤/١٨٨٢.

ومن مناقبه رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل محبته من علامة الإيمان وجعل بغضه علامة للنفاق، فقد روي مسلم بإسناده إلى علي رضي الله عنه قال: "والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي صلى الله عليه وسلم إلي أن لايحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق"(١) ففي هذا منقبة ظاهرة لأبي الحسن رضي الله عنه.

ومن مناقبه الدالة على فضله دعاء النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك، فقد روى أبو عبدالله الحاكم بإسناده إلى علي رضي الله عنه قال: "بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن قال فقلت: يارسول الله إني رجل شاب وإنه يرد علي من قضاء مالا علم لي به قال فوضع يده على صدري وقال: اللهم ثبت لسانه واهد قلبه" فما شككت في القضاء أو في قضاء بعد(٢).

والأدلة كثيرة في بيان فضل علي رضي الله عنه التي تلجم أفواه الخوارج المارقين وكذلك بعض من زاغ من علماء الإباضية في النظرة لعلي رضي الله عنه وسائر الصحابة أجمعين.

٢- طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه:

ومما يحزن القلب ويدمع العين ماذكره الورجلاني في كتابيه كشف الغمة وكتابه الدليل لأهل العقول عن الصحابي الجليل طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه بأنه والزبير بن العوام رضي الله عنهما من أصحاب النار وقد علمت أن كثيرا من إخواننا البرابرة في الشمال الإفريقي وخصوصاً في بلادنا تأثر بالمذهب الإباضي، فأحببت أن أهدي لهم هذه الحقائق الناصعة حتى يلقوا

---

(١) صحيح مسلم : ١٠٦/١.

(٢) المستدرك للحاكم ١٣٥/٣، قال عقبه: صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي. ولقد استفدت في حديثي عن الإباضية على مذكرات الفرق للدكتور العواجي.

الله وقلوبهم سليمة طاهرة على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الطيبين الأخيار.

فطلحة بن عبيدالله: هو أبو محمد طلحة بن عبيدالله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد ابن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي[١]، يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب ومع أبي بكر الصديق في تيم بن مرة وعدد ما بينهم من الآباء سواء[٢] وأمه رضي الله عنها الصعبة بنت الحضرمي امرأة من أهل اليمن وهي أخت العلاء بن الحضرمي[٣] أسلمت ولها صحبة وظفرت بشرف الهجرة، وطلحة رضي الله عنه أحد العشرة الذين بشروا بالجنة، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وأحد الستة أصحاب الشورى، وكان رضي الله عنه في وقعة بدر قد وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم وسعيد بن زيد يتجسسان خبر العير قبل خروجه عليه الصلاة والسلام إلى بدر فلم يرجعا إلا وقد فرغ من موقعة بدر، وضرب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمهما وأجرهما[٤].

وفضائله رضي الله عنه كثيرة مشهورة منها:

١- ماروا‍ه البخاري بإسناده إلى قيس بن أبي حازم قال: "رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد"[٥].

---

(١) الإصابة : ٢٢٠/٢، وانظر الاستيعاب لابن عبدالبر على حاشية الإصابة :٢١٠/٢.

(٢) فتح الباري :٨٢/٧.

(٣) الإصابة : ٢٢٠/٢.

(٤) انظر المستدرك :٣٦٩/٣،٤٣٨.

(٥) صحيح البخاري :٢٣/٣.

هذا الحديث اشتمل على منقبة عظيمة خص بها طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه وهي إنه وقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده يوم أحد لما أراد بعض المشركين أن يضربه فاتقى طلحة الضربة بيده حتى أصابها شلل والشلل بطلان في اليد أو في الرجل من آفة تعتريها، فالحديث فيه بيان فضيلة عظيمة لطلحة رضي الله عنه وأرضاه. ومن مناقبه ماروواه أبو نعيم بإسناده إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: "كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد قال: ذلك كله يوم طلحة"[1].

ومما يدل على عظم مكانته وعلو منزلته أن النبي صلى الله عليه وسلم شهد له بالجنة ضمن جماعة من فضلاء الصحابة فقد روى الترمذي بإسناده إلى عبدالرحمن بن عوف قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وعبدالرحمن بن عوف في الجنة وسعد في الجنة وسعيد في الجنة وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة" ثم قال: وقد روي هذا الحديث عن عبدالرحمن بن حميد عن أبيه عن سعيد بن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو هذا. هذا هو طلحة بن عبيدالله الذي ذكره الورجلاني الإباضي بسوء وجعله من أهل النار.

٣- الزبير بن العوام رضي الله عنه:

هو أبو عبدالله الزبير بن العوام بن خوياد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي ابن كلاب القرشي الأسدي[2] يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في قصي

---

(١) حلية الأولياء : ٨٧/١.

(٢) الترمذي : ٣١١/٥.

وعدد ما بينهما من الآباء سواء[1] وهو حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته، أمه صفية بنت عبدالمطلب، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى. قال عروة بن الزبير أسلم الزبير بن العوام وهو ابن ثمان سنين وهاجر وهو ابن ثمان عشرة سنة، وكان عم الزبير يعلق الزبير في الحصير ويدخن عليه النار ويقول ارجع إلى الكفر فيقول الزبير لا أكفر أبداً.

وقال أيضاً: أسلم الزبير وهاجر إلى أرض الحبشة الهجرتين معا ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم[2]، فهو رضي الله عنه من السابقين الأولين إلى الإسلام وشهد المشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حوارِيَاً، وإن حوارِيَّ الزبيرُ بن العوام"[3]. ومعنى الحواري: هو الناصر المخلص، فالحديث اشتمل على هذه المنقبة العظيمة التي تميز بها الزبير رضي الله عنه، ومناسبة الحديث عندما ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس يوم الخندق "فانتدب الزبير فقال النبي صلى الله عليه وسلم لكلّ نبي حواريٌّ وحواري الزبير"[4].

وقد ذكرت إنه من أهل الجنة في الحديث الذي ذكرته في فضائل طلحة وهذا رد مختصر مفيد في الدفاع عن الزبير رضي الله عنه وبيان فضله ومكانته.هذا موقف الإباضية من بعض الصحابة رضي الله عنهم منهم المتشدد ومنهم المعتدل، فرددنا على المتشدد وبينا ضلاله وزيغه في شتمه لمن ذكرنا من الصحابة، ودعونا للمنصف بالمغفرة والرحمة والرضوان من الله تعالى.

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد : ٣/١٠٠.

(٢) فتح الباري: ٧/٨٠.

(٣) المستدرك للحاكم : ٣/٣٦٠، انظر طبقات ابن سعد.

(٤) صحيح البخاري ك ٢/٣٠٢.

المبحث الثالث

بعض عقائد الإباضية ومناقشتها

نود الإشارة في هذا المبحث إلى أن الإباضية لهم أفكار عقدية وافقوا فيها أهل السنة والجماعة "ما كان عليه رسول الله وأصحابه" وعقائد أخرى جانبوا فيها الصواب.

١- ما يتعلق بصفات الله تعالى:

فإن مذهب الإباضية فيها إنهم انقسموا إلى فريقين: فريق نفى الصفات نفياً تاماً خوفاً من التشبيه بزعمهم، وفريق منهم يرجعون الصفات إلى الذات، فقالوا إن الله عالم بذاته وقادر بذاته وسميع بذاته إلخ الصفات، فالصفات عندهم عين الذات، قال أحمد بن النضر:

وهو السميع بلا أداة تسمع ... إلا بقدرة قادر وحدإني
وهو البصير بغير عين ركبت ... في الرأس بالأحضان واللحظات
جل المهيمن عن مقال مكيف ... أو أن ينال دراكه بمكان
أو أن يحيط به صفات معبر ... أو تعتريه هماهم الوسنان[1]

ويقول السالمي:

أسماؤه وصفات الذات ليس بغير ... الذات بل عينها فافهم ولا تحلا
هو على العرش والأشيا استوى ... وإذا عدلت فهو استواء غير ما عقلا

---

(١) كتاب الدعائم ص ٢٤.

وإنما استوى ملك ومقدرة لـــه على كلها استيلاء وقد عـــــدلا

كما يقال استوى سلطانهم فعلى على البلاد فحاز السهل والجبـــلا[1]

وهذا في حقيقته نفي للصفات ولكنه نفي مغطى بحيلة إرجاعها إلى الذات وقد شنع الورجلاني منهم على الذين يثبتون الصفات بأنهم مشبهة كعباد الأوثان وأن مذهب أهل السنة هو -حسب زعمه- تأويل الصفات فاليد النعمة والقدرة والوجه الذات ومجئ الله مجيء أمره بفصل القضاء لأن إثبات هذه الصفات لله هو عين التشبيه كما يزعم بعض الإباضية.

والحاصل أن الإباضية مختلفون في إثبات صفات الله تعالى فإباضية المشرق يختلفون عن إباضية المغرب ذلك أن إباضية المشرق تعتقد أن صفات الله تعالى حادثة وإباضية المغرب تعتقد إنها قديمة وبين الفريقين من التباعد في هذا مالا يخفى.

ومعلوم لطلاب العلم أن هذا ليس هو مذهب أهل السنة والجماعة الذين يثبتون الصفات لله كما وصف نفسه في كتابه الكريم ووصفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير تشبيه ولاتعطيل ولا تحريف ولاتكييف ولاتمثيل ويقولون في كل صفة لله إنها معلومة والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة وأن الله ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ (سورة الشورى، آية:١٢).

وهذه الآية أساس واضح في إثبات الصفات لله ولم ير أهل السنة أن إثبات الصفات يؤدي إلى التشبيه لمعرفتهم أن الاتفاق في التسمية لايستلزم الاتفاق في الذات فالله سميع بصير والإنسان سميع بصير وبين الذاتين ما يعرفه كل عاقل من الفرق من تصور التشبيه فقد جمع بين التشبيه والتعطيل[2].

---

(١) غاية المراد: ص٧.

(٢) فرق معاصرة: ٩٧/١.

وإليك أخي القارئ الكريم معتقد أهل السنة والجماعة في هذا الباب العظيم، إنهم يؤمنون بما وردت به نصوص القرآن والسنة الصحيحة إثباتاً ونفياً فهم بذلك يسمون الله بما سمى به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ولايزيدون على ذلك ولا ينقصون منه.

ويثبتون لله عزوجل ويصفونه بما وصف به نفسه في كتابه أو على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولاتعطيل ومن غير تكييف ولاتمثيل وينفون عن الله ما نفاه عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم مع اعتقاد أن الله موصوف بكمال ضد ذلك الأمر المنفي.

وبذلك تكون سلكت منهج القرآن والسنة الصحيحة، فكل اسم أو صفة لله سبحانه وردت في الكتاب والسنة الصحيحة فهي من قبيل الإثبات فيجب بذلك إثباتها، وأما النفي فهو أن ينفي عن الله عزوجل كل ما يضاد كماله من أنواع العيوب والنقائص مع وجوب اعتقاد ثبوت كمال ضد ذلك المنفي[1].

وارتكز منهج أهل السنة والجماعة في هذا الباب على ثلاث أسس رئيسية هي:

الأساس الأول: الإيمان بما وردت به نصوص القرآن والسنة الصحيحة من أسماء الله وصفاته إثباتاً ونفياً.

الأساس الثاني: تنزيه الله عزوجل أن يشبه شيء من صفاته شيئاً من المخلوقين.

الأساس الثالث: قطع الطمع عن إدراك كيفية اتصاف الله بتلك الصفات.

وهذه الأسس العظيمة، مهمة جدا لطالب العلم، وبها تنفتح أبوابٌ مغلقة في

---

(١) انظر منهج الدراسات لآيات الأسماء والصفات للشيخ محمد الأمين الشنقيطي: ٢٥.

معرفة أسماء الله وصفاته ومن خلالها يتميز المسلم الصادق المتبع لمنهج أهل السنة والجماعة عن أهل التمثيل، والله الهادي إلى صراطه المستقيم ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾ (النور: ٤٠).

٢- عقيدة الإباضية في استواء الله وعلوه:

وأما عقيدة الإباضية في استواء الله وعلوه فإنهم يزعمون أن الله يستحيل أن يكون مختصاً بجهة ما بل هو في كل مكان، ولهذا فقد فسر الإباضية معنى استواء الله على عرشه باستواء أمره وقدرته ولطفه فوق خلقه أو استواء ملك ومقدرة وغلبة، وإذا قيل لهم: لما خص العرش بالاستيلاء والغلبة؟ أجابوا بجواب واه، قالوا: لعظمته، وقد خرجوا بهذه التأويلات عن المنهج الشرعي إلى إعمال العقل بدون ضوابط اللغة بتكلف ظاهر مخالف للاعتقاد السليم والمنطق والفطرة[1].

القول الصحيح في عقيدة الاستواء:

إن الله تعالى وصف نفسه بالعلو في السماء، ووصفه بذلك محمد خاتم الأنبياء، وأجمع على ذلك جميع العلماء من الصحابة الاتقياء والأئمة الفقهاء وتواترت الأخبار بذلك على وجه حصل به اليقين، وجمع الله عليه قلوب المسلمين وجعله مغروزاً في طباع الخلق أجمعين فتراهم عند نزول الكرب بهم يلحظون السماء بأعينهم ويرفعون نحوها للدعاء أيديهم، وينظرون مجيء الفرج من ربهم وينطقون بذلك بألسنتهم لا ينكر ذلك إلا مبتدع غال في بدعته، أو مفتون بتقليده واتباعه على ضلالته[2].

---

(١) فرق معاصرة : ٩٩/١.

(٢) إثبات صفة العلو للمقدسي: ٦٣.

من الآيات الدالة على علو الله على خلقه:

قوله تعالى: ﴿ءأمنتم مَنْ في السماء﴾ (الملك:١٦) وقال تعالى :﴿ تعرج الملائكة والروح إليه﴾ (المعارج:٤) وقوله تعالى: ﴿ وهو القاهر فوق عباده﴾ (الأنعام:١٨) وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "ارحم مَنْ في الأرض يرحمك مَنْ في السماء" ونقل إجماع علماء أهل السنة والجماعة في علو الله على خلقه العلامة عبدالرحمن السعدي في كتابه توضيح الكافية الشافية[1].

وحديث معاوية بن الحكم السلمي دليل واضح أيضاً قال: كانت لي غنم بين أحد والجوإنية أقربه قرب المدينة فيها جارية لي، فاطَّلَعْتُ ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب منها بشاة وأنا من بني آدم (آسف كما يأسفون، فرفعت يدي فصككتها فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك، فعَظَّم ذلك، فقلت يارسول الله: "أفلا أعتقُها؟ قال ادعها فدعوتها قال: فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أين الله؟ قالت في السماء، قال من أنا؟ فقالت: أنت رسول الله. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أعتقها فإنها مؤمنة"[2].

- من أقوال العلماء:

قال ابن تيمية - رحمه الله -: (إن القرآن والسنن المستفيضة المتواترة وكلام السابقين والتابعين بل سائر القرون الثلاثة مملوء بما فيه إثبات علو الله على عرشه بأنواع من الدلالات، ووجوه من الصفات، وأصناف من العبارات، وتارة يخبر إنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش وقد ذكر الاستواء على العرش في سبعة مواضع، وتارة يخبر بعروج الأشياء

---

(١) توضيح الكافية الشافية :٦٩.

(٢) صحيح مسلم : كتاب المساجد : ٥٣٧، ٣٨٢/١.

وصعودها وارتفاعها، وتارة يخبر بنزولها منه أو من عنده واستدل بآيات وأحاديث كثيرة في ذلك) [(١)].

معنى كون الله في السماء: أي أن الله تعالى على السماء ففي بمعنى على وليست للظرفية لأن السماء لاتحيط بالله أو إنه في العلو فالسماء بمعنى العلو وليس المراد بها السماء المبنية[(٢)].

وبَيَّنَ أهلُ السنة أن علو الله وفوقيته على خلقه لايتنافى مع وجود معيته وبينوا أن الله وصف نفسه بالمعية في آيات كثيرة وهي نوعان عامة وخاصة فالعامة كقوله تعالى: ﴿ هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير﴾ (الحديد:٤) وقوله تعالى: ﴿ ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض مايكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولاخمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم﴾ (المجادلة:٧) قال تعالى: ﴿ يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم﴾ (النساء:١٠٨) وأما المعية الخاصة كقوله تعالى: ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ (النحل:١٢٨) وقوله تعالى: ﴿قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى﴾ (طه:٤٦) وقوله تعالى: ﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين﴾(البقرة:٢٤٩) وقوله تعالى: ﴿ فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم﴾ (محمد:٣٥).

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل ،لابن تيمية :١/٢٠٠.

(٢) لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد لابن قدامة :٦٨.

ولكل معية اختصاصاتها:

فإذا قيل: الله مع خلقه بطريقة العموم كان معنى ذلك علمه بهم وتدبيره لهم وقدرته عليهم، وهذا هو قول السلف في المعية العامة كما يتضح من أقوالهم.

وفي قوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات﴾ (المجادلة:٧) ابتدأ الله عزوجل الآية بالعلم وختمها بالعلم، فعلمه عزوجل محيط بخلقه وهو على عرشه وهذا قول المسلمين[١]. والمعية الخاصة معناها: أنه معهم بالنصرة والتأييد والمعونة كقوله تعالى: ﴿ فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم﴾ (محمد:٣٥) في النصر لكم على عدوكم.

إثبات استواء الله على عرشه:

الأدلة من القرآن:

قال تعالى:﴿ إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾ (الأعراف:٥٤) وقال تعالى: ﴿ وتوكل على الحيّ الذي لايموتُ وسَبِّحْ بحمدِهِ وكَفَى به بذنوبِ عباده خبيراً، الذي خَلَقَ السمواتِ والأرضَ وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرشِ الرحمنُ فسئل به خبيراً﴾ (الفرقان:٥٨-٥٩).

من أقوال السلف:

ذكر ابن تيمية في كتابه شرح حديث النزول: إن مالك بن أنس سئل عن

---

(١) انظر الشريعة للآجري:٢٨٧.

قول الرحمن على العرش استوى. فقال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا ضالاً وأمر أن يُخْرَج من المجلس.

وروي بإسناده الثابت عن عبدالله بن المبارك إنه قال: نعرف ربنا بأنه فوق سبع سمواته بائن عن خلقه، ولانقول كما قالت الجهمية بأنه ها هنا، وأشار بيده إلى الأرض وأجمع السلف على إثبات استواء الله على عرشه فيجب إثباته من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولاتمثيل وهو استواء حقيقي معناه العلو والاستقرار على وجه يليق بالله تعالى[1]. وهكذا قد بينا بإيجاز معتقد الإباضية في استواء الله وعلوه ثم رددنا عليه من الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال علماء أهل السنة والجماعة.

٣- معتقد الإباضية في باب رؤية الله عزوجل:

ذهبت الإباضية في باب رؤية الله تعالى إلى إنكار وقوعها لأن العقل -كما يزعمون- يحيل ذلك ويستبعده واستدلوا بقوله تعالى: ﴿لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾ (الأنعام: ١٠٣) وأولو معنى الآية تأويلاً خاطئاً على طريقة المعتزلة. ومن أدلتهم قوله تعالى: ﴿قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني﴾ (الأعراف:١٤٣).

واستدلوا من السنة بحديث عائشة حين سئلت عن الرسول صلى الله عليه وسلم هل رأى ربه ليلة الإسراء فأجابت بالنفي كما رواه صاحب وفاء الضمانة وقد أورد الربيع بن حبيب صاحب كتاب الجامع الصحيح أو مسند الربيع الذي

---

(١) لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد:٦٢.

هو عندهم بمنزلة صحيح البخاري ومسلم عند أهل السنة ويعتبرونه أصح كتاب بعد القرآن الكريم كما يزعمون أورد عدة روايات عن بعض الصحابة تدل على إنكارهم رؤية الله تعالى(١).

والواقع أن كل استدلالاتهم التي شابهوا فيها المعتزلة إما استدلالات غير صحيحة الثبوت أو صحيحة ولكن أولوها على حسب هواهم في نفي الرؤية فإن الآية الأولى ليس فيها نفي الرؤية وإنما نفي الإحاطة والشمول فالله يرى ولكن من غير احاطة به عزوجل. وقوله لموسى ﴿لن ترإني﴾ أي في الدنيا وقد علق الله إمكان رؤيته تعالى بممكن وهو استقرار الجبل، وحديث عائشة إنما أرادت نفي أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم رأى ربه في ليلة الإسراء وليس المقصود نفي الرؤية مطلقاً فهذا لم ترده أم المؤمنين ومن فهم النفي مطلقا فهو سيىء الفهم جاهل بالنصوص(٢).

وخلاصة القول في هذه المسألة أن رؤية الله تعالى عند السلف أمرٌ معلوم من الدين بالضرورة لايماري فيها أحد منهم بعد ثبوتها في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وفي أقوال الصحابة رضي الله عنهم وفي أقوال علماء السلف قاطبة رحمهم الله تعالى(٣).

الأدلة على ثبوت الرؤية عند أهل السنة والجماعة:

اثبت الرؤية أهل السنة والجماعة وخالف فيها الإباضية والمعتزلة والجهمية ومن تبعهم من الخوارج والإمامية.

---

(١) مسند الربيع بن حبيب :٣٥/٣.

(٢) فرق معاصرة :١٠٠/١.

(٣) المرجع السابق : ٩٤.

الأدلة من القرآن:

قال تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناضرةٌ﴾ (القيامة:٢٢-٢٣) والنظر له عدة استعمالات بحسب صلاته وتعديته بنفسه: فإن عدي بفي كان معناه التفكر والاعتبار كقوله تعالى: ﴿أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض﴾ (الأعراف:١٨٦) وإن عدي بإلي كان معناه المعاينة بالأبصار.

كقوله تعالى: ﴿ انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه﴾ (الأنعام:١٩٩) فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذي هو محل البصر؟! فإضافة النظر إلى الوجه وتعديته بإلى الصريحة في نظر العين، وإخلاء الكلام عن قرينه تدل على خلافه برهان قاطع بأن الله أراد نظر العين إلى الرب جل جلاله وهذا هو قول المفسرين من أهل السنة والحديث وهو قول ابن عمر، والحسن وابن عباس وعكرمة وغيرهم رحمهم الله[1].

وقوله تعالى: ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ (المطففين:١٥) فإذا حجب الكفار في السخط دل ذلك على أن أولياءه يرونه في الرضا، وقد احتج الإمام الشافعي بذلك وغيره من الأئمة على الرؤية لأهل الجنة. قوله تعالى: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ (يونس:٢٦) والزيادة قد فسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنها النظر إلى وجه الله عزوجل.

روى مسلم عن صهيب قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ قال: "إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مناد، يا أهل الجنة، إن لكم عند الله وعداً يريد أن ينجزكموه، فيقولون ما هو؟ ألم يثقل موازيننا، ويبيض وجوهنا، ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟

(١) تهذيب شرح الطحاوية، للدكتور صلاح الصاوي:١٣١.

فيكشف الحجاب فينظرون إليه، فما أعطاهم شيئاً أحبَّ إليهم من النظر إليه وهي الزيادة".

السنة:

روى أحاديث الرؤية نحو ثلاثين صحابياً، وهي متواترة ورواها أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن منها: حديث أبي هريرة: "إن ناسا قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا لا يارسول الله، قال: هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا قال فإنكم ترون ربكم كذلك"[1]. وروي جرير بن عبدالله البجلي: قال: "كنا جلوساً مع النبي صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال: إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا لاتضامون في رؤيته"[2]. والأحاديث في هذا المقام كثيرة والتشبيه الذي في هذه الأحاديث إنما هو للرؤية وليس للمرئي، فهو تشبيه الرؤية لاتشبيه المرئي بالمرئي هذه بعض أدلة أهل السنة وهي قاطعة في إثبات الرؤية، ولا يلتفت إلى التأويلات الفاسدة فهذه هي التي خربت العقول والديار[3].

٤- من عقائد بعض الإباضية في كلام الله تعالى القول بخلق القرآن بل حكم بعض علمائهم كابن جيمع والورجلاني أن من لم يقل بخلق القرآن فليس منهم.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الصلاة : باب ٤٥، حديث ٧٧٣.

(٢) المرجع السابق: باب ١٥، حديث: ٥٢٩.

(٣) تهذيب الطحاوي، للصاوي:١٣٣.

وهذه المسألة نرجو من الله أن تكون قد ماتت من أذهان الناس. وقد عرف المسلمون أن القول بخلقه من أبطل الباطل إلا من بقي على القول بخلقه منهم وهم قلة شاذة بالنسبة لعامة المسلمين، وموقف السلف واضح فيها وهو موقف إمام السنة أحمد بن حنبل رحمه الله وهو القول بأن القرآن كلام الله تعالى منه بدأ وإليه يعود، ومن قذف الله الإيمان والنور في قلبه يعلم أن الله تعالى تكلم بالقرآن وبلغه جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والكلام صفة لله تعالى[1]. والقرآن الكريم من كلام الله تعالى منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود فهو كلام الله حروفه ومعانيه. والدليل إنه من كلام الله قوله تعالى: ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله﴾ (التوبة:٦) والقرآن منزل من عند الله ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده﴾ (الفرقان:١).

والقرآن غير مخلوق والدليل قوله تعالى:﴿ألا له الخلق والأمر﴾ (الأعراف:٥٤) فجعل الأمر غير الخلق والقرآن من الأمر لقوله تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا﴾ (الشورى:٢٢) وقوله تعالى: ﴿ذلك أمر الله أنزله إليكم﴾ (الطلاق:٥) ولأن كلام الله صفة من صفاته وصفاته غير مخلوقة. ودليل إنه منه بدأ، أن الله أضافه إليه ولا يضاف الكلام إلا إلى من قاله مبتدئا. ودليل إنه إليه يعود إنه ورد في بعض الأحاديث إنه يرفع من المصاحف والصدور في آخر الزمان[2].

وقال ابن جرير الطبري في صريح السنة: (القرآن كلام الله وتنزيله إذ كان من معاني توحيده، فالصواب من القول في ذلك عندنا إنه كلام الله غير

---

(١) الفرق مذكرة العواجي : ٩٥.

(٢) لمعة الاعتقاد بتصرف :٧٨-٧٩.

مخلوق[1]. وقال الشيخ علاء الدين بن العطار: القرآن كلام الله وكتابه، وخطابه وتنزيله غير مخلوق، من قال بخلقه فقد كفر، إذ هو صفة من صفاته[2].

ومما ينبغي الإشارة إليه هنا أن بعض الإباضية قد خرج عن القول بخلق القرآن كصاحب كتاب الأديان[3] وكذا أبو النضر العماني[4] وردا على من يقول بخلقه وبسطا الأدلة في ذلك وبهذا يتضح أن الإباضية قد انقسموا في هذه القضية إلى فريقين.

٥- مسألة القدر:

وقد اعتدل الإباضية في مسألة القدر ووافقوا أهل السنة فأثبتوا القدر خيره وشره من الله تعالى، وأن الله خالق كل شيء، وأن الإنسان فاعل لأفعاله الاختيارية مكتسب لها محاسب عليها. وبهذا المعتقد صرح زعماؤهم كالنفوسي، والعيزأبي والسالمي، وعلي يحيى معمر.

٦- مسألة عذاب القبر:

وقد اختلف الإباضيون في إثبات عذاب القبر، فذهب قسم منهم إلى إنكاره موافقين بذلك سائر فرق الخوارج وذهب قسم آخر إلى إثباته. قال النفوسي في متن النونية:

---

(١) صريح السنة للطبري: ١٨.

(٢) الاعتقاد الخالص من الشك لابن العطار:٣٥.

(٣) كتاب الأديان: ١٠٤.

(٤) كتاب الدعائم لأبي نصر العماني :٣١-٣٥.

وأما عذاب القبر ثبت جابر وضعفه بعض الأئمة بالوهن

ومعتقد أهل السنة هو القول بثبوت عذاب القبر ونعيمه، كما صحت بذلك النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة، ومن أنكره فليس له دليل إلا مجرد الاستبعاد ومجرد الاستبعاد ليس بدليل. أما الإشارة إلى عذاب القبر في القرآن قوله تعالى: ﴿النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾ (غافر:٤٦) وقال تعالى: ﴿وإن للذين ظلموا عذابا دون ذلك ولكن أكثرهم لايعلمون﴾ (الطور:٤٧) وهو محتمل لعذاب القتل وغيره في الدنيا، أو عذاب البرزخ، وهو أظهر، لأن الكثير منهم مات ولم يعذب في الدنيا[١]. وفي الصحيحين عن ابن عباس "أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أمَّا أحدُهُما فكان لا يستتر من البول وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة فدعا بجريدة رطبة فشقها نصفين وقال: لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا"[٢].

أما سؤال منكر ونكير للميت في قبره فقد استفاضت به أيضاً النصوص: روى البخاري عن أنس: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن العبد إذا وضع في قبره وتولىعنه أصحابه إنه يسمع قرع نعالهم فيأتيه ملكان فيقعدإنه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد إنه عبدالله ورسوله، فيقول انظر إلى مقعدك في النار أبدلك الله به مقعداً من الجنة فيراها جميعا"[٣]. والسؤال في القبر للبدن والروح معا، وليس وحدها كما قال ابن حزم، فيجب الإيمان بذلك ولا يسأل عن كيفيته

---

(١) تهذيب شرح الطحاوية : ١٩٢.

(٢) البخاري : كتاب الوضوء، باب ٥٤ حديث ٢١٣.

(٣) البخاري : كتاب الجنائز، باب ٦٦، حديث ١٢٧٣

إذ ليس للعقل مدخل في ذلك لإنه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول ولكن قد يأتي بما تحار فيه فإعادة الروح للجسد ليست على الوجه المعهود في الدنيا[1].

٧- وجود الجنة والنار الآن:

يثبت الإباضيون وجود الجنة والنار الآن ويثبتون الحوض ويؤمنون بالملائكة والكتب المنزلة[2].

٨- الشفاعة:

وأما الشفاعة: فإن الإباضية يثبتونها ولكن لغير العصاة بل للمتقين وكأن المتقي في نظرهم أحوج إلى الشفاعة من المؤمن العاصي قال صاحب كتاب الأديان - والشفاعة حق للمتقين وليست للعاصين.

وقال السالمي:

وما الشفاعة إلا للتقي كماقد قال رب العلا فيها وقد فصلا[3]

وذكر الربيع بن حبيب روايات عن الرسول صلى الله عليه وسلم تدل في زعمه على هذا المعتقد وقرر الحارثي في كتابه العقود الفضية تلك القضية[4]. ومذهب أهل السنة أن الرسول صلى الله عليه وسلم يشفع في عصاة المؤمنين أن لايدخلوا النار ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها بعد إذن الله ورضاه وثبت أن الله يقبل شفاعته في ذلك وشفاعة الصالحين في عباده بعضهم في بعض

---

(١) تهذيب الطحاوية : ١٩٤.

(٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) فرق معاصرة :١/١٠٢.

(٤) المرجع السابق: ١/١٠٢.

وقد قسم أهل السنة في كتبهم الشفاعة إلى أنواع مسترشدين في ذلك إلى الآثار النبوية الواردة في ذلك.

النوع الأول: الشفاعة العظمى: وهي خاصة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ذلك إنه إذا كانت القيامة وبلغ الكرب بالناس ما بلغ يهرعون إلى الأنبياء ليشفعوا لهم عند الله ليخلصهم مما هم فيه ويأتي للفصل بينهم، فيذكر كل نبي ذنبه، ويحيل إلى الآخر حتى إذا انتهوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم فإنه يذهب ويسجد تحت العرش، ثم يسأل الله الشفاعة في ذلك فيجيبه عزوجل لذلك، ويأتي للفصل بين العباد.

النوع الثاني: شفاعته صلى الله عليه وسلم في أقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة.

النوع الثالث: شفاعته في أقوام قد أمر بهم إلى النار لئلا يدخلوها.

النوع الرابع: شفاعته صلى الله عليه وسلم في رفع درجات من يدخل الجنة فيها فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم.

النوع الخامس: شفاعته في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب، ودليله حديث عكاشة بن محصن حين دعا له صلى الله عليه وسلم أن يجعله من السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب[1].

شفاعته في تخفيف العذاب عمن يستحقه، كشفاعته في عمه أبي طالب أن يخفف عنه عذابه. أما قوله تعالى: ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾ (المدثر:٤٨) فالمراد لا تنفعهم في الخروج من النار. والآية دليل على صحة الشفاعة للمذنبين الموحدين ذكره القرطبي. وشفاعته أن يؤذن لجميع المؤمنين في دخول

---

(١) مسند الربيع بن حبيب، الجامع الصحيح :٤/٣١،٢٢٣.

الجنة. عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنا أول شفيع في الجنة"[1] شفاعته في أهل الكبائر من أمته عن أنس قال: قال صلى الله عليه وسلم: "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي"[2]. وهذه الشفاعة التي تشاركه فيها الملائكة والنبيون والمؤمنون وقد خالفت فيها الخوارج والمعتزلة.

٩- الميزان:

وأما الميزان الذي جاءت به النصوص وثبت أن له كفتان حسيتان مشاهدتان توزن فيه أعمال العباد كما يوزن العامل نفسه فإن الإباضية تنكر هذا الوصف ويثبتون وزن الله للنيات والأعمال بمعنى تمييزه بين الحسن منها والسيئ وأن الله يفصل بين الناس في أمورهم ويقفون عند هذا الحد غير مثبتين ما جاءت النصوص به من وجود الموازين الحقيقية في يوم القيامة. وعلى الصفات التي جاءت في السنة النبوية.

وأدلة أهل السنة والجماعة واضحة في القرآن وسنة النبي صلى الله عليه وسلم قال تعالى: ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً﴾ (الانبياء:٤٧) وقال تعالى: ﴿فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية﴾ (القارعة:٦-٩) وجمعت الموازين باعتبار تعددها أو باعتبار تنوع الأعمال الموزونة. وقد دلت السنة على أن الميزان له كفتان حسيتان مشاهدتان جاء في حديث السجلات الذي رواه أحمد: "فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فتطيش السجلات وتثقل البطاقة"[3].

---

(١) تهذيب الطحاوية :٢٢٢، ٢٢٣.

(٢) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : ٨٥٥، حديث :٣٣٠-٣٣٣.

(٣) رواه الترمذي، كتاب الإيمان، باب ١٧، حديث ٢٦٣٩.

ووردت الأحاديث بوزن الأعمال نفسها. عن أبي مالك الأشعري قال قال صلى الله عليه وسلم: "الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان". وقال صلى الله عليه وسلم: "كلمتان خفيفتان على اللسان، حبيبتان إلى الرحمن، ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم"(1). كما وردت أيضاً بأن العامل يوزن مع عمله. روى البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إنه ليؤتى بالرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، قال اقرؤوا إن شئتم ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا﴾ وقال صلى الله عليه وسلم: "عندما ضحك البعض من دقة ساقي ابن مسعود. والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد"(2).

ولا وجه لاعتراض البعض بأن الأعمال أعراض لاتقبل الوزن، لأن الله عزوجل يقلب الأعراض أجساما، كما يؤتى بالموت - وهو عرض - في صورة كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار، وهذا جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ما هي الحكمة من وزن الأعمال؟

ولو لم يكن من الحكمة في وزن الأعمال إلا ظهور عدله سبحانه وتعالى لجميع عباده لكان ذلك كافياً، فإنه لا أحد أحب إليه العذر من الله عزوجل، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، فكيف ونحن على يقين أن وراء ذلك من الحكم مالا اطلاع لنا عليه.

---

(1) رواه مسلم : كتاب الطهارة، باب ١، حديث ١.

(2) فرق معاصرة :١٠٢/١.

١٠- الصراط:

قالت الإباضية إنه ليس بجسر على ظهر جهنم وذهب بعضهم وهم قلة إلى إثبات الصراط بأنه جسر ممدود على متن جهنم حسبما نقله الدكتور صابر طعمة.

عن الجيطالي من علماء الإباضية. وأهل السنة يعتقدون أن الصراط جسر جهنم وأن العباد يمرون عليه سرعة وبطئاً حسب أعمالهم ومنهم من تخطفه كلاليب النار فيهوي فيها(١).

وقد بين شارح الطحاوية مُعْتَقَدَ أهل السنة في الصراط المذكور فقال رحمه الله: "ونؤمن بالصراط، وهو جسر على جهنم، إذا انتهى الناس بعد مفارقتهم الموقف إلى الظلمة التي دون الصراط، كما قالت عائشة رضي الله عنها: "إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال: هم في الظلمة دون الجسر"(٢).

---

(١) مذكرة الفرق للعواجي : ٩٧.

(٢) شرح الطحاوية : ٤٦٩.

المبحث الرابع

حقيقة الإيمان وحكم مرتكب الكبيرة

ووافقت معظم الإباضية أهل السنة في حقيقة الإيمان من إنه قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. وقد خالف بعضهم فذهب إلى أن الإيمان يزيد ولا ينقص. وقد نقل الدكتور صابر طعمة بعض الأدلة من كتبهم على هذا الرأي[١].

وزيادة الإيمان ونقصه مسألة خالف فيها الإباضية سائر الخوارج الذين يرون أن الإيمان جملة واحدة لا يتبعض، وأن العبد يكفر ويذهب إيمانه بمجرد مواقعته للذنب، ويسمونه كافراً وهو مخلد في النار في الآخرة إلا أن الإباضية مع موافقتهم للسلف في الحكم لكنهم يسمون المذنب كافراً كفر نعمة ومنافقاً، يقول أعوشت: (فالكفر إذن عند الإباضية ينقسم إلى مايلي:

١- كفر نعمة ويتمثل في المسلم الذي ضيع الفرائض الدينية أو ارتكب الكبائر أو جمع بينهما[٢].

وفي الآخرة مخلدا في النار إذا مات من غير توبة، وكان الحال يقتضي إنهم لا يطلقون عليه كلمة الكفر ولا النفاق، ولا يحكمون عليه بالخلود في النار بل هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته. ونجد هنا أن الإباضية وافقوا أيضاً سائر الخوارج في الحكم على مرتكب الكبيرة بالخلود في النار إذا مات قبل التوبة

---

(١) فرق معاصرة : ١٠٣/١.

(٢) دراسات إسلامية في أصول الإباضية بكر بن سعيد أعوشت:٩٥.

بناء على اعتقاد إنفاذ الوعيد لا محالة واستدلوا بسائر أدلـة الخـوارج علـى كفـر مرتكب الكبيرة وخلوده في النار. وأهل السنة لايرون ذلك بل يقولـون إذا مـات المذنب قبل التوبة فأمره إلى الله وهو تحت المشيئة، ويقولون أيضـاً إن اخـلاف الوعد مذموم وإخلاف الوعيد كرم وتجاوز.

وإليك أخي القارئ الكريم قول أهل السنة والجماعة في مرتكب الكبيرة: أمـا أهل السنة والجماعة من سلف هذه الأمة الصالحين وخلفها المتبعين فـإنهم مـع قولهم بأن الأعمال جزء مـن مسمى الإيمـان لايـرون فـي ارتكـاب الكبـائر مـا يخرج المرء من الإيمان سوى الشرك بالله، فكان قولهم في مرتكب الكبيرة إنـه مؤمن عاص أو فاسق، أو يقال، هو مؤمـن بإيمانـه فاسـق بكبيرتـه فـلا يزيلـون عنه اسم الإيمان بالكلية بذهاب بعضه، ولا يعطونه اسم الإيمان المطلق.

أما حكمه في الآخرة فيرون أنه: إذا مات ولم يتب دخل تحت مشيئة اللـه إن شاء غفر له وأدخله الجنة دون عذاب، وإن شاء أدخله النار وعذبه بقدر ذنوبـه. ثم إنه لا يخلد في النار كالكفار، بل لابد أن يخرج منها ويدخـل الجنـة هـذا هـو مجمل قول أهل السـنة فـي صـاحب الكبـيرة، وهـذه بعـض نصـوص أئمـة أهـل السنة، التي عبروا فيها عن معتقدهم وقولهم في أصحاب الكبائر من أهل الكبائر من أهل القبلة، نسوقها هنا لنقف على حقيقة قولهم في ذلك.

يقول إمام أهل السـنة أحمـد بـن حنبـل (ت٢٤١هـ) فـي اعتقـاده الـذي ذكـره اللالكائي: (ولايشهد على أحدٍ من أهل القبلة بعمل يعملـه بجنـة ولا نـار، يرجـو للصالح ويخاف عليه، ويخاف على المسـئ المذنـب، ويرجـو لـه رحمـة اللـه... ومن لقي الله بذنب يجب له به النار تائبـاً غـيرَ مُصِرٍّ عليـه فـإن اللـه عزوجـل يتوب عليه ويقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، ومن لقيه وقد أقيم عليـه حد ذلك في الدنيا فهو كفارة كما جاء الخـبر عـن رسـول اللـه صلـى اللـه عليـه

وسلم. ومن لقيه مُصِراً غير تائب من الذنوب التي استوجب بها العقوبة، فأمره إلى الله عزوجل إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، ومن لقيه كافراً عذبه ولم يغفر له) [1].

ويقول الإمام الطحاوي (ت٣٢١هـ) في عقيدته المشهورة: (ولانكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله[2]، ولا نقول: لايضر مع الإيمان ذنب لمن عمله، نرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنهم، ويدخلهم الجنة برحمته، ولا نأمن عليهم ولا نشهد لهم بالجنة[3]، ونستغفر لمسيئهم، ونخاف عليهم ولا نقنطهم... ولايخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه.

وأهل الكبائر من - أمة محمد صلى الله عليه وسلم في النار لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون وإن لم يكونوا تائبين، بعد أن لقوا الله عارفين مؤمنين، وهم من مشيئته وحكمه إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله كما ذكر عزوجل في كتابه: ﴿ويغفر مادون ذلك لمن يشاء﴾ (النساء:٤٨) وإن شاء عذبهم في النار بعدله ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته ثم يبعثهم إلى جنته، وذلك بأن الله تعالى تولى أهل معرفته ولم يجعلهم كأهل نكرته الذين خابوا من هدايته، ولم ينالوا من ولايته...) [4].

وأما الإمام الصابوني (٣٧٢-٤٤٩هـ): (ويعتقد أهل السنة أن المؤمن وإن أذنب ذنوباً كثيرة، صغائر كانت أو كبائر فإنه لايكفر بها وإن خرج من الدنيا

---

(١) انظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة: ١٦٢/١.

(٢) الأولى أن يقال: بكل ذنب كما نبه عليه ابن أبي العز في شرحه، لأن المراد مقابلة الخوارج والمعتزلة الذين يكفرون بكل ذنب من الكبائر، وأهل السنة ليسوا كذلك وان كانوا يكفرون ببعض الذنوب لورود النص فيها كترك الصلاة عند بعضهم على تفصيل في ذلك.

(٣) أي استثني أهل الجنة الذين جاءت النصوص فيهم مثل العشرة المبشرين بالجنة.

(٤) انظر العقيدة الطحاوية :١٩، ٢٠، ٢١، ٣٣، ٢٤.

غير تائب منها ومات على التوحيد والإخلاص، فإن أمره إلى الله -عزوجل- إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة يوم القيامة سالماً غانماً غير مبتلى بالنار، ولا معاقب على ما ارتكبه من الذنوب، واكتسبه ثم استصحبه إلى يوم القيامة من الآثام والأوزار، وإن شاء عاقبه، وعذبه مدة بعذاب النار، وإذا عذبه لم يخلده فيها، بل أعتقه وأخرجه منها إلى دار القرار) [١].

فهذه عقيدة أهل السنة والجماعة في أصحاب الكبائر من أهل القبلة كما دَوَّنَها أئمتهم على ضوء نصوص الكتاب والسنة، قولهم في ذلك واحد لايختلف فيه أحد، كلهم متفقون عليه كما صرح بذلك من نقل إجماعهم واتفاقهم عليه من الأئمة. وهو قول يدل على عدل واعتدال واتزان، كل جزئية منه يدل عليها آية من كتاب الله أو سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[٢].

قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان﴾ (البقرة:١٧٨) فخاطب الجميع باسم الإيمان مع أن فيهم من قد وجب عليه القصاص لارتكابه كبيرة القتل، فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ وأثبت الأخوة بين القاتل وبين ولي الدم، فقال: ﴿فمن عفي له من أخيه شيء﴾ ولاشك في أن المراد بالأخوة الإيمانية المذكورة في قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون أخوة﴾ فدل ذلك على بقاء الإيمان مع كبيرة القتل، قال الإمام ابن الجوزي في الآية: ودل قوله ﴿من أخيه﴾ على أن القاتل لم يخرج عن الإسلام) [٣].

---

(١) انظر عقيدة السلف أصحاب الحديث:، للصابوني:٧١-٧٢.

(٢) وسطية أهل السنة في الفرق، لشيخي الدكتور محمد بأكريم : ٣٨٣.

(٣) انظر : زاد المسير في علم التفسير:١/١٦٣.

والدليل الثاني من القرآن الكريم كقوله عزوجل: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين، إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾ (الحجرات:٩-١٠) فسمى الجميع مؤمنين مع الاقتتال، وجعل الجميع إخوة، فدل ذلك على أن الكبيرة لا تخرج صاحبها من الإيمان، وقد استدل الإمام البخاري بهذه الآية فقال: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهم﴾ قال فسماهم المؤمنين أي مع اقتتالهما[١].

ثم إن نصوص الكتاب والسنة، والإجماع تدل على أن الزاني غير المحصن، والسارق والقاذف لايقتل بل يقام عليه الحد، فدل على إنه ليس بمرتد بإرتكاب هذه الكبائر ولو كان كذلك لقتل[٢].

أما قولهم بأنه إذا مات من غير توبة، فهو داخل تحت مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه، فيشهد له قوله عزوجل: ﴿إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ (النساء:٤٨) فجوّز أن يغفر كل ذنب سوى الشرك بالله بما في ذلك الكبائر. ويدل عليه قول المصطفى صلى الله عليه وسلم في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه: "بايعوني على أن لاتشركوا بالله شيئاً، ولاتسرقوا، ولاتزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولاتعصوا في معروف، فمن وفي منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن

---

(١) انظر : فتح الباري : كتاب الإيمان: ٨٤/١.

(٢) وسطية أهل السنة بين الفرق: للدكتور محمد باكريم :٣٨٥.

أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه"[1]. والحديث نص في دخول من مات على شيء من الكبائر، تحت المشيئة كما يقول أهل السنة.

وأما قول أهل السنة: إنه لايخلد في النار إذا دخلها، وإنه لابد أن يخرج منها ويدخل الجنة، فهو مأخوذ من مثل قوله صلى الله عليه وسلم: "يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ثم يقول الله تعالى: أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فيخرجون منها قد اسودوا فيلقون في نهر الحياء -والحياة- شك مالك -أحد رواة الحديث- فينبتون كما تنبت الحِبَّةُ في جانب السيل"[2].

فدل الحديث على خروج من في قلبه مثقال حبة من إيمان من النار وإدخالهم الجنة، ومعلوم أن أصحاب الكبائر مؤمنون، ومع كثير منهم مثقال أومثاقيل من الإيمان، فلاشك في خروجهم والحديث تضمن أيضاً الرد على المرجئة خاصة في قولهم: لا يضر مع الإيمان ذنب. إذ يثبت الحديث أن من المؤمنين من تضره المعاصي فيدخل النار، ثم يخرج منها، فخروجه دل على إنه ليس بكافر، إنما هو مؤمن عذب بقدر ذنبه ثم أخرج إلى الجنة[3].

---

(١) فتح الباري : كتاب الإيمان:١/٤.

(٢) المرجع السابق: كتاب الإيمان: باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال :١/٧٢.

(٣) عقيدة أهل السنة في الفرق : ٣٨٦.

المبحث الخامس

مسألة الإمامة والخلافة

وقد ذكر بعض العلماء عن الإباضية في مسألة الإمامة والخلافة أن الإباضية يزعمون إنه قد يستغني عن نصب الخليفة ولا تعود إليه حاجة إذا عرف كل واحد الحق الذي عليه للآخر، وهذا القول أكثر ما شهر عن المحكمة والنجدات من الخوارج، وأما الإباضية فقد ذكر هذا القول عنهم ج، ج لوريمر في كتابه دليل الخليج[1].

ولكن بالرجوع إلى كتب الإباضية نجد إنهم ينفون هذا القول عنهم ويعتبرونه من مزاعم خصومهم عنهم وأن مذهبهم هو القول بوجوب نصب حاكم للناس ومن قال غير هذا عنهم فهو جاهل بمذهبهم كما صرح بذلك علماؤهم كالسالمي وعلي يحيى معمر وغيرهما. قال السالمي: (والإمامة فرض بالكتاب والسنة والإجماع والاستدلال) [2].

وأما مذهب أهل السنة فإنهم يرون وجوب نصب الحاكم وإن كانوا جماعة قليلة، فلو كانوا ثلاثة في سفر لوجب تأمير أحدهم كما دلت على ذلك النصوص الثابتة، وإن من قال بالاستغناء عن نصب الحاكم فقد كابر عقله، وكذب نفسه ورد عليه الواقع من حال البشر وصار ما يقوله من نسج الخيال وأدلته على الاستغناء مردودة واهية.

---

(١) دليل الخليج لوريمر :٣٣٠٣/٦، وانظر الفصل لابن الحزم : ٨٧/٤.

(٢) الإباضية بين الفرق، علي معمر :٢٨٩، غاية المراد : ١٨ للسالمي.

والخوارج كافة ينظرون إلى الإمام نظرة حازمة هي إلى الريبة منه أقرب ولهم شروط قاسية جداً قد لاتتوفر إلا في القليل النادر من الرجال وإذا صدر منه أقل ذنب فأما أن يعتدل ويعلن توبته وإلا فالسيف جزاءه العاجل. وقد جوز الإباضية كأهل السنة صحة إمامة المفضول مع وجود الفاضل إذا تمت للمفضول خلافاً لسائر الخوارج. وجوز الإباضية التقية خلافا لأكثر الخوارج، والله الهادي إلى الصراط المستقيم[1].

أولاً: الإمامة العظمى:

هذه هي مشكلة الخوارج الكبرى منذ نشؤوا وطوال عهد الدولة الأموية وزمن متقدم من عهد الدولة العباسية، شغلتهم قضية الإمامة عملياً، فجردوا السيوف ضد الحكام المخالفين لهم ناقمين عليهم سياستهم في الرعية من عدم تمكينهم من اختيار إمامهم بأنفسهم ثم سياستهم الداخلية في الناس وشغلتهم فكريا بتحديد شخصية الإمام وخصائصه ودوره في المجتمع، وكانوا يظهرون بمظهر الزاهد عن تولي الخلافة حينما يكون الأمر فيما بينهم وحرباً لاهوادة فيها ضد المخالفين لهم.

ثانيا: حكم الإمامة عند الخوارج

الإمامة منصب خطير وضرورة اجتماعية إذ لايمكن أن ينعم الناس بالأمن وتستقر الحياة إلا بحاكم يكون هو المرجع الأخير لحل الخلافات وحماية الأمة وقد أطبق على هذا جميع العقلاء.

---

(١) فرق معاصرة للدكتور عواجي :١/١٠٤-١٠٥.

أما بالنسبة للخوارج فقد انقسموا فيها إلى فريقين:

١- **الفريق الأول:** وهم عامة الخوارج، وهؤلاء يوجبون نصب الإمام والانضواء تحت رايته والقتال معه مادام على الطريق الأمثل الذي ارتأوه له.

٢- **الفريق الثاني:** وهم المحكمة والنجدات قيل عنهم وهؤلاء يرون إنه قد يستغني عن الإمام إذا تناصف الناس فيما بينهم وإذا احتيج إليه فمن أي جنس كان مادام كفئاً لتولي الإمامة[1].

ومن مبرراتهم:

١- استنادهم إلى المبدأ القائل لاحكم إلا لله، والمعنى الحرفي لهذا المبدأ يشير صراحة إلى إنه لاضرورة لوجود الحكومة مطلقا.

٢- أن الحكم ليس من اختصاص البشر بل تهيمن عليه قوة علوية.

٣- أن الضروري هو تطبيق أحكام الشريعة، فإذا تمكن الناس من تطبيقها بأنفسهم فلا حاجة إلى نصب الخليفة.

٤- ربما ينحصر وجود الإمام في بطانة قليلة وينعزل عن الأغلبية فيكون بعيداً عن تفهم مشاكل المسلمين فلا يبقى لوجوده فائدة.

٥- أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشر صراحة ولا وضع شروطاً لوجود الخلفاء من بعده.

٦- إن الكتاب لم يبين حتمية وجود إمام وإنما أبان وأمرهم شورى بينهم[2].

هذه مبرراتهم، فهل بقي القائلون بالاستغناء عن نصب الإمام على مبدئهم؟ والجواب بالنفي: فإن المحكمة حينما انفصلوا ولوا عليهم عبدالله بن وهب الراسبي، والنجدات حينما انفصلوا تزعمهم نجدة بن عامر وأما تلك

---

(١) مقالات الأشعري: ١/٢٠٥.

(٢) آراء الخوارج للطالبي :١٢٥.

المبررات التي نسبت إلى من ذكرناهم فلاشك إنها مبررات واهية ولا تكفي للقول بالاستغناء عن نصب الخليفة، أما القول بعدم وجود الإنسان الكامل، فإنه لايمنع من نصب الإمام حيث يختار أفضل الموجودين ومن التصور الساذج القول بتناصف الناس فيما بينهم، وأما انعزال الإمام فإن مدار الأمر على التزامه بواجباته الشرعية وعدم ايجاد الحجب بينه وبين رعيته، وذلك مناط الحكم بضرورة وجود الإمام شرعاً وعقلاً. وقد ذهبت الحمرية والخلفية من الخوارج إلى القول بجواز وجود إمامين في وقت واحد[1]، وهذا باطل ولايتفق مع روح الإسلام وأهدافه لأن ذلك يؤدي إلى المشاحنات والعداوة وتفريق كلمة المسلمين[2].

ثالثاً: شروط الإمام عند الخوارج:

وضع الخوارج شروطاً قاسية لمن يتولى الإمامة ومنها:

١- أن يكون شديد التمسك بالعقيدة الإسلامية مخلصا في عبادته وتقواه حسب مفهومهم.

٢- أن يكون قوياً في نفسه ذا عزم نافذ وتفكير ناضج وشجاعة وحزم.

٣- أن يتم انتخابه برضى الجميع، لايغني بعضهم عن بعض، ولاعبرة بالنسب أو الجنس، كما يقولونه ظاهراً دعاية لمذهبهم وفي باطنهم يملأهم التعصب، وكون الإمام ينتخب برضى أهل الحل والعقد، هذا مبدأ إسلامي لم يأت به الخوارج كما يقول بعض المستشرقين دعاية للخوارج.

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني : ١٣٠/١.

(٢) فرق معاصرة (١١٣/١).

ولم يلتفت الخوارج إلى ما صح من الأحاديث في اشتراط القرشية لتولي الخلافة، وتقديم قريش فيها عند صلاحية أحدهم لها، ولم يشترط الشرع في الإمام أن يكون ليله قائماً ونهاره صائماً أو إنه لايلم بأي معصية، أو أن يكون انتخابه برضى كل المسلمين من أقصاهم إلى أدناهم لايغني بعضهم عن بعض في مبايعتهم له كما يزعمه الخوارج[1].

رابعاً: محاسبة الإمام والخروج عليه عند الخوارج

يعيش الإمام عند الخوارج بين فكي الأسد - عكس الشيعة - فالخوارج ينظرون إلى الإمام على إنه المثل الأعلى وينبغي أن يتصف بذلك قولاً وفعلاً وبمجرد أقل خطأ ينبغي عليهم القيام في وجهه ومحاسبته فأما أن يعتدل وأما أن يعتزل. ومن غرائبهم مايروى عن فرقة البيهسية منهم والعوفية فقد اعتبر هؤلاء كفر الإمام سبباً في كفر رعيته، فإذا تركته رعيته دون إنكار فإنهم يكفرون أيضاً[2].

ولاشك أن هذا جهل بالشريعة الإسلامية وعلى هذا فما تراه من كثرة خروجهم على أئمتهم أو أئمة مخالفيهم يعتبر أمراً طبيعياً أزاء هذه الأحكام الخاطئة وقد حث الإسلام على طاعة أولي الأمر والاجتماع تحت رايتهم إلا أن يظهروا كفراً بواحاً، فلا طاعة في معصية الخالق، وينبغي معالجة ذلك بأخف الضرر ولايجوز الخروج عليهم ما داموا ملتزمين بالشريعة بأي حال[3].

خامساً: إمامة المرأة

الإمامة مسؤولية عظمى وعبء ثقيل يتطلب سعة الفكر وقوة البصيرة

---

(١) مدارج الكمال للسالمي: ١٧١.

(٢) مقالات الأشعري : ١٩٤/١.

(٣) فرق معاصرة : ١١٥/١.

ويتطلب مزايا عديدة جعل الله معظمها في الرجال دون النساء وقد اتفق جميع العقلاء على أن الخلافة لايصلح لها النساء، ولكنا نجد فرقة من فرق الخوارج وهي الشبيبية تذهب إلى جواز تولي المرأة الإمامة العظمى مستدلين بفعل شبيب حينما تولت غزالة زوجته وقيل أمه بعده[١].

سادساً: أدلة أهل السنة في وجوب الإمامة:

إن أهل السنة والجماعة يرون أن الإمامة واجبة، وإنه لابد للمسلمين من إمام يقيم شعائر الدين وينصف المظلومين من الظالمين ويستدلون على ذلك بأدلة من الكتاب والسنة والإجماع والقواعد الشرعية[٢].

الأدلة من القرآن:

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ...﴾ الآية (النساء:٥٩) قال ابن كثير في الآية: (الظاهر - والله أعلم أن الآية عامة في جميع أولى الأمر من الأمراء والعلماء) [٣]. وهذا هو الراجح ووجه الاستدلال من هذه الآية: أنه سبحانه أوجب على المسلمين طاعة أولي الأمر منهم وهم الأئمة، والأمر بالطاعة دليل على وجوب نصب ولي الأمر، لأن الله تعالى لا يأمر بطاعة من لا وجود له، ولايفرض طاعة من وجوده مندوب، فالأمر بطاعته يقتضي الأمر بإيجاده، فدل على أن إيجاد إمام للمسلمين واجب عليهم[٤].

---

(١) الفرق بين الفرق : ص١١٠.

(٢) الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة للدكتور محمد عبدالله الدميجي: ٤٧.

(٣) تفسير ابن كثير :٢/٣٠٣.

(٤) المرجع السابق: ٤٧-٤٨.

٢- ومن الأدلة أيضاً قول الله تعالى مخاطباً الرسول صلى الله عليه وسلم: ﴿ فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق...﴾ الآية (المائدة:٨٣) وقوله تعالى: ﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ماأنزل الله إليك ﴾ (المائدة:٤٩).

فهذا الأمر من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بأن المسلمين بما أنزل الله -أي بشرعه- وخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم خطاب لأمته ما لم يرد دليل يخصصه به، وهنا لم يرد دليل على التخصيص، فيكون خطاباً للمسلمين جميعاً بإقامة الحكم بما أنزل الله إلى يوم القيامة، ولا يعني إقامة الحكم والسلطان إلا إقامة الإمامة، لأن ذلك من وظائفها ولايمكن القيام به على الوجه الأكمل إلا عن طريقها، فتكون جميع الآيات الآمرة بالحكم بما أنزل الله دليلاً على وجوب نصب إمام يتولى ذلك.

ومن الأدلة أيضاً قول الله تعالى : ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب، إن الله قوي عزيز﴾ (الحديد:٢٢) فمهة الرسل عليهم السلام ومن أتى بعدهم من أتباعهم أن يقيموا العدل بين الناس على وفق ما في الكتاب المنزل، وأن ينصروا ذلك بالقوة وهذا لا يتأتى لأتباع الرسل إلا بتنصيب إمام يقيم فيهم العدل، وينظم جيوشهم المناصرة، ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- :(فالدين الحق لابد فيه من الكتاب الهادي والسيف الناصر، فالكتاب بين ما أمر الله به وما نهى

عنه، والسيف ينصر ذلك ويؤيده) [1].

ومن الأدلة القرآنية أيضاً جميع آيات الحدود والقصاص ونحوها من الأحكام التي يلزم القيام بها وجود الإمام .

الأدلة من السنة :

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة فيه دلالة على وجوب نصب الإمام ومن هذه الأدلة مايلي:-

١- ما رواه عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :"من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية"[2] أي ببيعة الإمام وهذا واضح الدلالة على وجوب نصب الإمام لإنه إذا كانت البيعة واجبة في عنق المسلم، والبيعة لا تكون إلا لإمام فنصب الإمام واجب.

٢- ومنها أيضاً الحديث المشهور في السنن عن العرباض بن سارية، عن النبي صلى الله عليه وسلم إنه قال-من حديث طويل -:"إنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وأياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة"[3].

وقد تواتر عن الصحابة رضوان الله عليهم أنهم بايعوا أبا بكر رضي الله عنه بالخلافة بعد لحاق النبي صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى، ثم استخلف أبوبكر عمرَ رضي الله عنهما، ثم استخلف عمرُ أحدَ الستة الذين اختاروا عثمان رضي الله عنه، ثم بعد استشهاده بايعوا علياً بالخلافة، فهذه

---

(١) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية لابن تيمية :١/١٤٢.

(٢) رواه مسلم كتاب الإمارة، باب :وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء: ٣/١٤٧٨.

(٣) رواه الترمذي، كتاب العلم، باب :١٦حـ ٢٦٧٦، ٥/٤٤ وقال حسن صحيح.

سنتهم رضي الله عنهم في الخلافة وعدم التهاون في منصبها فوجب الاقتداء بهم في ذلك بأمر النبي صلى الله عليه وسلم .

من السنّة الفعلية:

إن الرسول صلى الله عليه وسلم أقام أول حكومة إسلامية في المدينة وصار صلى الله عليه وسلم أول إمام لتلك الحكومة، فبعد أن هيأ الله لهذا الدين من ينصره ورسوله بدأ صلى الله عليه وسلم في تشييد أركانها، فأصلح بين الأوس والخزرج من مشاكل وحروب طاحنة قديمة ثم آخى بين الأنصار والمهاجرين ونظم جيوش المجاهدين لنشر الدين والذود عن حماه، وقد أرسل الرسل والدعوات إلى ملوك الدول المجاورة يدعوهم إلى الإسلام، وعقد الاتفاقيات والمعاهدات مع اليهود وغيرهم وأبان أحكام الأسرى وما يتعلق بهم، وأحكام الحرب وأهل الذمة، وقام التدبير بين مال المسلمين، وأقام الحدود الشرعية والعقوبات إلى غير ذلك من مظاهر الدولة ووظائف الإمامة يقول الإمام الشاطبي رحمه الله:(ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يمت حتى أتى ببيان جميع ما يحتاج إليه من أمر الدين والدنيا وهذا لا خلاف عليه من أهل السنة) [١].

ومن المعلوم أن قيام هذه الدولة وزعامته صلى الله عليه وسلم لها لم يكن هدفاً له في ذاته، وإنما هو من مسلتزمات هذا الدين الذي لا يتم إلا به، كيف وقد عرضت عليه قريش من أول وهلة الملك عليها من دون تعب ولا جهاد وإنما بترك سب آلهتهم، فرفض ذلك رفضاً باتاً[٢]. وإنما كان هدفه الوحيد

---

(١) الاعتصام للإمام الشاطبي : ٤٩/١.

(٢) سيرة ابن هشام: ٢٩٣/١.

صلى الله عليه وسلم القيام بتبليغ هذه الرسالة وحملها إلى الناس واتخاذ كافة الوسائل المؤدية إلى ذلك، ومن هذه الوسائل قيام الدولة الإسلامية فهي واجبة لهذا الغرض، ولإنها من مسلتزمات هذا الدين يقول الأستاذ عبدالقادر عودة رحمه الله:(فالرسول صلى الله عليه وسلم كون من المسلمين وحدة سياسية، وألف منهم جميعاً دولة واحدة كان هو رئيسها وإمامها الأعظم وكان له وظيفتان.

الأولى : التبليغ عن الله.

الثانية : القيام على أمر الله وتوجيه لسياسة الدولة في حدود الإسلام وقد انتهى عهد التبليغ بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وانقطاع الوحي، وإذ لم يكن بالناس حاجة إلى التبليغ وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم لوجود القرآن والسنة، **فإنهم في أشد الحاجة إلى مَنْ يقوم على القرآن والسنة ويسوسهم في حدود الإسلام بعد أن كَوَّنَ الرسول** صلى الله عليه وسلم منهم وحدة سياسية، واستن لهم رئاسة الدولة وإمامة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، بل إن التأسي بالرسول صلى الله عليه وسلم واتباع سنته يقتضي من المسلمين جميعاً أن يكوّنوا من أنفسهم وحدة سياسية واحدة وأن يقيموا لهم دولة تجمعهم، وأن يقيموا على رأسها من يخلف الرسول صلى الله عليه وسلم في إقامة الدين وتوجيه سياسة الدولة توجيها إسلامياً خالصاً[1].

ثالثاً: الإجماع:

ومن أهم الأدلة على وجوب الإمامة الإجماع على ذلك من قبل الأمة وأول ذلك إجماع الصحابة رضوان الله عليهم على تعيين خليفة للنبي صلى الله عليه

---

(١) الإسلام وأوضاعنا السياسية للأستاذ عبدالقادر عودة :١٢٧.

وسلم بعد وفاته، بل حتى قبل دفنه وتجهيزه[1].

قال الإمام الهيثمي -رحمه الله- :(اعلم أيضاً أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعوا على أن نصب الإمام بعد انقراض زمن النبوة واجب، بل جعلوه أهم الواجبات حيث اشتغلوا به عن دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم) [2].

وقد نقل الإجماع الإمام النووي :(وأجمعوا على أنه يجب على المسلمين نصب خليفة) [3].

ويقول ابن خلدون نصب الإمام واجب، وقد عرف وجوبه في الشرع بإجماع الصحابة والتابعين، لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند وفاته بادروا إلى بيعة أبي بكر رضي الله عنه وتسليم النظر إليه في أمورهم وكذا في كل عصر من الأعصار، واستقر ذلك إجماعاً دالاً على وجوب نصب الإمام) [4].

رابعاً: القاعدة الشرعية (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب):

ومن الأدلة على وجوب الإمامة القاعدة الشرعية القائلة بأن ما لايتم الواجب إلا به فهو واجب، وقد علم بأن الله سبحانه وتعالى أمر بأمور ليس في مقدور آحاد الناس القيام بها، ومن هذه الأمور إقامة الحدود وتجهيز الجيوش المجاهدة لنشر الإسلام، وإعلاء كلمة الله، وجباية الزكاة وصرفها في مصارفها المحدودة وسد الثغور وحفظ حوزة المسلمين، ونشر العدل ودفع الظلم، وقطع

---

(١) انظر :الإمامة العظمى : ٥٤-٥٥.

(٢) الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة للشيخ أحمد بن حجر الهيثمي:٧

(٣) شرح النووي صحيح مسلم:٢٠٥/١٢.

(٤) مقدمة ابن خلدون :١٩١.

المنازعات الواقعة بين العباد، إلى غير ذلك من الواجبات التي لايستطيع أفراد الناس القيام بها، وإنما لابد من إيجاد سلطة وقوة لها حق الطاعة على الافراد، تقوم بتنفيذ هذه الواجبات وهذه السلطة هي الإمامة.

خامساً: دفع أضرار الفوضى:

كما أن من الأدلة على وجوب الإمامة دفع أضرار الفوضى، لأن في عدم اتخاذ إمام معين من الأضرار والفوضى ما لايعلمه إلا الله، ودفع الضرر وحماية الضروريات -الدين والنفس، والعرض، والمال، والعقل- واجب شرعاً، ومن مقاصد الشريعة حفظها، وهذا لايتم إلا بإقامة إمام للمسلمين، فدل على وجوبه، قال الإمام أحمد رحمه الله في رواية محمد بن عوف بن سفيان الحمصي (الفتنة إذا لم يكن إمام يقوم بأمر الناس) [1].

ويقول ابن المبارك رحمه الله:

إن الجماعة حبل الله فاعتصموا ... بعروته الوثقى لمن دانا

كم يدفع الله بالسلطان مظلمة ... في ديننا رحمة منه ودنيانا

لولا الخليفة لم تأمن لنا سبل ... وكان أضعفنا نهباً لأقوانا [2]

سادساً: الإمامة من الأمور التي تقتضيها الفطرة وعادات الناس:

ومن الأدلة أيضاً أن النزوع إلى تنصيب رئيس للجماعة أمر فطري، جبل الله الخلق عليه، حيث إن الإنسان مدني بالطبع -كما يقال- فهو لايستطيع أن يعيش بمفرده وحيداً مستقلاً عن أخيه الإنسان الآخر، بل لابد أن يعيش مع

---

(١) الاحكام السلطانية لأبي يعلى : ١٩، والمسند من مسائل الإمام أحمد :١.

(٢) انظر : الحلية لأبي نعيم : ١٦٤/٨.

الناس حتى تستقيم أمور حياته، وتتحقق أهدافه، ونتيجة لمخالطة الناس الآخرين قد تتعارض مصالحهم مع مصالحه، ويحدث الاحتكاك بينه وبينهم ويحصل التنازع، فلابد من أمير يختصم إليه الناس، ويرتضونه ليحكم في منازعتهم وخصوماتهم، ومن هنا كان تنصيب الإمام أمراً ضرورياً للمحافظة على حقوق الناس، ضمان استقرار الحياة[1]. فهذه أدلة أهل السنة والجماعة في وجوب نصب الإمام الذي يعمل على تنفيذ شرع الله تعالى.

(١) الإمامة العظمى : ٦٢-٦٣، ولقد اعتمدت في نقل أدلة أهل السنة في وجوب الإمامة على كتاب (الإمامة العظمة) المرجع السابق.

الفصل السادس

أهم الثورات الإباضية في أواخر العصر الأموي وأوائل العصر العباسي

المبحث الأول

ثورات الإباضية في أواخر الخلافة الأموية(*)

أولاً: ثورة الحارث بن تليد وعبدالجبار بن قيس المرادي[1]:

كان عبدالرحمن بن حبيب أحد القادة البارزين في جيش كلثوم بن عياض وبعد ان هزم كلثوم، اتجه عبدالرحمن بن حبيب، وبلج بن بشر إلى الأندلس وأخذ عبدالرحمن يحاول السيطرة على بلاد الأندلس، ولكن خاب أمله، بتولية أبي الخطار بن ضرار والياً عليها من قبل حنظلة بن صفوان، فالتفت عبدالرحمن إلى إفريقية، ولاسيما بعد مقتل الخليفة الأموي الوليد بن يزيد سنة ١٢٦هـ/٧٤٣م، فأراد أن يجعل ولاية إفريقية لنفسه، وذلك بعد أن ظن أن الخلافة الأموية قد انتهت وأن الفرصة قد حانت لتحقيق هدفه، فأعلنها ثورة في تونس على حنظلة بن صفوان، وكتب له أن يخلي إفريقية في مدة

(*) جل الفصل السادس نقلته من كتاب الدكتور صالح مفتاح المزيني، وأثبت المراجع التي نقل منها.

(١) والظاهر ان عبدالجبار هو الإمام والحارث وزيره أو قاضيه، وهما اخوان لأم، أو ابنا خالة، وقبيلتهما هوارة. الباروني : مختصر تاريخ الإباضية:٣٣)

لاتتجاوز الثلاثة أيام، وأبلغ صاحب بيت المال، ألا يعطيه ديناراً ولا درهماً إلا ما حل له من أرزاقه. ولما قرأ حنظلة الكتاب هم بقتاله ولكنه أحجم عن ذلك، لإنه كان ذا دين، وتقوى ويكره قتال المسلمين[1] فخرج مع أصحابه من أهل الشام من جمادى الآخرة سنة ١٢٧هـ/٧٤٤م، وذلك بعد أن دخل عبدالرحمن ابن حبيب القيروان في جمادى الآخرة من العام الماضي وأراد عبدالرحمن بن حبيب أن يضفي صبغة شرعية على حكمه فاعترف بخلافة مروان بن محمد، وأظهر له الطاعة، وكاتبه ويذكر أن عبدالرحمن بن حبيب قد تقول في كتابه على حنظلة، ونسب إليه أهولاً كذب فيها، فأرسل إليه مروان بولاية إفريقية والمغرب كله والأندلس[2].

ولما استولى عبدالرحمن بن حبيب على إفريقية اجتمع الإباضية في طرابلس وتدأولوا فيمن يولونه الإمامة لينشئوا دولتهم وكان عبدالله بن مسعود التجيبي هو رئيس الإباضية في طرابلس، والشخصية البارزة فيهم لعلمه وتقواه، فاتجهت إليه الأنظار، وشخصته الإباضية للإمامة، ولما علم عبدالرحمن بن حبيب بما عزم عليه الإباضية في طرابلس، ولى أخاه إلياس بن حبيب على طرابلس[3] وعندما قدم إلياس إلى طرابلس أخذ مسعود التجيبي وضرب عنقه[4]، ظناً منه أن في ذلك إرهاباً وكسراً لشوكتهم فثارت ثائرتهم وأخذوا يحتشدون للخروج على عبدالرحمن. ولكن عبدالرحمن بن حبيب أراد بداهة أن يقف في وجه هذه الثورة وذلك بعزل أخيه إلياس عن طرابلس، وولى

---

(١) ابن عبدالحكم : فتوح مصر وأخبارها :١٤٨.

(٢) الرقيق القيرواني : تاريخ إفريقية والمغرب:١٢٩.

(٣) محمد على دبوز: المغرب الكبير :٤١٠/٢.

(٤) الخلافة والخوارج في المغرب العربي، لرفعت فوزي:١٢١.

عليها حميد بن عبدالله العكي، غير أن الإباضية لم ترضى بذلك بل كانت مصممة على الثأر لمقتل رئيسهم، فثاروا في طرابلس بزعامة عبدالجبار بن قيس المرادي والحارث بن تليد الحضرمي، وكانا يدينان بمذهب الإباضية، وحاصر الإباضية حميد بن عبدالله في بعض قرى طرابلس وزاد من سوء حالته، وقوع الوباء في عسكره، فاضطر إلى مفاوضة الثوار وتم الاتفاق على أن يخرج هو ورجاله من طرابلس بأمان.

ورغم هذا الاتفاق فإن عبدالجبار بن قيس أخذ أحد كبار أصحاب حميد بن عبدالله العكي، وهو نصير بن راشد الأنصاري وقتله وذلك ثأراً لمقتل رئيس الإباضية عبدالله مسعود التجيبي في طرابلس ثم استولى الإباضيون على زناتة كلها، ونتيجة لذلك أراد عبدالرحمن بن حبيب أن يقضي على الإباضية في طرابلس فكتب إلى يزيد بن صفوان بولاية طرابلس وفي نفس الوقت أرسل مجاهد بن مسلمة الهواري، إلى هوارة ليحاول أن يستنصر هذه القبيلة وغيرها من القبائل، ويحول بينها وبين الاتصال بعبدالجبار، وقد أقام بين هذه القبائل أشهر ولاسيما بين الهواريين، يدعوهم إلى مساندته ولكنه فشل في ذلك إذ طرد ولحق بيزيد بن صفوان بطرابلس[1].

وبعد أن أصيبت خطة عبدالرحمن السياسية بالفشل، لجأ إلى خطة جديدة للقضاء على هذه الثورة وهي استعمال العنف والشدة ضدهم فأرسل إلى طرابلس فرقة من جنوده تحت قيادة أحد قواده، وهو محمد بن مفروق وأمر يزيد بن صفوان أن يخرج معه لقتال الإباضية، فخرج ذلك الجيش تحت قيادة محمد بن مفروق ويرافقه يزيد بن صفوان، ومجاهد بن مسلمة للقضاء على

---

(١) فتوح مصر وأخبارها: ١٤٨-١٤٩.

الإباضية في طرابلس. وعندما تقابل هذا الجيش بجيش عبدالجبار بن قيس والحارث بن تليد بمكان من أرض هوارة، دارت الدائرة على جيش عبدالرحمن ابن حبيب وإنهزم هزيمة منكرة وقتل في هذه المعركة يزيد بن صفوان ومحمد ابن مفروق وإنهزم مجاهد بل مسلمة إلى أرض هوارة[1].

ورغم الفشل المتكرر الذي حل بجيوش عبدالرحمن بن حبيب إلا أن ذلك لم يهبط من عزيمته، بل إنه جمع جيشاً جديداً، ووضعه تحت قيادة عمر بن عثمان وأمره بالزحف إلى جيش عبدالجبار والحارث بن تليد إلا أنهما استوليا على طرابلس كلها ولم يكتف عبدالجبار والحارث بهذا النصر، بل تعقبا عمر بن عثمان الذي بلغ دغوغا[2]، ولما شعر عمر بن عثمان بمطارة جيش الحارث له اتجه نحو الصحراء،ثم تقدم إلى سرت فأدركته خيل الحارث فقتلت نفراً من أصحابه واحتوى الحارث على معسكره ونجا عمر على فرسه جريحاً[3].

ويذكر إنه بعد كل هذه الانتصارات التي حققها عبدالجبار بن قيس والحارث بن تليد، دب الخلاف بينهما فاقتتلا فقتل كل منهما صاحبه[4] غير أن الأستاذ حمد علي دبور يرفض هذه الرواية، ويرى خلاف ذلك إذ إنه يقول :(إن عبدالرحمن دس عليهما من يقتلهما فلما كانا ذات يوم وحدهما في دار الحكمة تقدم إليهما جماعة زعموا إنهم من ذوي الحاجات وقتلوهما وأدخلو في كل منهما سيفاً وجعلوا مقبضه إلى جهة الآخر ليوهم الناس إنهما تنازعا فتقاتلا

---

(١) فتوح مصر وأخبارها: ١٤٨-١٤٩.

(٢) دغوغا: ويذكر ابن خرداذبة : المسالك والممالك : ٨٦ أنه من المصتف إلى تورغ نحو الغرب أربع وعشرون ميلاً، ثم إلى دغوغا عشرون ميلاً، ثم إلى ورداسا ثمانية عشر ميلاً.

(٣) فتوح مصر وأخبارها:١٤٩.

(٤) المرجع السابق:١٤٩.

فقتل كل منهما صاحبه)[1].

غير أننا نرجح الرأي الأول[2] وذلك لأنه ليس من المعقول أن تترك دار الحكمة بدون حراسة حتى يدخل جماعة على عبدالجبار والحارث ويقتلوهما دون ان يفطن بهم أحد ... و بالإضافة إلى ذلك فإن صاحب الجواهر المنتقاة ذكر ان بينهما خلافاً لم يعلم المحق منهما من المبطل[3] ومعنى ذلك أنه كان خلاف وقتل كل منهما الأخر ولم يعرف المبطل من المحق ...وقد وصلت مسالة الحارث وعبد الجبار إلى أرض المشرق وكان بين أهل المشرق فيهما اختلاف وفرقة، وفي أرض المغرب أشد من ذلك حتى كتب لهم أبو عبيدة مسلم وأبو داود بالكف عن ذكرهما[4].

ثانيا: إمامة إسماعيل بن زياد النفوسي:

وفي سنة ١٣٢هـ ٧٤٩م اختار إباضية طرابلس إماما جديداً هو إسماعيل ابن زياد النفوسي[5]، الذي عظم شأنه وكثر أتباعه ونجح في الاستيلاء على مدينة قابس فخرج إليه عبدالرحمن بن حبيب حتى وصل إلى مدينة قابس وأرسل إليه فرقة من جيشه على رأسها ابن عمه شعيب بن عثمان، وتم اللقاء بين الطرفين وكان النصر في هذه المرة حليفاً لجيش شعيب بن عثمان الذي تمكن من قتل إسماعيل بن زياد النفوسي ووقع كثير من أصحابه في أسر جيش

(١) المغرب الكبير : ٣/٢١٠.

(٢) الذي رجح الرأي الأول هو الدكتور صالح مفتاح صاحب المرجع السابق.

(٣) الجواهر المنتقاة :٨٧.

(٤) السيرة وأخبار الأمة : ٧.

(٥) طبقات الإباضية، اللدرجيني :١٠-١١.

شعيب بن عثمان وهرب الباقون، وعندما وصلت أنباء هذا النصر إلى عبدالرحمن بن حبيب نهض مسرعاً إلى سوق طرابلس ومعه الأسارى وكتب إلى عمر بن عثمان فقدم عليه بأرض سرت وقدم له الأسارى فضرب أعناقهم وصلبهم واستعمل على طرابلس عمر بن سويد المرادي وأمره أن ينفل[١] .

وبذلك استعاد عبدالرحمن بن حبيب طرابلس وعمّر سورها في العام الثاني[٢] وانتقل الناس إليها من كل مكان[٣]، وعاد عبدالرحمن بن حبيب بعد قضائه على هذه الثورة إلى القيروان وظل عمر بن سويد المرادي والياً على طرابلس إلى أن ثار عليه البربر برئاسة عبدالأعلى بن السمح سنة ١٤٠هـ ٧٥٧م حيث قبض على هذا الوالي وخيره بين البقاء مع الأمان والخروج فاختار الخروج وسافر إلى المشرق[٤].

ثالثاً: ثورة أبي الخطاب الإباضي:

وعندما انهارت الدولة الأموية وحلت محلها الدولة العباسية فر بعض الأمراء الأمويين إلى إفريقية وبالإضافة إلى ذلك فإن عبدالرحمن بن حبيب لم يقدم الولاء والطاعة للخليفة العباسي الجديد أبي العباس السفاح ونتيجة لذلك أراد الخليفة العباسي أن يقضي على نفوذ عبدالرحمن بن حبيب فأرسل جيشا إلى إفريقية تحت قيادة أبي عون عبدالملك بن يزيد وكان على مقدمة هذه الجيوش عامر بن إسماعيل ويرافقه أسطول بحري خرج من مدينة

---

(١) العبر، لابن خلدون : ٢٢٣/٦.

(٢) أحمد النائب الأنصاري، المنهل العذب:٥١/١.

(٣) البيان المغرب، لابن عذاري:٦٣/١.

(٤) ولاة طرابلس، للطاهر الزاوي :٤٦.

الإسكندرية تحت قيادة المثنى، وكان قد سبق هذه الجيوش إلى أرض سرت بعض الدعاة العباسيين وذلك لنشر الدعوة العباسية في بلاد المغرب، ولما وصلت الجيوش العباسية إلى برقة توفي الخليفة أبو العباس السفاح في ذي الحجة سنة ١٣٦هـ ٧٥٣م مما أدى إلى استدعاء الدعاة الذين وصلوا إلى سرت والجيش الذي مكث في برقة لمدة أحد عشر شهراً[١]. وعندما تولى الخليفة الجديد أبو جعفر المنصور كتب إلى عبدالرحمن بن حبيب يأمره أن يقدم الولاء والطاعة للدولة العباسية فأجاب ابن حبيب إلى ذلك فأقره أبو جعفر وبعث إليه بالخلع والأعلام السود فلبسها وأعلن الدعاء على المنابر للخليفة العباسي[٢].

ووجه عبدالرحمن بن حبيب بعد ذلك إلى الخليفة العباسي بهدية فيها بزاة وكلاب وكتب له رسالة قال له فيها (إن إفريقية اليوم إسلامية كلها، وقد انقطع السبي منها فلا تسألني ما ليس قبلي) فغضب الخليفة أبو جعفر من لهجة هذه الرسالة وكتب إلى عبدالرحمن بن حبيب يتوعده مما أثار غضب عبدالرحمن بن حبيب فجمع الناس وخطب فيهم قائلاً: إنني ظننت أن هذا الخائن يدعو إلى الحق حتى تبين لي خلاف ما بايعته عليه من إقامة العدل، وإني قد خلعته كما خلعت نعلي هذا وقذفه من رجله ثم دعا بخلع السواد[٣].

وقد استغل إلياس بن حبيب الخلاف الذي وقع بين أبي جعفر المنصور وعبدالرحمن بن حبيب فتآمر مع أخيه عبدالوارث على قتل عبدالرحمن بن حبيب وكان سبب تآمرهما عليه إنه كان يبعث أخاه إلياس إلى كل ثائر

---

(١) الولاة والقضاة، للكندي :١٠٣.

(٢) تاريخ إفريقية والمغرب: ١٣٣-١٣٤.

(٣) البيان والمغرب :٦٧/١.

يخرج عليه فيقاتله حتى يظفر بالنصر فينسبه عبدالرحمن بن حبيب إلى ابنه حبيب ثم ولاه العهد.

ولهذا تآمر عليه أخوه وتولى إلياس الحكم من بعد أخيه عبدالرحمن غير أن إلياس لم يستقر في الحكم طويلاً حتى ثار عليه حبيب بن عبدالرحمن وتولى زمام الأمور وما كان الأخير يستقر في القيروان حتى ثارت عليه ورفجومة[1] التي لجأ إليها عبدالوارث وكانت هذه الثورة برئاسة عاصم الورفجومي إذ أن عاصم الورفجومي قائد هذه الثورة أرسل عبدالملك بن أبي الجعد لقتال حبيب ابن عبدالرحمن الذي لم يصمد كثيراً في قتال ورفجومة حتى قتل في المحرم سنة ١٤٠هـ ٧٥٧م، ورجع عبدالملك بعد ذلك في قبائل ورفجومة إلى القيروان واستولى عليها وبذلك ملكت ورفجومة إفريقية، وعاملوا أهل القيروان بالعسف والظلم حتى تفرقوا في مختلف الأقاليم فراراً بأنفسهم وشاع خبرهم في الآفاق[2].

بالإضافة إلى ما ارتكبته ورفجومة من ظلم يذكر إنهم ربطوا دوابهم في المسجد وقتلوا كل من كان بالمدينة من قريش. وتذكر بعض الروايات إنه من خلال هذه الأحداث كان رجلٌ من الإباضية في القيروان لقضاء بعض الحاجة فرأى بعض الورفجوميين قد أخذوا امرأة قهراً والناس ينظرون فأدخلوها الجامع واغتصبوها فما كان من الإباضي إلا أن ترك حاجته التي جاء من أجلها وخرج حتى أتى أبا الخطاب عبدالأعلى بن السمح المعافري وأخبره بذلك

---

(١) ورفجومة هي بطن من بطون البربر، تفزاوة بنولو الأكبر ومن أهم بطونها دجال، وطوويورغيس، ووا تحبر وكبر طيط وما انجدل وسفتبت بنور فجوم من ميزغاش بن ولهاص بن يطوفت بن تفراو(ابن خلدون العبر: ١٧٩/٦-١٨٠).

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٢٨١/٤.

فخرج وهو يقول (لبيك اللهم لبيك) [1].

أما روايات الإباضية فتذكر أن امرأة من نساء القيروان كتبت بطاقة إلى أبي الخطاب تشكو إليه جور ورفجومة وتقول له فيها: (أما بعد يا أمير المؤمنين فإن لي ابنة وقد بلغنا الخوف من ورفجومة والحوطة عليها أن حفرت حفرة تحت سريري ووضعتها فيها خشية أن يفسدوها كما فعلوا بأمثالها) [2].

ومهما اختلفت الروايات في هذه النقطة إلا إنها تجمع على الظلم الذي ارتكبته ورفجومة في القيروان ومن المرجح أن يكون ذلك سببا مباشرا في استيلاء الإباضية على مدينة القيروان.

رابعاً: إمامة أبي الخطاب والاستيلاء على طرابلس:

وقد كان الإباضية بعد مقتل الحارث وعبدالجبار يجتمعون في الكتمان ويذكرون في عقد الإمامة فأجالوا النظر وأطالوا الفكر فيما بينهم فيمن يولونه أمرها ان كانت لهم قوة على عدوهم وكانوا يجتمعون بموضع يقال له صياد غربي مدينة طرابلس وكانوا يظهرون إنهم يجتمعون في أمر أرض بين قوم أرادوا قسمتها وأظهروا ذلك وأعلنوه وقيل إنهم كانوا يجتمعون في أمر رجل وزوجته اختصما بينما كانوا في واقع الأمر يجتمعون من أجل الإمامة [3].

وقد استمرت اجتماعاتهم حتى اتفقوا فيما بينهم على يوم معلوم وعلى أن يأتي كل واحد منهم بجماعة من رجال عشيرته وأتباعه مع سلاحهم وخرج معهم أبو الخطاب ولم يكن يعلم ما يريدونه وعندما وصلوا إلى مدينة صياد

---

(١) تاريخ إفريقية والمغرب: ١٤١.

(٢) البيان والمغرب: ١/٧٠.

(٣) السيرة وأخبار الأمة :٧.

تكلم رجل فيهم وقال (أليس قد اجتمع رأينا على ما قد علمتموه فقالوا: بلى فأتموا أمركم فاجتمعت طائفة منهم على ناحية وتكلموا فيما بينهم ثم رجعوا فقالوا لأبي الخطاب، ابسط يدك لنبايعك على أن تحكم بيننا بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وآثار الصالحين من عباده فقال لهم أبو الخطاب استغفلتموني وما حسبت أن لهذا الأمر كان خروجي معكم[1]. وكان أبو الخطاب هذا من حملة العلم الخمسة الذين وفدوا على البصرة والذي أشار إليه استاذهم أبو عبيدة - عندما أرادوا الانصراف إلى بلاد المغرب - وذلك عندما سألوه عمن يولونه الإمامة إذا ما أنسوا في أنفسهم قوة[2]. ولما رأى أبو الخطاب إصرارهم على أن يولوه أمرهم، رضخ للأمر الواقع وقال لهم: لا أقبل أن أتحمل أمانتكم.

إلا على شرط. فقالوا له! كل شرط يجوز فنحن نعطيكه ونطيعك فقال لهم شرطي عليكم، ألا تذكروا في معسكري مسألة الحارث وعبدالجبار، خوفاً من أن يكون في جماعة المسلمين اختلاف وفرقة وقد حدثنا بعض أصحابنا أن مسألة الحارث وعبدالجبار اتصلت بالمشرق فكان بين أصحابنا وفي مسألتهم اختلاف وفرقة وفي أرض المغرب أشد من ذلك حتى كتب لهم أبو عبيدة مسلم وأبو داود بالكف عن ذكرهما[3].

وعندما وافقوه على شرطه بسط يده فبايعوه وكان ذلك في المحرم سنة ١٤٠هـ ٧٥٧م في غربي مدينة طرابلس ثم اتفقوا على احتلال مدينة طرابلس وكانت خطتهم في احتلال هذه المدينة أن يحمل الرجال مع أسلحتهم الجواليق

---

(١) السيرة وأخبار الأمة :٧

(٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) طبقات الإباضية :١٠-١١.

لتربط أفواهها من أسفل ويحمل كل جمل رجلين ثم يدخلوا مدينة طرابلس، وكل من سيرى الجمال على هذه الهيئة لن يفطن إلى من فيها من الرجال ويظن إنها تحمل بضاعة وعندما يرى الإباضية المقيمون بطرابلس دخول الجمال وانتشارها في المدينة يشهرون سلاحهم(١).

وعندما التف البربر حول أبي الخطاب اتجه إلى مدينة طرابلس واستولى عليها وطرد منها الوالي العباسي عمر بن عثمان القرشي وولى عليها رحيمه عبدالله وعلي سرت عمر بن يمكتن. وفي صفر سنة ١٤١هـ ٧٥٨م، توجه أبو الخطاب بمن كان معه إلى القيروان فخرج إليه عبدالملك بن أبي الجعد في جموعه وتم اللقاء بين الجيشين ودارت المعركة وكان النصر فيها لأبي الخطاب حيث قتل عبدالملك بن أبي الجعد ودخل أبو الخطاب مدينة القيروان حيث ولى عليها عبدالرحمن بن رستم(٢). وبذلك صارت طرابلس كلها من خليج سرت إلى قابس ومن البحر إلى الصحراء الكبرى منضوية تحت إمامة أبي الخطاب.

خامساً: موقف أبي جعفر المنصور من ثورة الخطاب.

وكان أبو جعفر المنصور حريصاً على دولته الناشئة فأعمل سيفاً في كل منافسيه وقد تم له في المشرق ما أراد فاتجه إلى المغرب وقد عزم أن يقضي على إمامة أبي الخطاب التي أصبحت أكبر خطر يهدده وليسترد إفريقية لتكون وقاية لمصر، لأن في قيام دولة أبي الخطاب اتصالاً بمناوئ الدولة العباسية في مصر وهذا مايؤدي إلى الثورة في مصر ضد الحكم العباسي ولابد أن يحذو الشام والعراق حذو مصر والمغرب، ولهذا صمم المنصور على إرسال قواته

---

(١) المغرب الكبير :٣/٢٠٩-٢١٠.

(٢) ولاة طرابلس : ٤٧.

إلى المغرب للقضاء على ثورة أبي الخطاب وقد شجعه على إرسال هذه القوات إلى المغرب وجود جماعة من جند إفريقية يشكون ما نزل بهم من ورفجومة ويستصرخونه. وكان من هؤلاء الوفد الذي أتى المنصور من إفريقية نافع بن أنعم والبهلول كما وفد عليه جميل السدراتي أحد جنود عبدالأعلى الخارجين عليه(١).

ولهذا صمم أبو جعفر المنصور على القضاء على ثورة أبي الخطاب فما كان منه في تلك الأثناء الا ان ولي محمد بن الأشعث على مصر وطلب منه إرسال جيش للقضاء على ثورة أبي الخطاب فأرسل هذا الوالي جيشا بقيادة رجل من أكبر قواده وأشجع رجاله هو العوام بن عبدالعزيز البجلي وكلفه بحرب أبي الخطاب ومهاجمة بلاده، وسار العوام إليه وكان أبو الخطاب أخذ يستعد لملاقاة جيش المنصور، ولما تم له ذلك خرج بجيشه حتى أتى ورداسة في شرق طرابلس ووجه إلى العوام مالك بن سحران الهواري في طائفة من جيشه فالتقى بالعوام البجلي في منطقة سرت وهي أول بلاد الإمام أبي الخطاب ودارت معركة كبرى سقط فيها قتلى كثيرون من الجانبين غير أن مالك بن سحران كر على جيش العوام البجلي فهزمه وقتل عدداً كبيراً من أصحابه ورجع العوام إلى ابن الأشعث مهزوماً(٢).

وعرف ابن الأشعث أن أبا الخطاب لا يؤثر فيه إلا جيش يحشد فيه كل ما استطاعه من جنده الشجعان ومع خيرة قواده، فجهز جيشاً أكبر من سابقه ويقدره بعض المؤرخين في ستة آلاف جندي لمقابلة الجيوش الإباضية وذلك في سنة ١٤٣هـ/٧٦٠م تحت قيادة أبي الأحوص العجلي . وأرسله إلى إفريقية،

---

(١) العبر لابن خلدون:٤/٤١٠.

(٢) محمد بن علي دبوز المرجع السابق : ٣/٨-٩.

فزحف إليه أبو الخطاب بجموع الإباضية من البربر، والتقى الجيشان في مغمداش على شاطئ البحر، وتمكن أبو الخطاب من هزيمة جيش أبي الأحوص، حيث عاد إلى مصر، وانصرف أبوالخطاب إلى طرابلس، وأصبحت إفريقية كلها في يديه إلى أن وجه إليه المنصور محمد ابن الأشعث ولم يرضِ ذلك الوضع أبا جعفر المنصور، وذلك خوفاً من ضياع النفوذ العباسي في المغرب، فولي إفريقية محمد بن الأشعث الخزاعي، عاملة على مصر، وأعد الخليفة جيشاً عدته أربعون ألف مقاتل يقودهم ثمانية وعشرون قائداً[1]، منهم الأغلب بن سالم بن عقال التميمي والمحارب بن هلال الفارسي، والمخارق بن غفار الطائي، وأمرهم بالسمع والطاعة له، وإن حدث به حدث كان أميرهم الأغلب فإن حدث حدث فالمخارق ومن بعده المحارب بن هلال، غير ان الأخير توفى قبل وصولهم إفريقية وعندما علم ابن الأشعث بقرب الموعد اتجه إلى إفريقية وعسكر بالجيزة وصلى بها يوم عيد الأضحى سنة ١٤٢هـ/٧٥٩م ثم توجه إلى الإسكندرية وذلك بعد ان استخلف محمد بن معاوية على مصر[2].

ولما علم أبو الخطاب خروج محمد بن الأشعث إليه، جمع أصحابه من كل ناحية، ومضى في عدد عظيم فكثر جمعه وخافه ابن الأشعث لكثرة جموعه غير إنه في هذا الوقت تنازعت زناتة وهوارة بسبب قتيل من زناتة، فاتهمت زناتة أبا الخطاب بالميل إلى هوارة فتخلى عنه جماعة منهم، مما شجع ابن الأشعث وقوى من عزيمته[3]. ثم سار أبو الخطاب في جيوشه وأنصاره حتى عسكر بسرت شرقي طرابلس، ينتظر وصول ابن الأشعث إليه، غير أن ابن

---

(١) البيان المغرب : ٧٢/١.

(٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) محمد بن دبوز، المرجع السابق:٣/١١-١٢.

الأشعث كان داهية محنكاً يتبين طريقه كل التبين قبل أن يسير، ويعلم كل العلم قبل أن يشتبك به، فأرسل جواسيسه في سرت وعرفوا حقيقة جيش أبي الخطاب، ورجعوا إلى ابن الأشعث بأنباء ارتاع منها وساء أن يكون جيش أبي الخطاب متفوقاً في المعنويات والعدد[1].

فاتجه ابن الأشعث إلى خطة سياسية لكي يقضي على جيش أبي الخطاب، عندما تحين الفرصة المناسبة فضبط أفواه السكك، حتى انقطع خبره عن أبي الخطاب فرجع أبو الخطاب إلى طرابلس، ولكن عندما علم أبو الخطاب بعد ذلك برجوع ابن الأشعث إلى سرت، خرج إليه حتى وصل ورداسة ولما قرب منه، ذكر ابن الأشعث لأصحابه أن خبراً أتاه من الخليفة المنصور بالرجوع إلى المشرق، فعاد إلى الخلف مسار ثلاثة أيام ببطء، فوصلت عيون أبي الخطاب وأخبرته بعودة ابن الأشعث فتفرق عنه كثير من أصحابه وكان ذلك في صفر سنة ١٤٤هـ/٧٦١م فهاجمه ابن الأشعث ودارت معركة رهيبة بين الطرفين، ويجعلها بعض المؤرخين عند مدينة لبدة. وأحاطت فيه جيوش ابن الأشعث بأبي الخطاب فصمد أبو الخطاب، وظل يقاتل مع أصحابه حتى قتل هو وعدد كبير من جنده وهكذا استطاع ابن الأشعث بسياسته ودهائه أن ينتصر على أبي الخطاب، واحتز رأسه وأرسله إلى المنصور[2].

ولما علم عبدالرحمن بن رستم بالقيروان وكان في طريقه إلى أبي الخطاب ما حل بأبي الخطاب وأصحابه، رجع إلى تاهرت وبنى هناك مدينة نزلها، أما ابن الأشعث فافتتح طرابلس واستعمل عليها المخارق بن غفار الطائي[3]. وظن

---

(١) محمد علي دبوز : ٣/١١-١٢.

(٢) تاريخ الخياط : ٦٤/٢.

(٣) محمد علي دبوز :المرجع السابق :١٨/٢٣.

ابن الأشعث إنه لا قوة هناك تهاجمه بعد انتصاره على أبي الخطاب ولكنه فوجئ برجل يدعى أبو هريرة الزناتي في ستة عشر ألفا من زناتة وغيرها، فهجم عليهم ابن الأشعث وتمكن من هزيمتهم وذلك في ربيع الأول سنة ١٤٤هـ/٧٦١م[1].

ثم كتب ابن الأشعث إلى أبي جعفر المنصور يخبره بتلك الانتصارات ثم أخذ يولي عماله على المغرب، وبالإضافة إلى ذلك سير سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م من مدينة القيروان جيشاً بقيادة أحد قواده إسماعيل بن عكرمة الخزاعي إلى مدينتي زويلة وودان حيث قام بقتل زعيم الإباضية بزويلة عبدالله ابن حيان الإباضي وهكذا فرض ابن الأشعث سطوته وأذعنوا له بالطاعة.

سادساً: ثورة أبي حاتم يعقوب بن لبيب الإباضي:

وفي سنة ١٥١هـ/٧٦٨م آلت ولاية إفريقية إلى عمرو بن حفص بن قبيصة وكان شجاعاًبطلاً، وسبب توليته على إفريقية أن أبا جعفر المنصور لما بلغه قتل الأغلب بن سالم، وجهه إلى إفريقية في نحو خمسمائة فارس، فأقام بالقيروان مدة ثلاث سنين وأشهر من ولايته والأمور له مستقيمة، ثم سار بعد ذلك لبناء سور مدينة طبنة، لإنها تعتبر خط الدفاع الأول عن القيروان، ثم إن أمر الخوارج الصفرية قد استفحل فيها، فخرج إليها، وذلك بعد ان استخلف على القيروان أبا حازم حبيب بن حبيب المهلبي ولقد شعر الرستميون بالخطر الذي أصبح يتهدد دولتهم من جراء تحصين مدينة طبنة، فاتفق ابن رستم مع أنصاره في طرابلس فرصة خروج عمرو بن حفص إلى طبنة ودخلوا إفريقية من

---

(١) البيان المغرب: ٧٢/١-٧٣.

عسكر العباسيين وأعلنوها ثورة في طرابلس وولوا عليهم أبا هاشم بن يعقوب[1].

وكان والي طرابلس من قبل العباسيين في هذه الفترة هو الجند بن بشار الأسدي، فأرسل إليهم عمرو بن حفص جيشاً قوامه خمسمائة فارس تحت قيادة احد قواده وهو أبو حازم بن سليمان. فطلب منهم ان يقدموا الولاء والطاعة لأبي جعفر المنصور ولكنهم رفضوا ذلك وقالوا له عليك لعنة الله وعلى أبي كافر معك. وكانوا يقصدون بذلك أبا جعفر المنصور. وعندما رفضوا تقديم الولاء والطاعة للخليفة العباسي تم اللقاء بين الطرفين ودارت معركة بينهم انتهت بقتل عدد كبير من جند العباسيين وهزيمتهم إلى مدينة قابس فحاصرهم أبو حاتم .

ثم بعث بجيوشه إلى طبنة حيث حاصروا بها عمرو بن حفص وكان على رأس هذه الجيوش أبو قرة اليعقوبي في أربعين ألفاً والمسور بن هاني الزناتي في عشرة آلاف وعبدالرحمن بن رستم في خمسة عشر ألفاً وعبدالملك بن سكريد في ألفين وانضم إليهم عدد كبير من الخوارج وزناته ومع أن هدف المحاصرين كان واحداً وهو قتال جند الخلافة إلا إنهم لم يكونوا متفقين أو متحدين في الخطة والعمل بل كان كل منهم يحمل بمفرده عن الآخر ولهذا عندما أعمل عمرو بن حفص الحيلة في صرف جند أبي قرة عن حربه، انصرف بعض الآخرين وإنهزم بعضهم ذلك أن عمرو بن حفص رأى كثرة البربر حوله فأراد أن يفرق كلمتهم وذلك عن طريق شراء بعضهم بالمال فبذل لأصحاب أبي قرة مالاً كثيراً مما أدى إلى تفرقهم[2].

---

(١) الكامل لابن الأثير :٥/٣١-٣٢.

(٢) البيان المغرب: ١/١٧٦.

هذا كما بعث في نفس الوقت جيشاً إلى ابن رستم وهو بتهوده فما كان من عبدالرحمن بن رستم إلا أن إنهزم أمامه إلى تاهرت فخافت الإباضية من حصار مدينة طبنة ثم سار أبو حاتم إلى القيروان وحاصرها ثمانية أشهر حتى اكل أهلها الميتة ولما اشتد الحصار على أهل القيروان خرج عمرو بن حفص من طبنة بعد ان استخلف عليها الهنأ بن غفار الطائي واتجه إلى القيروان مما أدى بالمجتمعين على القيروان أن يفكوا حصارهم ويتجهوا لمقابلة جيوش عمرو بن حفص القادمة إلى القيروان فلما علم بهم اتجه إلى تونس. وفي هذه الأثناء خرج جميل بن صخر من القيروان بعد ما ترك حصارها أبو حاتم والتقى مع عمرو بن حفص وتوجها معاً إلى القيروان وكان لقاؤهما في مكان يقال له بئر السلامة[١].

وبعد أن رجع عمرو بن حفص إلى مدينة القيروان بدأ يستعد لملاقاة جيش أبي حاتم ولكنه رأى إنه لايستطيع مقاومة ذلك الجيش الذي بلغ تعداده حوالي مائة وثلاثين ألفاً فأخذ يجمع من الطعام ما يمكن جمعه ثم قام بحفر خندق حول المدينة، ثم أقبل أبو حاتم في جنوده حتى وصل إلى بحيرة المسروقين فنهض إليه عمرو بمن معه فقاتله أشد القتال غير ن الجند تكاثروا عليه مما أدى به إلى الانسحاب إلى مكان يدعى القنطاط فتابعه أبو حاتم حتى وصل إلى الخندق الذي اعده عمرو بن حفص وظل أبو حفص محاصراً داخل خندقه وطال الحصار على أهل المدينة. ويذكر إنه عندما طال الحصار على عمرو بن حفص وصله كتاب من زوجته خليدة بنت المعارك تخبره أن أمير المؤمنين استبطأه فبعث إليه يزيد ابن حاتم في ستين ألفاً[٢].

---

(١) تاريخ إفريقية والمغرب : ١٤٤.

(٢) المرجع السابق : ١٤٤-١٤٥.

ولما قتل عمرو بن حفص على يد الخوارج سنة ١٥٤هـ/٧٧٠م جمع يزيد ابن قبيصة جيشاً من الشام والعراق وخراسان وبلغ حوالي ستين ألف مقاتل وسار به إلى إفريقية للأخذ بثأر عمرو بن حفص وعندما علم أبو حاتم بمسيرة يزيد الذي كلفه الخليفة العباسي بالذهاب إلى إفريقية سار هو أيضاً إلى طرابلس للقائه، وذلك بعد أن استخلف على القيروان عبدالعزيز بن السمح المعافري وأمره بأن يأخذ سلاح الجند وأن لا يجتمع منهم اثنان في مكان واحد وأن يوجه إليه بهم واحداً واحد غير أنهم اجتمعوا واستوثق بعضهم بعضاً ألا يرضوا بهذا وقويت شوكتهم بقدوم يزيد، وبينما كان أبو حاتم في طريقه إلى طرابلس بلغه خبر انتقاض بعض الاشخاص في القيروان وعلى رأسهم عمر بن عثمان القرشي والمخارق بن غفار فعاد أبو حاتم إلى القيروان ففر عمرو بن عثمان إلى تونس وذلك بعد قتال شديد بين الطرفين ثم مضى أبو حاتم بعد ذلك إلى طرابلس لمقابلة الجيش العباسي وفي هذه الأثناء انضم جيش يزيد إلى جميل بن صخر وأصحابه وهو في سرت . واقاموا إلى ان لقيهم أبو حاتم.

غير أن أبا حاتم رأى أن يختار مكاناً يصعب منه على يزيد الانتصار فيه فما كان منه إلا أن لحق بجبال نفوسه فاتبعته عساكر يزيد فهزم فسار إليهم يزيد بنفسه وقاتله قتالاً شديداً وقُتِلَ أبوحاتم في ثلاثين ألفاً من أصحابه وعلى الرغم من المبالغة في هذا العدد إلا أنه يشير إلى مدى ما تكبده جيش أبي حاتم من خسائر في الأرواح ثم تتبع يزيد الفارين بالقتل طالباً بثأر عمرو بن حفص ثم ارتحل إلى القيروان فدخلها في منتصف سنة ١٥٥هـ/٧٧١م وذلك بعد ان استخلف على طرابلس سعيد بن شداد.

وكان عبدالرحمن بن حبيب بن عبدالرحمن الفهري، قد خرج مع أبي حاتم غير أنه بعد مقتل أبي حاتم لحق عبدالرحمن بكتامة فبعث يزيد المخارقَ إلى

بني غفار الطائي في طلبه فحاصرهم ثمانية أشهر فغلب عليه وقتل جماعة ممن معه وفر هو إلى الأندلس. وفي هذه الأثناء كانت هوارة وزناتة في طرابلس تترقب فرصة للثورة فعندما ابتعد يزيد بجيوشه تعقباً لعبدالرحمن ثارت هوارة في شرق طرابلس واشتعل شرق طرابلس ناراً على العباسيين بقيادة شخص يدعى أبا يحيى بن قرياس وكان في هذه الأثناء عسكر ليزيد بن أبي حاتم بطرابلس بقيادة عبدالله بن السمط الكندي، التقوا على شاطئ البحر من أرض هوارة ودار القتال بين الطرفين مما أدى إلى إنهزام أبي يحيى وقتل عامة أصحابه.

وفي سنة ١٧١هـ/٧٨٧م توفى يزيد بن حاتم وتولى أمر إفريقية من بعده أخوه وروح بن حاتم (١٧١-١٧٤هـ/٧٨٧-٧٩٠م) وكان والياً على السند وفي عهده استكانت القبائل المحلية للعرب وقبلوا دفع ما عليهم من إتاوات غير إنه توفي في رمضان من سنة ١٧٤هـ/٧٩٠م وتعاقب على ولاية إفريقية من بعده عدد من الولاة منهم نصر بن حبيب المهلبي ثم من بعده الفضل بن روح بن حاتم الذي ولاه الرشيد أمر إفريقية في المحرم سنة ١٧٧هـ/٧٩٣م.

وفي السنة الثانية من ولايته ١٧٨هـ/٧٩٤م ثار عليه الجند بقيادة عبدالله بن عبدربه الجارود إذ إنهم تمكنوا من قتل الفضل بن روح والاستيلاء على القيروان وذلك في شعبان من سنة ١٧٨هـ/٧٩٤م وبدخول ابن الجارود مدينة القيروان في سنة ١٧٨هـ انتهى عهد الولاة المهلبيّين في إفريقية بعد أن كونوا فيها ما يشبه إمارة تابعة للخلافة منذ ولاية عمرو بن حفص سنة ١٥١هـ حتى مقتل الفضل بن روح وبزوال هذه الاسرة اضطربت المنطقة من

جديد[1]، إذ أنه عندما تولى ابن الجارود أمر إفريقية استبقى يحيى بن موسى عاملاً على طرابلس غير أن هارون الرشيد رفض تولية ابن الجارود وولى مكانه هرثمة بن أعين أحد كبار قادة الرشيد. فسار هرثمة بن أعين نحو إفريقية وعندما وصل إلى برقة بعث يقطين بن موسى إلى القيروان ليقنع ابن الجارود بالخروج من إفريقية وبعث ليحيى بن موسى والي طرابلس يحثه على الإسهام في اقرار الأمر بإفريقية فاتجه يحيى بن موسى إلى القيروان ودفع لابن الجارود بكتاب الرشيد فقال له ابن الجارود: أنا على السمع والطاعة وقد قرب مني العلاء بن سعيد، فإن تركت القيروان ... فأكون قد ضيعت بلاد امير المؤمنين ولكن اخرج إلى العلاء فإن ظفر بي فشأنكم والثغور وان ظفرت به انتظرت قدوم هرثمة. فأسلم إليه البلاد وسار إلى أمير المؤمنين[2].

وكان يقصد ابن الجارود إن ظفر بالعلاء منع هرثمة عن البلاد ولكن يحيى ابن موسى اراد أن يفرق جيش ابن الجارود فخلا بأحد أصدقائه وهو ابن الفارسي الذي حاول افساد جيش ابن الجارود غير أن ابن الجارود تمكن من قتل ابن الفارسي وهزم يحيى بن موسى حيث رجع إلى طرابلس[3].

وفي هذه الأثناء قدم جيش العلاء بن سعيد يريد القيروان ورأى ابن الجارود إنه لا طاقة له به فكتب إلى يحيى بن موسى أن يقدم إلى القيروان ليسلمها له فخرج يحيى بمن معه من طرابلس في المحرم سنة ١٧٩هـ/٧٩٥م فلما بلغ

---

(١) ليبيا بين الماضي والحاضر، لحسن محمد سليمان:١٥٢.

(٢) تاريخ ليبيا الإسلامي، لعبداللطيف البرغوثي:١٥٢.

(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير : ٥/٩٥-٩٦.

قابس التقى به عامة الجند من القيروان ومعهم النصر بن حفص ابن عمر بن معاوية وخرج ابن الجارود من القيروان في مستهل صفر واستخلف عليها عبدالملك بن عباس اللطيفي فأقبل العلاء بن سعيد إليها فقتل جماعة من أصحاب الجارود فبعث إليه يحيى بن موسى أن يفرق جموعه إن كان في الطاعة فأمر العلاء بن سعيد كل من كان معه بأن ينصرفوا إلى مواقعهم فانصرفوا[1].

ثم رحل العلاء بن سعيد من القيروان إلى طرابلس وكان ابن الجارود قد وصل إليها قبل وصول العلاء بن سعيد فلقي بها يقطين بن موسى فخرج معه سائراً يريد المشرق فالتقوا بهرثمة بن أعين بإجدأبية فأرسلهما إلى منصور بن زياد ببرقة ثم رحلا إلى المشرق حتى وصلا إلى هارون الرشيد، وفي ربيع الاخير من سنة ١٧٩هـ/٧٩٥م وصل هرثمة بن أعين إلى القيروان وعين سفيان بن المضاء بن أبي المهاجر واليا على طرابلس وعاد الهدوء إلى ولاية إفريقية هذا كما أعاد بناء سور مدينة طرابلس من جهة البحر[2].

ولما رأى هرثمة ما بالمغرب من كثرة الثوار استعفى الرشيد من ولايتها فأعفاه لسنتين ونصف من ولايته وولى عليها محمد بن مقاتل العكي.

فقدم ابن العكي إلى القيروان في أول رمضان سنة ١٨١هـ ٧٩٧م وكان سيىء الأخلاق والسيرة فاختلف عليه الجند ثم خرج عليه بتونس تمام بن تميم التميمي سنة ١٨٣هـ ٧٩٩م واجتمع الناس عليه وساروا إلى القيروان ودخلوا على محمد بن مقاتل العكي فيها ولكن تمام آمنه على أن يخرج من إفريقية

---

(١) تاريخ إفريقية والمغرب:٢٠-٢٠٢.

(٢) البيان المغرب: ١/٨٨.

فسار إلى طرابلس[1] ولما بلغ الخبر إلى إبراهيم بن الأغلب بمكان من الزاب انتقض لمحمد بن مقاتل، وسار بمجموعة إلى القيروان فهرب تمام، وملك إبراهيم بن الأغلب القيروان واستقدم محمد بن مقاتل من طرابلس وأعاده إلى إمارته بالقيروان آخر سنة ١٨٣هـ ٧٩٩م وظل بها إلى أن قامت الدولة الأغلبية[2].

رأينا فيما سبق الفتن والثورات التي قام بها البربر من الخوارج والإباضية، غير أن الضربة الساحقة التي ألحقها يزيد بن حاتم بالإباضية تعد نهاية لنشاط الخوارج والإباضية في صورته الشاملة المنظمة، حقيقة أن حركاتهم لم تحبط بصورة نهائية في عهد يزيد لكنها كانت تفتقر إلى التنظيم والشمول ولذلك لم يجد أمراء آل المهلب في إفريقية عناء في قمعها وردعها، فثورة هوارة بزعامة أبي يحيى بن فرناس بنواحي طرابلس انتهت بكارثة لإباضية هوارة على يد عبدالله بن السمط الكندي، الذي قتل أبا يحيى وعامة أصحابه وحسبنا أنا لم نسمع عن أي نشاط للإباضية طوال حكم يزيد بن حاتم الذي امتد حتى سنة ١٧٠هـ ٨٧٦م، ولذلك حق لابن عذاري أن يقول لقد دانت إفريقية ليزيد ابن حاتم[3].

أما الإباضية في نفوسة فقد استكانوا وغلبوا على أمرهم، بعد فشل حركة أبي حاتم، وقبل ذلك كان إباضية زناتة قد بطش بهم ابن الأشعث سنة ١٤٤هـ ٧٦١م، وهكذا تصدعت حركات الإباضية في المغرب الأدنى، وإفريقية بينما نجح عبدالرحمن بن رستم بمؤازرة إباضية المغرب الأوسط في تأسيس دولة

---

(١) السلاوي : استقصاء: ١٢١/١.

(٢) المنهل العذب، لأحمد النائب:١/٦٠-٦١.

(٣) المرجع السابق:٨٥.

بتاهرت سنة ١٦١هـ ٧٧٧م، تلك الدولة التي امتد نفوذها فيما بعد لتضم إباضية المغرب جميعاً، بعد أن دانوا بالولاء والتبعية لأئمتها وأقامت دليلا عمليا على نجاح ثورات الإباضية في تحقيق مراميها في تكوين دولة إباضية في المغرب.

وإلى جانب الدولة الرستمية، قامت دولة الأدارسة في المغرب الأقصى وخاف العباسيون على سلطانهم بإفريقية وخاصة إنه بدأ يتزعزع عقب وفاة الوالي القدير يزيد بن حاتم المهلبي سنة ١٧٠هـ وإلى جانب تلك الدول تغلب البربر الصفرية على سلجماسة وهي إحدى مدن المغرب الأقصى الأمر الذي أدى إلى قيام دولة بني مدرار الخارجة على مذهب الصفرية. وكرد فعل لقيام هذه الدويلات التي تكاد أن تكون مستقلة استقلالاً تاماً عن الدولة العباسية، قامت دولة الأغالبة للوقوف في وجه هذه الدويلات وذلك سنة ١٨٤هـ/٨٠٠م وبقيام هذه الدولة دخلت البلاد في عهد جديد.

الفصل السابع

دخول المذهب المالكي إلى ليبيا والشمال الإفريقي

توطئة:

بعد وفاة حملة العلم من التابعين في بلاد شمال إفريقيا، واستشهاد جل علمائهم في الفتوحات الإسلامية لبلاد الإسبان وجزر البحر الأبيض المتوسط وغيرها، شعروا - أهالي شمال إفريقيا - بقلة العلم الشرعي، لذلك توجهوا صوب بلاد المشرق لطلب العلم وتحصيله، فاتصلوا بكبار المحدثين والفقهاء، من أمثال: أبي حنيفة النعمان، ومالك بن أنس، وسفيان الثوري وكان صاحب مذهب متبوع وغيرهم، ثم عادوا إلى بلادهم ونشروا علم هؤلاء الأئمة رحمهم الله، فكانت تلك هي البذرة الأولى لظهور المذاهب في المغرب.

١- المذاهب غير المشتهرة: (١)

وبعض المذاهب دخلت القيروان، ولكنها سرعان ما اندثرت ولم يكثر الآخذون بها، مثل: مذهب أبي عمرو الأوزاعي (ت١٥٧هـ) وقد روى عنه بعض أهل القيروان، ومذهب سفيان الثوري (ت١٦١هـ) وقد روى عنه كثير من أهل القيروان، وسمعوا منه جامعيه الكبير والصغير، وكان بعضهم يميل إلى رأيه، ومذهب داود بن علي الأصبهاني الظاهري (ت٢٧٥هـ)، أدخله أبو

(١) التوطئة والمبحث الأول منقولاً من كتاب مدرسة الحديث في القيروان.

جعفر بن خيرون، أما مذهب محمد بن إدريس الشافعي (ت٢٠٤هـ)، فقد كان حظه بالقيروان - الشمال الإفريقي - أكثر من سابقيه حيث مال إليه مجموعة من أهلها، وقد صنف بعض علماء القيروان في الرد على مذهب الشافعي كتبا منها: كتاب (الرد على الشافعي لمحمد بن سحنون (ت٢٥٦هـ)، وكتاب (الحجة في الرد على الشافعي فيما أغفل من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ليحيى بن عمر (ت٢٨٩هـ) وكتاب (الرد على الشافعي لسعيد بن الحداد ٣٠٢هـ). أما أكثر المذاهب أتباعا بالمنطقة فهما: مذهبا مالك وأبي حنيفة.

٢- المذهب الحنفي:

يعتبر المذهب الحنفي أسبق المذاهب في الدخول إلى القيروان، وكان هو الغالب على أهلها قبل دخول المذهب المالكي، باعتباره مذهب الدولة الرسمي، ثم ضعف عندما أقبل الناس على مذهب مالك، إلا إنه عاد إلى الظهور بعد ذلك إلا إنه زال بعد ما ألزم المعز بن باديس (٤٠٧-٤٤٩هـ) الناس بمذهب مالك حسما لمادة الخلاف في المذاهب.

٣- المذهب المالكي:

لقد تلقى أهل القيروان والشمال الإفريقي مذاهب السلف على يد الصحابة والتابعين، كما مر، وشاهدوا بأعينهم الفتن التي أدى إليها التأويل والبعد عن النصوص، ولذلك ما إن أدخل علي بن زياد (ت١٨٣) الموطأ إلى إفريقية وفسر لهم قول مالك، ولم يكونوا يعرفونه، حتى أقبلوا عليه إقبالا منقطع النظير، لإنهم وجدوا فيه ضالتهم المنشودة لجمعه بين البساطة والأصالة، واعتماده على الحديث، فإن صاحب هذا المذهب يدّرس في مدينة الرسول صلى الله عليه

وسلم، ويلتزم النص من الكتاب والسنة، ولا يأخذ إلا عن الثقات، وبرع في السنة حتى سمّي أمير المؤمنين في الحديث، وهو إلى جانب ذلك شديد الورع لايفتي إلا بحذر شديد، وينفر من الرأي والتأويل[1].

---

(١) مدرسة الحديث في القيروان، للاستاذ / الحسين بن محمد شواط:١/٨٩-٩٥.

المبحث الأول

دخول الموطأ والاهتمام به في الشمال الإفريقي

يقول الأستاذ الحسين بن محمد شواط في ذلك: (ذاع أمر الإمام مالك، واشتهر بالاهتمام بالحديث الشريف، والأخذ عن ثقات الرّواة ووقوفه عند نصوص الكتاب والسنة، وبعده عن الرأي وصونه للعلم بالبعد عن ذوي السلطان، وقد وافق ذلك ما في نفوس أهل الشمال الإفريقي من التعطش إلى السنة والتزام الآثار، فتوافدوا عليه لسماع حديثه، والتأدب بشمائله التي توارثها أهل المدينة جيلاً بعد جيل منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد بدأت صلة القرويين بالإمام مالك قبل سنة ١٤٥هـ، وذلك عن طريق الوفد الذي تكون من عبدالله بن فرّوح (ت١٧٦هـ)، والبهلول بن راشد (ت١٨٣هـ)، وعبدالله بن عمر بن غانم (ت١٩٠هـ) وكان من حفاوة الإمام مالك بهم والعناية بأمرهم مازاد في إقبال المغاربة عليه.

ثم نمت هذه الصلة، وخاصة بعد رحلة علي بن زياد(*) الذي فسر للأفارقة

(*) العلامة الفقيه الأستاذ علي بن زياد العبسي الطرابلسي سمع العلم من الإمام مالك والثوري، والليث بن سعد، وابن لهيعة، ولم يكن بإفريقية مثله ... أخذ عنه البهلول بن راشد، والإمام سحنون، وشجرة بن عيسى وأسد بن الفرات. وكان يقول: إني لادعوا الله عزوجل لعلي بن زياد مع والدي لإنه أول من تعلمت العلم عليه... ولم يكن سحنون يقدم عليه أحدا من أهل إفريقية... وهو أول من أدخل موطأ مالك لإفريقية وفسر لهم قول مالك ولم يكونوا يعرفونه وهو معلم سحنون ... وسأل سحنون شرحبيل قاضي طرابلس عن أصل علي بن زياد فقال. كشفنا عن أصله فإذا هو من العجم، وكان أوله من طرابلس، ثم سكن مدينة تونس وكان البهلول يفزع إلى مشكلات العلم، قال سحنون، ما بلغ البهلول شسع علي بن زياد، ويقول، ما أنتجت إفريقية مثل علي بن زياد، وكان أهل العلم بالقيروان إذا اختلفوا في مسألة ==

قول مالك وأصوله، وحدثهم بموطئه، فكان من يسمع منه من طلبة العلم بالقيروان يعجب بهذا الإمام، ويحرص على الرحلة إليه، لينال بذلك علو الإسناد، وشرف السماع المباشر من الإمام.

١- الرّواة عن مالك من الأفارقة:

وقد رأيت[١] من الفائدة أن أبين هنا تلاميذ مالك من الأفارقة، سيما وإنه لم يسبق أن وقع حصرهم حتى الآن فيما أعلم، ولما لهم من الأثر في نشر حديث مالك وفقهه في بلادهم.

ولقد ذكر الحافظ محمد بن حارث الخُشني (ت٣٦١هـ) أن عدد تلاميذ مالك من علماء الأفارقة يزيد على ثلاثين رجلا، وتناقل ذلك المصنفون، وبعد البحث والتتبع في مختلف المظان وجدت أن عددهم يصل إلى أربعة وأربعين راوياً، منهم من بلغت شهرته الآفاق، ومنهم من لم تفدنا المصادر المتوفرة بغير اسمه) [٢].

= كتبوا بها إلى علي بن زياد يخبرهم من هو على صواب. أرسل إليه أمير إفريقية ورسوله الخليفة يستشيرانه فيمن يلي القضاء فامتنع عن الذهاب إليهما، فحضروا إليه في منزله، فلما قيل له إنهما بالباب حول وجهه إلى الحائط، فدخلا عليه وسأله الوالي بلسان رسول الخليفة عمن يلي القضاء في إفريقية فحول وجهه إلى القبلة وقال: ورب هذه القبلة ما أعرف بها أحداً يستوجب القضاء قوموا عني.
بعث روح بني حاتم - وكان بالقيروان - في طلبه ليوليه القضاء فامتنع ورجع من فوره إلى تونس. أراد يوماً أن يصلي بجامع القيروان فأتي إلى سارية، فأراد أن يكبر فارتعدت فرائصه خوفاً من الله، ثم تحامل على نفسه وكبر فتغير لونه. وله مواقف محمودة في العلم والزهد والخوف من الله. قيل توفي سنة ١٨٢ عليه رحمة الله. (تاريخ الفتح العربي في ليبيا: ١٩٣-١٩٤-١٩٥).

(١) الذي رأى هو الحسين بن محمد بن شوّاط.

(٢) مدرسة الحديث في القيروان: ١/٢٦٠-٢٦١.

٢- رواية الموطأ من الأفارقة:

ويقول أيضاً: (لقد أدخل الموطأ إلى إفريقية ستة من أهلها بروايتهم عن الإمام مالك، كما وجد فيها الموطأ بروايات اخرى، وفيما يلي أسماء الأفارقة والقيروانيين وقد رتبته حسب اسبقية تحملهم للموطأ فيما ترجح لدي[1]:

١- علي بن زياد التونسي (ت١٨٣هـ):

وهو محدث واسع الرواية مع علم في نقد الرجال وضبط للرواية، ونباهة في الفقه سمع بإفريقية والمشرق، وله أثر كبير في الحياة العلمية بإفريقية، وعليه تعلم شيوخ القرويين، وهو مؤسس المدرسة المالكية في تلك الربوع، لأنه أول من ادخل الموطأ إلى إفريقية بروايته عن مالك، وفسر لأهلها قول مالك وأصوله، ولم يكونوا يعرفونها قبل ذلك.

٢- عبدالله بن عمر بن غانم الرعيني (ت١٩٠هـ):

وهو محدث فقيه تولي قضاء القيروان، وقد كان من طليعة المرتحلين إلى الإمام مالك وذلك قبل سنة ١٤٥هـ....وتحمله للموطأ عن الإمام مالك فهو ثابت.

٣- أسد بن فرات (ت٢١٣هـ):

سمع أسد الموطأ من علي بن زياد، ثم رحل إلى المشرق سنة ١٧٢هـ وقد أخذ عن الإمام مالك الموطأ وغيره، وحدث به في العراق، ثم عاد إلى إفريقية سنة ١٨١هـ. وسنترجم له بإذن الله في دولة الأغالبة.

---

(١) الذي ترجح عنده هو الحسين بن محمد بن شوّاط.

٤- محمد بن معاوية بن الحضرمي الطرابلسي ثم القروي:

محدث، فقيه، ثقة مشهور. وقد سمع منه القرويون، ولم تذكر المصادر شيئاً من تواريخ وفاته ورحلته، وإنما ذكروا إنه:(كان له سن وإدراك)، وصرحوا بسماعة للموطأ، وذكر عياض عن المالكي أن موطأ محمد بن معاوية يمتاز على غيره من الموطآت باشتماله على جامع، وليس ذلك عند أحد غيره من رواة الموطأ.

٥- عيسى بن شجرة التونسي:

هذا العالم من الأفارقة الكثيرين الذين انمحت آثارهم حيث لم توجد له ترجمة مستقلة مع إنه من رواة الموطأ كما ورد في تنوير الحوالك وغيره، وله سماع من الليث بن سعد(ت١٧٥هـ)، وعبدالله بن لهيعة(ت١٧٤هـ).

٦- خلف بن جرير بن فضالة القروي:

فقيه محدث ثقة، سمع من معظم شيوخ عبدالله بن وهب (ت١٩٧هـ) وفي مقدمتهم الإمام مالك الذي أخذ عنه الموطأ[1].

---

(١) مدرسة الحديث في القيروان :١/٢٦٧-٢٧١.

المبحث الثاني

ترجمة الإمام مالك بن أنس رحمه الله

١- عصره:

يشبه عصر مالك عهد أبي حنيفة، إلا أنه أدرك من الدولة العباسية حظاً وافراً، فقد كانت ولادته في عهد الوليد بن عبدالملك الأموي، وكانت وفاته في عهد الرشيد العباسي، فعاصر دولة بني مروان في عنفوان شبابها، وشاهد تداعي الدولة الأموية، وقيام بني العباس على انقاضها، ورأى مواقف المهدي من الزنادقة في العراق، واستنصاره بالعلماء للقضاء على عقيدتهم، وأدرك الحضارة العباسية في أوج عظمتها، وقد امتزجت في مبادئها الإسلامية الحضارات الفارسية، والهندية، والرومانية.

وتمثل حياته في العهد الأموي فترة تكوين عقله وتفكيره وآرائه خلال أربعين سنة، وتمثل حياته بعد أن بلغ أشده في العهد العباسي فترة انتاجه، والاستفادة من علمه، وتبادل ثمرات الفكر مع الصحاب وتكوين التلاميذ[١].

٢- نسبه:

هو أبو عبدالله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر من قبيلة ذي أصبح اليمنية، ولد عام ٩٣هـ بالمدينة المنورة، وتوفى بها عام ١٧٩هـ.

---

(١) التشريع والفقه في الإسلام، تاريخاً ومنهجاً، للشيخ مناع القطان:٢٨٣.

٢- صفاته:

كان الإمام طويلاً جسيماً، شديد البياض إلى الشقرة، عظيم الهامة، حسن الصورة أصلع، أعين، أشم، أزرق العينين.

٤- شيوخه:

وأكرمه الله بمدينة النبي صلى الله عليه وسلم وتتلمذ على يد علمائها من التابعين وتذكر مصادر التاريخ إنه أخذ العلم عن تسعمائة شيخ: ثلاثمائة من التابعين، وستمائة من تابعيهم ونذكر أشهر شيوخه، ومن كان له الاثر الظاهر في حياته وحديثه وفقهه وهم : ابن هرمز، ونافع مولي ابن عمر، وزيد بن أسلم، والزهري، وابو الزناد، وعبدالرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وأيوب السختياني، وهشام بن عروة ويحيى بن سعيد الأنصاري، وعامر بن عبدالله بن الزبير بن العوام وغيرهم كثير من سادات التابعين.

٥- تصنيفه للموطأ:

عزم الإمام مالك على تصنيف الموطأ، وقرر أن يقوم بجمع كتاب يحتوي أبوابه صحاحَ الأخبار وعمل أهل المدينة في أبواب الفقه، ثم إنه صنفه في مدة طويلة، فعمل من كان في المدينة يومئذ من العلماء الموطآت، فقيل لمالك، شغلت نفسك بعمل هذا الكتاب، وقد شركك فيه الناس، وعملوا أمثاله، فقال إيتوني بما عملوا، فأتى بذلك فنظر فيه وقال لتعلمن أنه لايرتفع إلا ما أريد به وجه الله تعالى، قال ابن عبدالبر : فكأنما ألقيت تلك الكتب بالآبار وماسمعت لشيء منها بعد ذلك بذكر، ولهذا لا يذكر الموطأ إلا ذكر معه مالك. وقد ذكر العلماء كتاب الموطأ بخير، وأثنوا عليه في كلامهم.

٦- عقيدة الإمام مالك:

هي عقيدة أهل السنة والجماعة، استوحاها من كتاب الله تعالى ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومما عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين، وكان يقول: (من طلب الدين بالكلام تزندق، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس، ومن طلب غريب الحديث كذب)، ولقد علم الكثير مما عليه أهل الأهواء وكان من أعلم الناس بما اختلفوا فيه من ذلك دون أن يدخل عليه شيء مما قالوا، بل كان من أشد الناس عليهم، وكان من الكبار الذين حصنوا دين الأمة، وحارب من حاول أن يُدْخِلَ على الدين مالم يأمر به الله، وإذاع بين الناس العقيدة السليمة التي هي صراط الله المستقيم، وحذرهم سبيل الانحراف والأهواء، ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾(الأنعام : ١٢٤). وله في أكثر أبواب العقيدة كلام يؤيد فيه عقيدة السلف ويبطل فيه عقيدة المبتدعين لا على طريقة المتكلمين، بل على ما أتى به الكتاب المبين، وكان أبعد الناس من مذاهب المتكلمين، وألزمهم لسنة السالفين من الصحابة والتابعين.

٧- من حكمه القيمة:

ذكر الإمام مالك أصناف الناس في طلب العلم فقال: رجل علم فعمل به، فمثله في كتاب الله قوله تعالى: ﴿ انما يخشى الله من عباده العلماء﴾(فاطر:٢٨) ورجل علم به ولم يعمله فمثله في كتاب الله : ﴿الذين يكتمون ماأنزلنا من البينات والهدى﴾(البقرة:١٢٩) ورجل علم علماً وعَلَّمَهُ، ولم يعمل به فمثله في كتاب الله :﴿ إن هم إلا كالأنعام﴾(الفرقان:٤٤) وقيل لمالك ابن أنس : ماتقول في طلب العلم ؟ قال: حسن جميل. ولكن انظر الذي يلزمك

من حين تصبح إلى حيـن تمسي فالزمـه. وقـال الإمـام مـالك ليـس العلـم بكـثرة الرواية، وإنما العلم نور يضعه الله في القلوب.

٨- هيبة الإمام مالك:

جدير بمن يحمل علم الكتاب والسنة أن يكون عزيزاً في عيـون الآخريـن إن كان بالكتاب والسنة عاملاً مخلصاً لله ودينه، وحري بمن كان فـي مكانـة مـالك أن يجعل الله له هيبة في نفوس الآخرين. قال سعيد ابن أبي مريم:ما رأيت أشـد هيبة من مالك لقد كانت هيبته أشد من هيبة السـلطان. وقـال الشـافعي : مـاهبت أحداً قط هيبتي مالك ابن أنس، حين نظرت إليه) [١].

وكان سفيان الثوري في مجلسه، فلمـا رأى إجـلال النـاس لـه وإجلالـه للعلـم أنشد قولة مصعب بن عبدالله في مالك:

يدع الجواب فلا يراجع هيبـــــةً   والسائلون نَوَاكِسُ الأذقـــــان

عِزُّ الوَقارِ ونُورُ سلطـــان التُّقَى   فهو المَهيبُ، وليس ذا سُلطان [٢]

والحق ان الله رفع قدر مالك، لهمته واخلاصه في نشر كتاب اللـه، وحديـث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولسيرته المباركة.

٩- وفاته:

مرض الإمام مالك، وشهد شهادة الحق في سكرات الموت ثم قال: لله الامـر من قبل ومن بعد. وكانت وفاته في حادي عشر ربيع الأول سنة تسـع وسـبعون

---

(١) انظر الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة لعبدالغني الدقر: ٢١-٣٣٩.

(٢) انظر سير أعلام النبلاء : ٨/١١٣-١٣٠.

لتمام اثنين وعشرين يوماً من مرضه رحمه الله رحمة واسعة[1].

ومما جعل المغاربة يهتمون بمذهبه ويقدمونه على غيره أمور كثيرة نذكرها في الصفحات القادمة ان شاء الله تعالى وهناك مسألتان تحتاجان إلى توضيح وهما أن التعصب للرجال أمر لايقره الدين بل يحرمه ويمنعه فنحن لا ندعو للتعصب وإنما ندعو إلى التمسك بالكتاب والسنة وعقيدة أهل السنة والجماعة إجمالاً وتفصيلاً. والأمر الثاني يجب ان نحترم العلماء والدعاة وأصحاب الفضل والسبق ونعلم كذلك أن الطعن فيهم لا يقدم الأمة ولا يوحد صفوفها ضد عدوها، كما أن لحوم العلماء مسمومة وسنة الله في هتك منتقصهم معلومة فإني أحذر المسلمين من الإفراط والتفريط وأدعوهم إلى التوسط والاعتدال.

---

(١) انظر سير أعلام النبلاء : ٨/١١٣-١٣٠.

<u>المبحث الثالث</u>

<u>أسباب انتشار المذهب المالكي في الشمال الإفريقي</u>

عزا الباحثون في انتشار المذهب المالكي في الشمال الإفريقي إلى عدة أسباب منها:

١- شخصية صاحب المذهب نفسه، لما عرف عنه من تمسكه بالسنة ومحاربة البدعة، وتشبثه التام بآثار الصحابة والتابعين واستجماعه أدوات الإمامة ... مما دفع الناس للاقتداء بمنهجه وطريقته في فهم الكتاب والسنة فما من مسألة عرضت عليه، إلا التمس لها حلاً في الكتاب والسنة، فإن لم يجد ذهب إلى القياس الصحيح، فإذا لم يجد اعتذر من الافتاء والحكم، واكتفى بجملته المحببة لديه: لا أدري. وللأثر الوارد في شأن عالم المدينة، الذي حمله بعض العلماء عليه، وهو قوله صلى الله عليه وسلم :"يُوشِكُ أنْ يَضْرِبَ النـاسُ أكبادَ الأبلِ في طلبِ العلمِ، فلا يَجِدونَ عالماً أعلمَ مِنْ عالمِ المدينةِ"(١) قال سفيان بن عيينه: كنا نسمع أهل المدينة يقولون إنه مالك بن أنس(٢).

فمالك كان عند العلماء ثقةً مأموناً ثبتاً فقيهاً ورعاً حجةً عالماً وهذه الصفات هي التي حببته إلى الشمال الإفريقي، وأكسبته ثقتهم، لما رجع طلابه يصفون فضله وسعة علمه، واستقامة سيرته، وجلال قدره، ولذلك كان طلبة

---

(١) انظر تفاصيل هذه النقطة في المدارك للقاضي عياض: ٦٨/١.

(٢) انظر التمهيد لابن عبدالبر:٦-٣٥.

العلم يقطعون إليه آلاف الأميـال يسـألونه، ويـأخذون عنـه، فـاتفقت آراؤهـم مـع آرائه، وأصبح المثل الأعلى لطلابه الذين تتلمذوا على يديه.

٢- ومنهم من يرد ذلك إلى ملاءمة مذهبه لطبيعة المغاربة، ذلك ان المذهب المالكي مذهب عملي يعتد الواقع، ويأخذ بأعراف الناس، وعاداتهم، فقهه عملي اكثر منه نظري، يتمشى مع طبيعة الفطرة في بساطتها ووضوحها، دون تكلـف وتعقيد، وأهل الشمال الإفريقي يميلون بطبعهم إلى البساطة والوضـوح ويفـرون من النظريات المتطرفة، والتأويلات البعيدة المتكلفة[١].

واختيار المغاربة إذن لمذهـب مـالك، هـو اختيـار مذهـب أهـل السـنة، وفقـه الصحابة والتابعين، وهذا كان له تأثير خاص في نفوس المغاربة، ومن ثـم كـان فقهاؤهم يبايعون الأمراء على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبالإضافة إلى ان المدينة مصدر العلوم الإسلامية كلها، فيهـا نشـأت ونضجـت، ثم عنها تفرعت إلى بقية الأقطار الإسلامية الأخرى، والمدينة كما نعلم لهـا فـي نفوس أهل الشمال الإفريقي مكانة خاصة .

٣- وبعضهم يرجع سبب انتشار مذهـب الإمـام مـالك فـي الشـمال الإفريقـي لموقف الإمام سحنون المالكي الذي وقف موقـف الإمـام أحمـد فـي مسـألة خلـق القرآن وقف ضد إمـراء الأغالبـة ممـا جعـل النـاس يميلـون إلـى مذهـب الإمـام سحنون الذي يعتبر من علماء المالكية في الشمال الإفريقي.

٤- ومنهم مـن يـرد ذلـك إلـى موقـف بعــض السـلاطين، إذ يذكــر بعــض المؤرخين أن مالكاً سأل بعض الأندلسيين عن سيرة ملك الأندلس، فوصـف لـه سيرته قائلاً : إنه يأكل الشعير ويلبس الصـوف، ويجـاهد فـي سـبيل اللـه، فقـال مالك: ليت الله زين حرمنا بمثله فوصل الخبر إلى ملـك الأندلـس فحمـل النـاس

(١) محاضرات في تاريخ المذهب المالكي، للدكتور عمر الجيدي: ٣٠.

على مذهبه، وترك مذهب الأوزاعي.

وذهب ابن حزم إلى أن قوة السلطان كان لها أثر في نشر المذهب المالكي في الأندلس وهذا رأي لا يقبل على اطلاقه.

٥- تشابه البيئة في كل من الحجاز وبلاد المغرب، وهذا الرأي ذهب إليه العلامة ابن خلدون الذي يرى أن البدواة كانت غالبة على أهل المغرب والأندلس ولم يكونوا يعانون الحضارة التي لأهل العراق، فكانوا إلى أهل الحجاز أميل لمناسبة البدواة، ولهذا لم يزل المذهب المالكي غضاً عندهم ولم يأخذه تنقيح الحضارة وتهذيبها كما وقع في غيره من المذاهب[١].

وهذا رأي مردود إذ لو صح السبب في أن البيئة تؤثر في اعتناق الناس لمذهب لحافظ المذهب المالكي على مكانته في الحجاز كما ان الأندلس ازدهرت في الحضارة ازدهاراً رائعاً جميلاً.

٦- وهناك سبب آخر يراه ابن خلدون -وهو محق في هذا - إنه كان عاملاً اساسياً في انتشار المذهب وهو:رحلة المغاربة إلى الحجاز غالباً[٢].

٧- بعضهم ذهب لكون الأمويين في الأندلس والأدارسة في المغرب وغيرهم من أهل الشمال الإفريقي ضد تيار الخوارج الجارف لذلك عمل حكام هذين القطرين على ترسيخ مذهب مالك لإبطال مذهب الخوارج[٣].

٨- قوة رجالات المذهب من الفقهاء فبقدر ما يكون اتباع المذهب أقوياء متضلعين في العلوم ولهم قدرة على استنباط الأحكام واستخراجها بقدر ماشاع المذهب وانتشر[٤].

---

(١) مقدمة ابن خلدون :٢٤٥.

(٢) المرجع السابق : ٢٤٥.

(٣) محاضرات في تاريخ المذهب المالكي : ٣٧-٣٨.

(٤) المرجع السابق.

المبحث الرابع

أصول مذهب الإمام مالك

عمد تلاميذ مالك إلى كتابه الموطأ واستخرجوا منه مايصح أن يكون أصولاً لاستنباط الفروع، ويمكن ايجازها فيما يلي:

١- القرآن الكريم:

كان مالك يرى أن القرآن الكريم قد اشتمل على كليات الشريعة، وإنه عمدة الدين، وآية الرسالة، ولم تكن نظرته إليه كنظرة الجدليين، فلم يخض فيما خاض فيه المتكلمون من إنه لفظ ومعنى، أو معنى فقط، وهو عنده اللفظ والمعنى، كما هو إجماع من يعتد بهم من المسلمين، وروي إنه كان يقول : إن من يقول بأن القرآن مخلوق فهو زنديق يجب قتله، ولذا لم يعتبر الترجمة قرآناً يتلى تجوز به الصلاة بل هي تفسير أو وجه من وجوه المعنى المعقول، وهو يأخذ بنص القرآن، وظاهره ومفهومه، ويعتبر العلة التي يأتي التنبيه عليها.

٢- السنة:

ومالك من أئمة الحديث، كما أنه إمام في الفقه، ورجال الحديث يشهدون له بذلك، وهم يعتبرون سنده في بعض أحاديثه أصح الأسانيد، ويسميها المحدثون بالسلسلة الذهبية.

ومع ان مالكاً يشدد في قبول الرواية، إلا إنه كان يقبل المرسل من الأحاديث، مادام رجاله ثقات، وفي موطئه كثير من المرسلات، ومن منقطع الإسناد ومن البلاغات التي يقول فيها مالك: بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كذا، وهذا يدل على أنه لم يلتزم الإسناد المتصل في أحاديثه كلها، وكان يكفيه أن يطمئن إلى صحة الحديث . وقد اختلفوا في تقديم القياس على خبر الواحد، والمشهور في ذلك إنه كان يقدم خبر الواحد على القياس.

٣- عمل أهل المدينة:

ذهب مالك إلى أن المدينة هي دار الهجرة، وبها تنزل القرآن، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام صحابته، وأهل المدينة أعرف الناس بالتنزيل، وبما كان من بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم للوحي، وهذه ميزات ليست لغيرهم، وعلى هذا فالحق لايخرج عما يذهبون إليه، فيكون عملهم حجة، يقدم على القياس، وعلى خبر الواحد وفي كتاب الإمام مالك إلى الليث بن سعد: "إن الناس تبع لأهل المدينة التي اليها كانت الهجرة وبها تنزل القرآن".

٤- قول الصحابي:

ويرى مالك في مذهبه أنه إذا لم يرد حديث صحيح في المسألة عن النبي صلى الله عليه وسلم فإن قول الصحابي إذا لم يعلم له مخالف، يكون حجة، وقد ضمن الموطأ العديد من أقوال الصحابة والتابعين، فالصحابة أعلم بالتأويل، وأعرف بالمقاصد، لإنهم حضروا التنزيل، وسمعوا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقولهم أولى بالأخذ، يخص به العام، ويترك لأجله

القياس.

ولكن مالكـــاً يقـدم عمـل أهـل المدينـة علـى قـول الصحـابي، فقد روى فـي الموطأ ان عمر بن الخطاب "قـرأ سـجدة وهـو علـى المنـبر يـوم الجمعـة فـنزل وسجد فسجد الناس معه، ثم قرأها يـوم الجمعـة الأخـرى فتهيـأ النـاس للسـجود، فقال : على رسلكم إن الله لم يكتبها علينا إلا أن نشـاء، فلـم يسـجد، ومنعهـم أن يسجدوا".

فعمر يجيز للإمام إذا شاء ان ينزل مـن علـى المنـبر إذا قـرأ سـجدة ليسـجد، ويعلق مالك عليه بقوله:"ليس العمل على أن يـنزل الإمـام إذا قـرأ السـجدة علـى المنبر فيسجد" وحين تتعدد أقوال الصحابة في المسألة الواحدة فإن مالكـاً يختـار منها ما يتفق مع عمل أهل المدينة.

يروى أن زيد بن ثابت قال :"الصلاة الوسـطى صـلاة الظهـر "وإن عليّـاً بـن أبي طالب، وعبدالله بن عباس كانا يقولان:"الصلاة الوسـطى : صـلاة الصبـح" ثم يقول مالك وقول علي وابن عباس أحب ما سمعت إلي في ذلـك...كمـا روي عن عدد من الصحابة أن الصلاة الوسطى صلاة العصر.

٥- المصالح المرسلة:

والعمل بالمصالح المرسلة أسـاس مـن الأسـس التـي اعتمـد عليهـا مـالك فـي مذهبـه، وهـي :جلـب منفعـة، أو دفـع مضـرة لـم يشـهد لهـا الشـرع بإبطـال ولا باعتبـار معين، لأن تكـاليف الشـريعة ترجـع إلـى حفـظ مقاصدهـا فــي الخلـق، ضرورية كانت أم حاجية، أو تحسينية والضروريـة : هـي التـي لابـد منهـا فـي قياس مصالح الدين والدنيـا فـي الضروريـات الخمـس الثابتـة فـي الملـل جميعـاً وهي:

حفظ الدين، والنفس، والنسل، المال، والعقل. والحاجية: هي التي تؤدي إلى رفع الضيق والحرج والمشقة. والتحسينية : هي المتعلقة بمكارم الأخلاق . وكون هذه المعاني مقصودة عُرِفَ بأدلةٍ كثيرة لا حصر لها من الكتاب والسنة، مما يدل على مقاصد الشرع، ولذا ذهب مالك إلى أن هذه المصلحة تكون حجة.

واعتبر بعض الباحثين القول بالمصلحة من خصوصيات مذهب مالك، وذكر الشاطبي في الاعتصام : أن مالكاً يذهب إلى اعتبارها، ويكثر من بناء الأحكام عليها، ومن أمثلة عمل مالك بالمصالح المرسلة، ماقاله في الزعفران المغشوش إذا وجد بيد الذي غشه، حيث قال : إنه يتصدق به على المساكين قل أو كثر.

ويقول الشاطبي: إنه يماثل إراقة عمر للبن المغشوش بالماء، ووجه ذلك التأديب للغاش، وهذا التأديب لا نص يشهد له، ولكن من باب الحكم على الخاصة لأجل العامة .

ومن ذلك إجازة بيعة المفضول مع وجود الأفضل إذا خيف اضطراب أمور الناس وعدم إقامة مصالحهم إذا لم يبايع المفضول عندئذ.

٦- القياس:

حيث لايوجد نص من كتاب أو سنة، أو قول صحابي، أو إجماع من أهل المدينة فإن مالكاً كان يجتهد ويستعمل القياس في اجتهاده، فقد جاء في الموطأ: سئل مالك عن الحائض تطهر فلا تجد ماءً هل تتيمم؟ قال: نعم، لتتيمم فإن مثلها مثل الجنب إذا لم يجد ماء تيمم.

فمالك هنا يقيس الحائض حين تطهر على الجنب في التيمم، عند فقد الماء الذي ثبت بالنص القرإني في قوله تعالى: ﴿ أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء

فتيمموا صعيدا طيبا﴾ ولهذه المسألة نظائر في القياس عند مالك.

٧- سد الذرائع:

الذرائع، جمع ذريعة، عرفها القرافي في الفروق بأنها: هي الوسيلة إلى الشئ وعرفها الشاطبي في الموافقات بأنها: التذرع بفعل جائز إلى عمل غير جائز.

وعامة ما ورد في معناها يؤول إلى: ما كان ظاهره الإباحة ويتوصل به إلى فعل محظور والمراد بسد الذريعة، الحيلولة دونها، والمنع فيها، لأن مايؤدي إلى المفسدة - وإن كان مباحاً - يكون مفسدة، فيجب الامتناع عنه، ودرء المفأسد مقدم على جلب المصالح.

وقد أكثر مالك إكثارا شديداً من العمل بسد الذرائع حتى اعتبر بعض العلماء العمل بها من خصوصيات مذهبه، يقول الشاطبي في الاعتصام: وكان مالك رحمه الله شديد المبالغة في سد الذرائع[١].

---

(١) التشريع والفقه في الإسلام، للشيخ مناع القطان: ٢٩١-٢٩٤.

الفصل السابع

دولة الأغالبة

توطئة:

نظراً لكثرة الفتن والانتفاضات في إفريقية - كما تقدم - لم تجد حكومة الخلافة بدّا من أن تعهد بحكم البلاد لعائلة من عرب إفريقية، تكفيهم مؤونة تلك الفتن التي طالما شغلتهم، ويكون لها حرية التصرف داخل البلاد، من التبعية لدولة الخلافة، فكان أن كلف الرشيد بهذه المهمة إبراهيم بن الأغلب بن سالم التميمي (ت١٨٤-١٩٦هـ)، الذي كان يتمتع بشجاعة نادرة، وثقافة عالية، بالإضافة إلى معرفته بشؤون إفريقية، فإن أباه الأغلب قد تولى حكم القيروان (١٤٨-١٥٠هـ) كما كان هو عاملاً على الزاب.

لقد دامت الدولة الأغلبية بإفريقية ما يزيد عن قرن من الزمان، يعتبر من أزهى عصور هذه البلاد في المجال العلمي، وفي مجال الحضارة والعمران والأمن والاستقرار. فقد تخلصت هذه الدولة من فتن الخوارج، حيث أسس الصفرية دولتهم بسجلماسة (١٤٠-٢٩٦هـ) وأسس الإباضية دولتهم بتيهرت الجديدة (١٦١- ٢٩٧هـ) واهتمت كل من الدولتين بشؤونها الداخلية، ومالتا إلى السلامة غالبا، إذا استثنينا بعض المحاولات الفاشلة التي لم تشكل خطراً على الأغالبة، إلا أن نوعاً آخر من الثورات عرفه العهد الأغلبي، وقد تمثل في الثورات المتتالية التي قام بها قادة الجند، الذين رأوا لأنفسهم حقاً في مشاطرة الأغالبة الحكم، وكان منبت هذه الثورات في تونس غالبا، وأحياناً في طرابلس،

وأخطرها ثورة عمران بن مجالد الربعي سنة ١٩٤هـ، وهو قائد إبراهيم بن الأغلب ووزيره، وقد تمكن من الاستيلاء على القيروان لمدة سنة كاملة قبل أن ينجح إبراهيم في إخماد ثورته، كما ثار على زيادة الله بن إبراهيم (٢٠١-٢٢٣هـ) كبير قادته منصور بن نصر الطُّنبذي سنة ٢٠٩هـ، وتمكن من السيطرة على معظم إفريقية واستولى قادة الجيش على المدن، ولم يتمكن زيادة الله من إعادة الأمور إلى نصابها إلا بعد أربعة أعوام سنة ٢١٣هـ.

وأما الثورات الأخرى فلم تكن ذات بال، وبذلك تمكن أمراء الأغالبة من تمهيد البلاد، واهتموا بالغزو الخارجي ففتحوا صقلية (٢١٢هـ) ومالطة وسردإنية وسرقوسة (٢٦٤هـ) حتى وصلوا إلى روما، كما اعتنوا بالناحية العمرانية، فأسسوا عدة مدن كالعباسية (١٨٥هـ) ورقادة (٢٦٣هـ) وبنوا المحارس والحصون وقصور الرباط ومراجل المياه[1].

---

(١) مدرسة الحديث في القيروان: ٦٣/١-٦٤.

المبحث الأول

إبراهيم بن الأغلب

مؤسس الدولة الأغلبية هو إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمي، ووالده الأغلب الذي كان من جند مصر أصله من أهل مرو الروذ، بمعنى إنه كان من الجند الخراساني الذي وفد مع القوات العباسية إلى مصر، وأصبح من جندها(١).

ودخل الأغلب إفريقية في قوات محمد بن الأشعث سنة ١٤٤هـ /٧٦١م، وعهد إليه المنصور بولاية إفريقية في أواخر سنة ١٤٨هـ أواخر ٧٦٥م ومات برمية سهم في سنة ١٥٠هـ، ٧٦٧م، ولهذا عرف بـ الشهيد. وكان إبراهيم حين مات والده ابن عشر، وكان إبراهيم قد قضى صباه في الدرس والتحصيل بالفسطاط، وأنه كان يحضر مجالس فقيه مصر الأشهر الليث بن سعد، وقد أعجب الليث بجد إبراهيم واجتهاده، وبما تميز به من الصفات حتى قال يوماً عنه: (ليكونن لهذا الفتى شأن) وعندما بلغ مبلغ الشباب دخل في جند مصر، وكان عليه أن يسير إلى المغرب مثل والده فشد رحاله إلى إفريقية تاركاً أهله بمصر(٢).

وقال في ذلك شعراً ذاكراً فيه زوجته:

---

(١) تاريخ المغرب للدكتور سعد زغلول: ٢/٢٧-٢٨.

(٢) المصدر السابق نفسه.

ماسرت ميلاً ولا جاوزت مرحلةً

إلا وذكرك يثني دائمـــــاً عنقي

ولاذكرتـــــــك إلا بت مرتقباً

أرعى النجوم كأن الموت معتنقي

وكـان مـاضي العـزم، قـوي الإرادة، صـائب الـرأي، شـجاعاًمقداماً وعالمـاً وخطيباً، وشاع ذكره بين الناس، واتجهت إليه أنظـارهم وقـد وقـع عليـه اختيـار هارون الرشيد فولاه الزاب.. والزاب يطلق على عدة بلدان بجوار بسكرة، وكل منها يكون قرى متجاورة، فاضطلع بالأمر، وأحسـن السـيرة، ورضيتـه الكافـة، واستقل بالولاية غير منازع، وتوارثها بنوه خلفاً عن سلف، وتولى ولاية إفريقيا بعد العكي بعد أن رفع أهالي إفريقيا رغبتهم إلى الرشيد فـي تعييـن إبراهيـم بـن الأغلب، فاستجاب الرشيد لهذه الرغبة وولى إبراهيـم بـن الأغلـب، وقـد اشـترط إبراهيم لنفسه شروطاً أقره عليها الرشيد ونفذها له، وهي ثلاثة شروط:

أولا: أن يستقل بإدارة شؤون إفريقية الداخلية عن الخليفة.

ثانيا: أن يتولى إمارة إفريقية ذريته من بعده (بطريق الوراثة).

ثالثا: ألا يدفع الإعانة التي كانت تدفعها إفريقية لمصـر، وقدرهـا مائـة ألـف دينار، واشترط على نفسـه أن يدفـع للخليفـة خراجـاً سـنوياً قـدره أربعـون ألـف دينار، فوافقه الرشيد على ما طلب، وولاه أميراً على إفريقية في جمادى الآخرة سنة ١٨٤ وهو أول أمير من بني الأغلب على إفريقيـة، وأول مـن جعـل إمـارة إفريقية وراثية في ذريته في العهد الإسلامي.

بنـى مدينـة القصـر سـنة ١٨٥هـ علـى ثلاثـة أميـال مـن القـيروان وسـماها العباسية ولها الآن بقايا آثار تعرف بقصور الأغالبة. وفي هذه المدن كان سفيان ابن أبي المهاجر عاملاً على طرابلس من مدة هرثمة فأقره إبراهيم بن الأغلـب،

ويظهر أن أهل طرابلس كانوا غير راضين عن سفيان بن أبي المهاجر فدبروا الثورة ضده وثاروا عليه سنة ١٨٩هـ بزعامة إبراهيم بن سفيان التميمي، وأخرجوه من داره وقتلوا أصحابه وأمنوه على أن يخرج من طرابلس فخرج[١].

- إبراهيم بن سفيان التميمي

وولى أهل طرابلس عليهم إبراهيم بن سفيان التميمي، وما كان إبراهيم الأغلب ليقر هذا العمل من أهل طرابلس فهاجم طرابلس واستولى عليها، وقبض على إبراهيم بن سفيان، فعاهده على الطاعة، فعفا عنه، وأقره على عمله بطرابلس[٢].

واستطاع إبراهيم بن الأغلب أن يقمع أهل الشر في الشمال الإفريقي وأن يضبط أهلها لمدة ١٢ اثنتي عشرة سنة واشتهر بعدله وبحسن سياسته ورفقه بالرعية.

- وفاة إبراهيم بن الأغلب:

توفي في أواخر شوال سنة ١٩٦هـ أوائل يوليه ٨١٢م وله من العمر ٥٦ (ستة وخمسون سنة) بعد ولاية استمرت أكثر من ١٢ سنة بدأت بعهد الرشيد إليه بإفريقية سنة ١٨٤هـ ٨٠٠م واستمرت بعد ذلك بإقرار الخليفة المأمون له في سنة ١٩٣هـ ٨٠م[٣].

---

(١) تاريخ الفتح العربي في ليبيا، الظاهر الزاوي:٢٠٧.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) تاريخ المغرب العربي :٢/٢٩.

- عبدالله بن إبراهيم الأغلب:

كنيته أبو العباس، ولاه والده على طرابلس سنة ١٩٦هـ، فثار به جندها فأخرجوه منها، ثم جمع لهم من انضم إليه من البربر وغيرهم، وأعاد الكرة عليهم فغلبهم واستولى على طرابلس، ولكن والده مالبث أن عزله وولي بدله سفيان بن أبي المهاجر للمرة الثانية.

- سفيان بن أبي المهاجر:

تولى ولاية طرابلس للمرة الثانية، إلا إنه في المرة الأولى كان معيناً من قبل هرثمة بن أعين. وكانت قبيلة هوارة البربرية قبيلة كبيرة الأفخاذ، ذات عدة وعداد وشوكة وقوة ومنعة، وكانت منازلها مضروبة حول مدينة طرابلس، وكانت تدين بالمذهب الإباضي وكانوا خاضعين لأبي المنصور صاحب جبل نفوسة الذي كان تابعاً لإمامة الإباضية بتيهرت وبعضها كان خاضعاً لحكم الأغالبة بمدينة طرابلس. وقد وقع بينهم وبين سفيان بن أبي المهاجر قتال وصراع وأصر الإباضية على نزع طرابلس ويجعلونها تابعة لصاحب جبل نفوسة، فخرج إليهم سفيان بن أبي المهاجر بعسكره، والتقى بجموعهم في وادي الرمل، فتغلبوا عليه ورجع الجند إلى طرابلس منهزمين، فتبعه هوارة وحاصروا المدينة ثم اقتحموها فخربوها وهدموا أسوارها.

قال ابن خلدون: (وتولى كبر ذلك منهم عياض ووهب وبلغ الخبر إبراهيم ابن الأغلب بتونس، فأرسل ابنه عبدالله في جيش كبير، فاسترد المدينة من هوارة وجدد السور...) ولم تهدأ ثائرة هوارة. وإزاء ما لاقوه من شدة عبدالله الأغلب استغاثوا بعبدالوهاب بن رستم إمام الإباضية بتيهرت، ولبى لهم طلبهم وحاصروا ابن الأغلب في المدينة وقد بذل كل جهده في الاحتفاظ بها وفي أثناء

الحصار قتل مهدي النفوسي.

وأثناء حصار عبدالله بن الأغلب في طرابلس بلغه وفاة أبيه إبراهيم فصالح ابن رستم على أن تكون المدينة - داخل السور - والبحر لعبدالله الأغلب وخارج السور إلى سرت لعبد الوهاب ابن رستم. وبهذا أصبحت جميع الأراضي الطرابلسية داخلة تحت حكم الإباضية ما عدا المدينة داخل السور بقيت تحت حكم عبدالله بن الأغلب[1].

ولم يستقيم أمر عبدالله بن الأغلب بعد أبيه لإنه كان سيئ السلوك جائراً في الحكم، وقد وعظه بعض الأخيار من علماء زمإنه فلم يتعظ، وكان المتكلم أمام الأمير عبدالله صالح إفريقيا وقتئذ حفص بن حميد حيث قال: أيها الأمير اتق الله في شبابك وارحم جمالك، واشفق على بدنك من النار، وطلب منه أن يخفف الضرائب على الرعية وأمره أن يأخذ فيهم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم إلا أن الأمير أعرض صفحا عن ذلك النصح الصادق فقال حفص عند رجوعه إلى مسكنه قد يئسنا من المخلوق، فلا نيأس من الخالق: فاسألوا المولى وتضرعوا إليه في زوال ظلمه عن المسلمين فإن فتح في الدعاء، فقد أذن في الإجابة، وتوضؤوا وساروا إلى مصلى دعوا الله بعد الصلاة أن يكف عن المسلمين جور أبي العباس، وأن يريحهم من أيامه فاستجاب الله دعاء الصالحين، وأصيب الأمير عبدالله بقرحة تحت إذنه لم يستطيع أن يقاوم ضرها إلا لخمسة أيام فقط، كما غيرت لون بشرته البيضاء وكان من أجمل أهل زمإنه حتى عندما كشفت عنه ثيابه للغسل، كان كإنه عبد أسود واعتبر الناس أن ذلك كان عقاباً من الله للأمير الظالم، وكانت وفاته سنة

(١) تاريخ الفتح العربي في ليبيا : ٢١٠-٢١١-٢١٢.

٢٠١هـ من سنة ذي الحجة ٢٤ يونيه ٨١٧م بعد ولاية لم تزد عن خمس سنوات إلا بشهرين[1].

قلت: والدعاء على الظلمة من المظلوم سلاح عظيم لو أحسن المسلمون استعماله لفتحت لهم أبواب من الرحمة كثيرة. قال الشاعر:

اتهزأ بالدعاء وتزدريه
ولاتدري بما صنع الدعاء
سهام الليل لاتخطي ولكن
لهـــا أجل وللأجل انقضاء

- زيادة الله بن الأغلب:

هو زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب. وكنيته أبو محمد، وهو زيادة الله الأول اشتهر بكثرة الحروب ضد من شق عصا الطاعة عنه، تولى ولاية إفريقية في عهد المأمون بن الرشيد، وبويع له يوم الجمعة لسبع بقين من ذي الحجة سنة ٢٠١هـ بعد وفاة أبيه بأيام، وجاءه التقليد من المأمون، وكان أعلم أهل بيته، فأحسن والده تربيته، وشغل مجلسه بالعلماء، فبرع في العربية وآدابها. وحظيت إفريقية في أيامه بحظ وافر من العمران حتى بلغ خراجها ثلاثة عشر ألف مليون من الدراهم. وقد ابتلى باللهو والإسراف في الملذات، فساءت سيرته مع جميع الناس حتى مع جنده فثاروا عليه، في سنة ٢٠٢هـ وهرب أخوه الأغلب إلى المشرق خوفاً منه.

وزيادة الله هذا هو الذي أسند قضاء إفريقية إلى أسد بن الفرات صاحب

---

(١) تاريخ المغرب العربي : ٢/٤٢-٤٣.

مالك بن أنس، وولاه قيادة الجيش الذي أرسله لغزو صقلية، وفتحها سنة ٢٢٢هـ وفي صقلية يقول ابن حمديس:

ذكرت صقلية والهوى يهيج للنفس تذكارها

فإن كنت أخرجت من جنة فإني أحدث أخبارها

وضاق الناس ذرعاً باستهتار زيادة الله، وثارت عليه جميع النواحي، وتقلع حكمه عن إفريقية ما عدا طرابلس وقابس والقيروان فتمسكوا به ولم يقطعوا عنه الجباية، وكان يشعر بإسرافه في المعاصي فيسلي نفسه بقوله: (ما أبالي ما قدمت عليه يوم القيامة وفي صحيفتي أربع حسنات: بنيان جامع القيروان، وقنطرة أبي الربيع، وحصن مدينة سوسة، وولاية أحمد بن أبي محرز قضاء إفريقية) [1].

- عفوه عن أعدائه:

وفي سنة ٢١٩هـ أعلن زيادة الله العفو عن كل من شارك في الخروج عليه في ذلك العام من أهل تونس وإفريقية فاستجاب له أهل المنطقة وركن الإقليم إلى الهدوء والسكينة. وكان من بين من استأمن عبدالرحمن وعلي أبنا أبي سلمة، وابو العزاف وكانوا شعراء فصحاء، فمدحه عبدالرحمن بقصيدة ارتاح لها الأمير وعندما قام شاعر الأمير يعقوب بن يحيى، يحرضه على بني سلمة وأبي العزاف، بأبيات يقول فيها:

تسمع أيها الملك المعان قوافي في معانيها البيان

يتم أمات من خضب العوالي وليس لشاعر أبداً أمان

---

(١) تاريخ المغرب العربي في ليبيا : ٢١٤-٢١٥.

لأن قوافي الأشعار تبقـــــي على الأيام ما بقي الزمان
وقد يرجى لجرح السيف برء ولابرء لما جرح اللســان

فلم يلتفت إليه زيادة الله وأمضى لهم أمانهم[1].

من شعر زيادة الله الذي وجهه إلى المأمون

طلب الخليفة المأمون من زيادة الله أمراً فاستاء منه زيادة الله وأرسل :

أنا النار في أحجارها مستكنة فإن كنت ممن يقدح الزند فاقـدح
أنا الليث يحمي غيله بزئيـره فإن كنت كلباً حان موتك فانبـــح
أنا البحر في أمواجه وعبابـه فإن كنت ممن يسبح البحر فاسبح

وعندما تنبه من سكره واستهول ما فعله فبعث في طلب الرسول، ولكن دون جدوى وحينئذ كتب خطاباً ثانياً يعتذر فيه عما قال[2].

- أعماله:

صرف اهتمامه إلى إسناد المناصب إلى العلماء الأذكياء وإنشاء المصانع لصنع السفن في سوسة لاستئناف الفتوح في جنوب إيطاليا لم يكن زيادة الله ليغفل مراقبة الأحوال الجارية في البلاد الإيطالية فجهز جيوشاً للجهاد في صقلية وجنوب إيطاليا وفتح حصون صقلية وكانت لبني الأغلب من بعده صولات وجولات في تلك الديار الأوربية ونشروا فيها الإسلام وأذلوا عباد الصلبان، ونقلوا حضارة المسلمين إلى الذين انغمسوا في مستنقعات متعددة وصور مظلمة في الانحراف العقدي والانحلال الخلقي والانتكاس النفسي.

---

(١) تاريخ المغرب العربي: ٢/٦٢.

(٢) المرجع السابق نفسه.

- **وفاته:**

توفي زيادة الله يوم الثلاثاء الرابع عشر من رجب سنة ٢٢٣، وعمره إحدى وخمسون سنة. ودامت ولايته إحدى وعشرين سنة وسبعة أشهر وثمانية أيام.

أولاً: الأغلب بن إبراهيم:

هو أخو زياد الله الأول، ولقبه أبو عقال ويقال له جزر.. تولى بعد أخيه زيادة الله، وأبقى سفيان بن أبي المهاجر عاملاً على طرابلس وثارت عليه قبائل زواغة ولواته من برابر طرابلس وقتلوا سفيان بن أبي المهاجر عامله على طرابلس، ومازال بالثوار حتى تغلب عليهم، وكان حسن السيرة توفي ليلة الخميس لسبع بقين من ربيع الآخر سنة ٢٢٦هـ.

ثانياً: محمد بن الأغلب:

كنيته أبو العباس، ولي بعد أبيه أبي عقال، وهو الذي أسند قضاء إفريقية إلى الإمام سحنون سنة ٢٣٤هـ، وأسند قضاء طرابلس إلى شرحبيل وفي زمن غير معلوم أُسْنِدَ قضاؤها إلى أبي العباس ابن بطريقة من أصحاب سحنون.

توفي محمد بن الأغلب لليلتين خلتا من المحرم سنة ٢٤٢، ودامت ولايته خمس عشرة سنة، وثمانية أشهر واثنى عشر يوماً وعمره ست وثلاثون سنة.

ثالثاً: أحمد بن محمد بن الأغلب:

كنيته أبو إبراهيم، ولي إفريقية بعد وفاة أبيه سنة ٢٤٢، وكان حسن السيرة[1].

---

(١) تاريخ الفتح العربي في ليبيا:٢١٦-٢١٧.

رابعاً: عبدالله بن محمد الأغلب:

ولاه أخوه أحمد عاملاً على طرابلس، وفي سنة ٢٤٥هـ ثارت برابرة طرابلس على أحمد الأغلب، ومنعوا عليه العشور والصدقات التي كانوا يؤدونها وحاصروا أخاه عبدالله في طرابلس، فجلا عنها إلى لبدة وتحصن بها، وكاتب أخاه في القيروان، واتفقا على أن يرسل كل منهما جيشاً للإطباق على طرابلس من الشرق والغرب، وكان جيش القيروان بقيادة أخيهما زيادة الله، ووقع البربر بين جيشين، والتحم الفريقان في معركة كانت حامية دامية، فهزم البربر، وقتل منهم خلق كثير، وطاردتهم الخيل فقتلت من أدركته وأسر كثير منهم فضربت أعناقهم، واستولى على معسكراتهم فأذعن من أفلت منهم من الموت وقدم الطاعة.

وتوفي أحمد يوم الثلاثاء الثاني عشر من ذي القعدة سنة ٢٤٩هـ وعمره ثمان وعشرون سنة ودامت ولايته سبع سنين، وعشرة أشهر وسبعة أيام.

خامساً: زيادة الله بن محمد الأغلب:

هو زيادة الله بن محمد الأغلب وهو زيادة الله الثاني تولى بعد أخيه أحمد وتوفي في آخر ذي القعدة سنة ٢٥٠هـ ودامت ولايته عام وسبعة أيام ولم يكن له من الأعمال ما يستحق الذكر.

سادساً: محمد بن أحمد الأغلب:

هو أبو الغرانيق تولى بعد وفاة عمه زيادة الله، وكان جواداً إلى حـ الإسراف، حسن السيرة ثم غلب عليه لهو الأمراء ولقب بأبي الغرانيق.. وه نوع من الطيور - لشغفه بصيدها - فتح جزيرة مالطة سنة ٢٢٥هـ وأ

ملكها.

وعين محمد بن قهرب عاملاً علـى برقـة.. وبنـي حصونـاً ومحـارس كثيرة على ساحل البحر، على مسافة خمسة عشر يوماً من برقة إلى جهة الغرب ومـا زالت أثارها باقية إلى اليوم وقد احتفظت له الايام بإطلاق اسمه على بئر شرقي اليهوديات بأرض سرت مـازالت تسمى أم الغرانيق، توفـي اليـوم السـابع مـن جمـأدى الأول سـنة ٢٦١هــ. ومـدة ولايتـه عشـر سـنوات، وخمسـة أشـهر ونصف[١].

سابعاً: ولاية إبراهيم بن الأغلب:

هو إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب، وهو إبراهيـم الأصغـر، ولـد يـوم عيد الأضحى سنة ٢٣٠هـ، وتولى بعد اخيه أبـي الغرانيـق وكـان أبـو الغرانيـق أوصى لابنه بالإمارة، وأن يكون أخوه إبراهيم وصياً عليه إلى أن يكـبر، ولكـن الناس طالبوا بإمارة إبراهيم لما عرفوا فيه من الحزم وحسن السيرة.

وفي أيام إبراهيم هذا غزا العباس بن أحمد بـن طولـون إفريقيـة لأخذهـا مـن الأغالبة، وقد ذكر بعض المؤرخين أن برقة كانت في سنة ٢٦١هـ تابعة لأحمـد بن طولون بمصر، وعليها محمد بن فرج الفرغاني عاملاً عليها من قبلـه، فثـار به أهلها في هذه السنة وأخرجوه منها ونقضوا عهد ابـن طولـون، فأرسـل إليهـم جيشاً مع غلامه لؤلـؤ، وأمـره بملاينتهـم، فلـم تفلـح الملاينـة، وأرسـل إلـى ابـن طولون بخبرهم فأمره بالاشتداد عليهم، فضيق عليهـم الحصـار، ونصـب عليهـم المجـانيق، فسـلموا إليـه، ودخـل البلـد، وقبـض علـى جماعـة مـن أهلهـا،

(١) تاريخ الفتح العربي في ليبيا:٢١٩-٢٣٠.

وشرع في قتلهم، واستعمل عليهم أحد الموالي ورجع إلى مصر، وكان ذلك قبل خلاف العباس على أبيه.

وقد تقدم أن أبا الغرانيق بنـي حصوناً ومحارس كثيرة على ساحل البحر على مسافة خمسة عشر يوماً من برقة إلى جهة الغرب، ويفهم من هذا أن برقة كانت لأبي الغرانيق، وسيأتي أن ابن طولون افْتَكَّ برقة من ابن قهرب عامل الأغالبة فيها وهذا يتنافى مع إنها كانت تابعة لابن طولون اللهم إلا إذا كان يملك الجزء الشرقي من برقة فيما يلي الحدود المصرية، وأن أبا الغرانيق كان يملك الجزء الغربي من برقة أجدابية وما ولاها.

ثامناً: العباس بن أحمد بن طولون:

جاء العباس بن أحمد بن طولون من مصر سنة ٢٦٧هـ أيام إبراهيم بن الأغلب آنف الذكر إلى إفريقية لأخذها من الأغالبة... ذلك أن العباس حصل بينه وبين والده أحمد ملك مصر نفور، وكان أبوه استخلفه على مصر لما توجه إلى حصار سيما بأنطاكية فانتهز فرصة غياب والده وأخذ ما في بيت مال مصر من الأموال، وكان لأبيه من الآلات وغيرها، وتوجه إلى برقة هذه رواية صاحب النجوم الزاهرة ونسب الواقعة إلى سنة ٢٦٥هـ.

وعندما وصل ابن طولون إلى برقة قاتل عامل الأغالبة ابن قهرب الذي فر إلى تونس، واستقر ابن طولون في برقة حتى رتب أموره وهيأ جنده وسار إلى طرابلس وكان ابن قهرب قد وصل إلى تونس وأخبر إبراهيم بن الأغلب بما حصل، فاستعد للقاء ابن طولون، وجهز جيشاً من ألف وستمائة فارس خيلاً جرداً لا راجل معها بقيادة ابن قهرب وأدرك به طرابلس قبل أن يصلها ابن طولون، وجمع من جيشها وبربرها جيشاً وسبقه إلى لبدة.

ووصل ابن طولون في جيش جرار، فالتقى به ابن قهرب شرقي لبدة بنحو ١٥ كم، وانجلت المعركة عن هزيمة ابن قهرب، وطاردته خيل ابن طولون إلى طرابلس فتحصن بها، ولما مر ابن طولون بلبدة خرج اليه عاملها وأهلها وأكرموه، ولكنه لم يرع حق هذا الاكرام، فأمر بنهبها فنهبت على غرة، وقتل رجالها، وانتهكت حرماتها، وفي هذه المعركة يقول ابن طولون مفتخراً بظلمه للعباد:

لله دري إذ أعدوا على فرسي	إلى اللقاء ونار الحرب تستعر
وفي يدي صارم أفري الرؤوس به	في حده الموت لايبقى ولا يذر
إن كنت سائلة عني وعن خبري	فها أنا الليث والصمصامة الذكر
من آل طولون، أما إن سألت فما	فوقى لمفتخر بالجود مفتخر
لو كنت شاهدة كري بلبدة إذ	بالسيف أضرب والهامات تبتدر
إذا لشاهدت مني ما تناقله	عني الأحاديث والأنباء والخبر

وحاصر ابن طولون طرابلس ثلاثة وأربعون يوماً لايقدر منها على شيء ونصب عليها المجانيق، وقطع عليها السبل، وقد امتدت يد جند ابن طولون إلى البوادي الذين يسكنون خارج المدينة وكانوا من البربر الإباضية ومن أتباع إلياس أبي منصور النفوسي صاحب جبل نفوسة ونالوا من حرماتهم وأموالهم، فأستغاثوا به من ظلم جيش ابن طولون.

تاسعاً: إلياس أبو منصور:

إلياس أبو منصور صاحب جبل نفوسة ورئيس الإباضية به، وهو من بلدة تندميرة، وكان غير خاضع لحكم الأغالبة، بل كان يدين بالطاعة لإمام الإباضية بتهيرت. وقد كتب إليه ابن طولون حينما كان يحاصر طرابلس :(أن أقبل

بسمعك وطاعتك، وإلا وطئت بلدك بخيلي ورجلي، وأبحت حرمك). فرد عليه إلياس:(أما إنك أقرب الكفار مني وأحقهم بمجاهدتي، فقد بلغني من قبيح فعلك ملا يسعني التخلف معه عن جهادك، وأنا على أثر رسالتي إليك). فجهز جيشاً من اثنى عشر ألف مقاتل، والتقى بابن طولون في قصر حاتم سنة ٢٦٧هـ فهُزِمَ ابنُ طولون، وتشتت شمله واستبيحت أمواله، وأخذ أهل طرابلس كل مامعه من مؤن وعتاد، ولم يأخذ البربر شيئاً من الغنائم لإنهم يرون حرمة أموال الباغين الموحدين، ويستبيحون دماءهم ماداموا محاربين لهم، ولا يستبيحونها في حال السلم.....ورجع ابن طولون إلى المشرق مهيض الجناح محطم الآمال وأرسل إليه والده جيشاً في طلبه فتفرق عنه أصحابه، وقبض عليه وأرسل إلى والده مقيداً.

وجاء إبراهيم بن الأغلب من تونس في جيش عظيم لملاقاة ابن طولون فوجوده قد انكسر جيشه، ورجع إلى المشرق.... وبحث ابن الأغلب عن أموال ابن طولون فأخذها ممن وجدت عندهم وكان الجندي يبيع دنانير ابن طولون سراً بأي ثمن خوفاً من وجودها عنده.

وبعد ان انتهت حرب ابن الأغلب مع ابن طولون، بقي بن قهرب في طرابلس إلا أن البربر مازالوا غير مطمئنين إلى حكم الأغالبة في طرابلس، وكان أكثر بواديها يدينون بالطاعة لحكم جبل نفوسة، فأعادوا الثورة على طرابلس سنة ٢٦٩هـ وقتلوا ابن قهرب عامل الأغالبة واشترك في الثورة هوراة ولواته.

وقد أرسل إليهم إبراهيم بن الأغلب ابنه عبدالله في جيش، فتغلب عليهم وأمعن في قتلهم واستولى على طرابلس ولم يغير أحد باستيلاء البربر على طرابلس في هذه المرة وقد يفهم من سياق الكلام ...وأعادوا الثورة سنة ٢٨٠هـ

فهزموهم أيضاً. وفي رجب سنة ٢٨١هـ، انتقل إبراهيم بن الأغلب إلى تونس للإقامة بها ولم ينسَ ابن الأغلب اعتداء ابن طولون عليه، فهو ما زال يفكر في الانتقام منه وقد اعتزم الأمر في غزوه في مصر وفي المحرم سنة ٢٨٣هـ جهز جيشاً وخرج من تونس لعشر خلون من المحرم، فأقام برقادة إلى سبع بقين من صفر، ثم خرج يجمع من معه قاصداً غزو ابن طولون في مصر، ووصل إلى قابس في ربيع الأول، فاعترضته نفوسة في قصر مانو لتمنعه من الذهاب إلى ابن طولون.

ويبدو أن معارضة نفوسة لابن الأغلب ليست من مصلحتها في شيء، بل المصلحة في ذهابه، لأنه سيذهب في جيش كبير يكلفه نفقات كبيرة وهذا مما يضعف ابن الأغلب ويسهل على نفوسة الثورة عليه إن أرادوا، ولذلك فقد عارض الفكرة كثير من أعيانهم منهم أفلح بن العباس، وسعد بن أبي يونس عامل قنطرارة -تيجي- ومعبد الجاوني، ولكن رجحت كفه الاكثرية وتجمعت جيوش البربر في قصر مانو، وهو قصر قديم على ساحل البحر بقرب قابس، وكانوا زهاء عشرين ألفاً، فهزمهم ابن الأغلب هزيمة منكرة، قال في الأزهار الرياضية : فتبعهم وقتلهم قتلاً ذريعاً، وتطارح منهم في البحر بشر كثير، وقتلهم فيه حتى غلبت حمرة الدم على الماء. ثم قال : وقد فل فيها حد سيوف نفوسة وفنيت فيها أبطالهم وأبقيت فيهم ثلمة عظيمة وهي المصيبة الكبرى التي تضعضع فيها ركن الإمامة بتيهرت إذ كانوا حصنها المنيع ولما ضعفوا أخذت في التقهقر وطمع الأعداء فيها حتى اضمحل أمرها.واستمر ابن الأغلب ماضياً في هدفه للانتقام من ابن طولون، فعرج على طرابلس، وكان بها ابن عمه أبو العباس محمد بن زيادة الله ابن الأغلب فقتله وسبب ذلك أن المعتضد بالله العباسي كتب إلى إبراهيم يعنفه على أعماله في تونس وقال له: إن لم تنته فسلم

الأمر إلى محمد ابن عمك زيادة الله، وقد رأى في هذا تهديدا له بابن عمه، فقتله خوفاً من أن يعزله المعتضد ويوليه مكأنه: وسار إبراهيم في جيشه من طرابلس إلى تاورغه، وهناك قتل خمس عشرة رجلاً وأمر بطبخ رؤوسهم، وأظهر إنه يريد أكلها هو ومن معه فارتاع الجند لذلك، وقالوا إنه خولط في عقله، فلما رأى ذلك خاف وانصرف الجند عنه فرجع إلى تونس.

وفي سنة ٢٨٩هـ أرسل ابنه عبدالله لغزو إيطاليا... وبنى إبراهيم الحصون والمحارس على الساحل، حتى كانت النار توقد في سبتة بالمغرب للإنذار بمجيء العدو، فتوقد في تلك الليلة بالإسكندرية وهو الذي أسند قضاء طرابلس إلى موسى بن عبدالرحمن أبي الأسود المعروف بالقطان، صحب محمد بن سحنون وسمع منه، وكان يحسن المسائل والتكلم في الرأي على مذهب مالك وأصحابه، ولاه إبراهيم بن أحمد قضاء طرابلس فبقي وأذى فعزله وحبسه في الكنيسة دهراً ثم أطلقه.

وقد أصيب إبراهيم - بعد ستة أعوام من ولايته كان فيها مثال الاستقامة - بحالة عصبية جنونية أتى فيها أعمالاً لاتتفق مع العقل ولا مع الإنسانية، فكان يكثر القتل في أقاربه، وأبنائه وأخواته وخدمه وأنصاره فقد قتل ابنه بين يديه صبراً، وقتل ثمانية إخوة له ضربت أعناقهم بين يديه، وقد ولدت له بنات أخفتهن عليه أمه خوفاً عليهن من القتل، وربتهن من غير أن يشعر بوجودهن، حتى اجتمع عندها ست عشرة بنتاً كأنهن البدور، وقد بان منه مرة انشراحاً في نفسه وهدوءاً في أعصابه، فرأت - لهذه المناسبة - أن تزيده سروراً وانشراحاً وظنت أن علمه بهؤلاء البنات خير وسيلة لذلك، فقالت له ياسيدي لقد ربيت لك وصائف ملاحاً، وأحب أن تراهن فقال:

نعم فأتت بهن له، وسمتهن له واحدة واحدة حتى عدَّتهن له، وبعد انتهاء

المجلس أخذتهن معها وخرجت، وكان ثمن هذه المقابلة حياة هؤلاء الفتيات الست عشرة، فإن أمه ما كادت تغيب عنه ومعها البنات حتى قال لخادم له أسود - وكان بجواره - اذهب إليهن وائتني برؤوسهن فبهت الخادم فراجعه فهدده بالقتل إن لم يفعل، فذهب الخادم بالخبر إلى أمه، فذهلت وكادت تصعق وأمرت الخادم أن يراجعه، فأفهمها ألا فائدة من المراجعة، فذهب إليهن الأسود وقتلهن الست عشرة، وأتى برؤوسهن معلقة من شعورها، وطرحها بين يديه ولاندري أي المجرمين أقسى من صاحبه قلباً: إبراهيم الذي قسا قلبه وتحجرت عواطفه؟ أم ذلك الأسود الذي كان أقسى جلاد على أولئك الفتيات المظلومات؟[1].

قلت: وأفعال إبراهيم هذه تدل على جاهلية متأصلة في نفسه وإنه كان جباراً عنيدا ويذكرني بقول الله تعالى :﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون﴾ (النحل:٥٩).

توفي إبراهيم ليلة الثامن عشر من ذي القعدة سنة ٢٨٩ وعمره اثنتان وأربعون سنة ولايته ٢٨ سنة وستة أشهر واثنا عشر يوماً[2].

عاشراً: عبدالله بن إبراهيم الأغلب:

هو عبدالله الثاني، وكنيته أبو العباس، ولي بعد أبيه إبراهيم وكان شجاعاًعاقلاً، وفي سنة ٢٤٨هـ - في حياة والده - خرج لمحاربة نفوسة، فقتل منهم

---

(١) تاريخ الفتح العربي في ليبيا :٢٢٧-٢٢٨.

(٢) المرجع السابق نفسه.

كثيراً وأسر نحو ثلاثمائة، ولما رجع بهم إلى والده إبراهيم قتلهم عن آخرهم وشق على قلوبهم فأخرجها، وأخرج بعضها بيده، ونظمت في حبال وعلقت على باب تونس.

قلت: وهذه الأفعال الشنيعة يرفضها الدين ولا تنسجم مع تعاليم الإسلام، وفيها انحراف شديد عن منهج الله، والله يعلم إنها لقسوة فظيعة.

وقتل عبدالله في شعبان سنة ٢٩٠هـ غدر به الجند فقتلوه وهو نائم ويقال إن هذا الغدر بإيعاز من ابنه زيادة الله.

المبحث الثاني

العلامة الفقيه الزاهد
أبو حفص عبدالجبار بن خالد بن عمران السرتي

سمع من سحنون وأبي زكريا الحضري، وابن يجير، وحماد بن يحيى السجلماسي، وكان فقيهاً فاضلاً، زاهداً ثقة، طويل الصلاة وكان كثير الدعاء مجتهدا، ومن عقلاء الشمال الإفريقي وبلغ من العلم ما بلغه سحنون أو كاد إلا أن نفسه مالت للعبادة وفتح له فيها باب، وكان كثير التلاوة للقرآن واشتغل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وله في ذلك نوادر ومُلَح.

- عبدالجبار مع شاب:

خرج عبدالجبار من داره يوم الجمعة إلى صلاة الجمعة فإذا شاب جميل له هيئة حسنة ولباس جميل وقد اتبع صبية يمشي خلفها فلما رآها عبدالجبار شق عليه ذلك فاتكأ برجله على رجله الأخرى فقطع شسع نعله وصاح ياشاب؟ فالتفت إليه، فمشي إليه عبدالجبار، فوقف الفتى وقال له: مالك؟ قال: قد كبر سني، وضعف بصري، وقد انقطع شسع نعلي فأصلحه لي؟ فأصلحه ثم نظر عبدالجبار إلى الصبية وقد أمسكت في مشيتها فأخذ من الشاب النعل، وأدخله في رجله وتمادى الشاب في أثر المرأة فقطع عبدالجبار شسع نعله مرة ثانية فقطعه، ثم صاح: ياشاب! ياشاب.. وكانت لعبدالجبار مهابة عظيمة فعاد إليه الشاب، فقال له: أصلح النعل يا مبارك؟ فأصلْحه إصلاحاً شديداً أظنُّكَ ما

أصلحته إلا وأنت مستعجل. فأخذه الشاب وأصلحه فعطف عبدالجبار عليه وقال يا شاب أنا قطعت النعل المرة الأولى والثانية، وإنما فعلت ذلك إشفاقا عليك ورحمة لك وخفت والله يابني على هذا الشباب الصبيح من لهيب النار وبكا عبدالجبار وبكا الشاب ثم قال له: جزاك الله خيراً فوالله لاعدت إلى ما كان مني أبداً، ثم صحب عبدالجبار إلى الجامع ثم تاب وحسنت توبته وإنابته وكان من فضلاء أهل وقته[1].

قلت: وللدعوة إلى الله أساليبها والموفق من وفقه الله، وما دخل الرفق في شيء إلا زانه.

- أسلوبه في دعوة الأمراء إلى الخير:

ذكر صاحب المنهل العذب أن إبراهيم بن الأغلب طهر أولاده فمضى أهل العلم، والمشايخ، مشايخ القيروان لتهنئته وكان ممن مضى إليه عبدالجبار بن خالد فلما أتى إلى الأمير أكبره وعظمه وسُرَّ برؤيته فأخرج إليه أولاده فدعا لهم وبَرَّكَ عليهم، ثم قال: أيها الأمير: هل علمت مقدار هذه النعمة التي أنعم الله عليك بها؟ أعطاك بنين مثل هؤلاء علمتهم كتاب الله، وأحييت بهم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بلغني عنك أنك بالغت فيما عملت من الطعام للأغنياء.

فقال له: أجل! فقال له عبدالجبار: لو استكملت هذه المرة بأن تذكر الفقراء؟ فقال: صدقت وبررت. ثم دعا بكيس فيه خمسمائة دينار، ودفعه إلى عبدالجبار وسأله أن يفرقه على الفقراء والمساكين؟ فأجابه عبدالجبار إلى ذلك فسر به

---

(١) المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب: ١/٧٣-٧٦.

الأمير وخرج معه إلى باب القصر. وقال: احملوا الشيخ على دابته. وقال: والله لابرحتُ حتى تركبَ فركب عبدالجبار والأمير قائم. فلما ركب واستوى دابته... وأصلح الغلمان ثيابه وانصرف. التفت الأمير إلى كاتبه رجاء بن محمد فقال: يا رجاء رأيت ما أعقله وما أظرفه؟ أتعرف في رعيتي مثله؟ إنه قضى ذمامنا، وتعافى من طعامنا وأخرج مالنا فيما يرضينا.

قلت: كما قال الشاعر القاضي الإمام الجرجاني:

ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي لأخْدِمُ من لاقيت ولكن لأُخْدَمَ

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظما

فتصدق عبدالجبار بالدنانير جميعاً على الفقراء والمساكين ولم يُبْقِ منها شيئاً.

- من حكمه وأقواله:

كان يقول في الخلوة: (كنت أخلو لأسلم، ثم صرت أخلو لأغنم، ثم صرت أخلو لأعلم، ثم صرت أخلو لأفهم، ثم صرت أخلو لأنعم). ومن أقواله: من ترك رأيه، واتبع السنن والآثار رجي له أن يلحق غداً بالأبرار، ومن اتبع رأيه وترك السنن والآثار خفت عليه غدا أن يكون مأواه النار.

ومن قل كلامه قلت آثامه. ومن أقواله: (الصوم عن الكلام أفضل من الصوم عن الطعام) ومن أقواله: من لزم لسانه؟ كثر في الدنيا والآخرة أمانه. وكان يقول: كل كلمة لم يتقدمها نظر؟ فالكلام فيها خطر وإن كانت من أسباب النظر. قلت: وحِكَمُهُ لو شرحت لكتب فيها الكثير.

- نظرته في بر الوالدين:

من البر ألا يمشي الرجل أمام والده، ومن بره أن يمشي أمامه في الظلام

ومعنى ذلك أنَّ كلامه عام مخصوص، فيمشي أمامه حيث الحاجة لذلك كظلام أو طين أو لص أو غير ذلك.

توفي سنة ٢٨١هـ إحدى وثمانين ومائتين ودفن بباب سلم وصلى عليه حمديس القطان، وكان عبدالجبار بن خالد وحمديس القطان يضرب بهما المثل في الفضل والدين بإفريقية[١].

(١) المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب: ١/٧٨-٧٩.

المبحث الثالث

ولاية زيادة الله بن عبدالله الأغلب

هو زيادة الله الثالث. وكنيته أبو مضر ولي الحكم بعد قتل أبيه في شعبان سنة ٢٩٠هـ، واتخذ رقادة عاصمة لملكه، وعين أخاه أحمد عاملاً على طرابلس، ووقف في وجوه الثوار حتى تغلب عليهم، واقتصَّ من قتله والده خوفاً من أن يقال إنه متواطئ معهم. وكان مسرفاً في اللهو والانغماس في الشهوات والملذات، واشتغل بما لايفيد فكان ذلك سبباً في تغلب اعدائه عليه، وفي أيام زيادة الله هذا أراد الله زوال دولة الأغالبة فأصيبت في أيامه بالترف والانحلال.. وفي أيامه ظهر أبو عبدالله الداعي لدولة العبيديين وناصرته قبائل كتامة. فكان مافيه زيادة الله من الانشغال واللهو والقعود عن واجبات الدولة من أقوى الأسباب التي مهدت لانتشار دعوة العبيديين. وقد وقعت حروب بين الداعي وزيادة الله، كان أشدها واقعة الأربسي من أعمال الكاف بتونس وكانت الهزيمة فيها على زيادة الله، وقتل أكثر جنده، ولم يمكنه الصمود أمام هجمات الداعي، فجمع ماله وولده وهرب إلى مصر في ٢٦ من جمادى الآخرة سنة ٢٩٦هـ وترك إفريقية تندب حظها من إهماله وسوء أعماله، وأرسل إلى أخيه أحمد في طرابلس فأخذه معه إلى مصر، وأحتل أبو عبدالله الشيعي رقادة غرة رجب سنة ٢٩٦هـ واستولى على أكثر إفريقية، واستولى على مخلفات ابن الأغلب وكثير من الجواري على جانب كبير من الجمال، فسأل عمن كان يكفلهن فذكرت له أمرأة صالحة كانت لزيادة الله فأحضروها وأحسن إليها

أمرها بحفظهن، ولم ينظر إلى واحدة منهن وأمر لهن بما يصلحهن هذا ما فعله أبو عبدالله الشيعي مع جواري ابن الأغلب.

أما عبيدالله المهدي الزنديق زعيم الدولة العبيدية فإنه لما تسلم مقاليد الحكم عرض جواري زيادة الله فاختار منهن كثيراً لنفسه ولولده وفرق مابقي منهن على وجوه كتامة، وكانت ولاية زيادة الله خمسة أعوام، وأحد عشر شهراً، وأربعة أيام، وبخروج زيادة الله من إفريقية انتهت دولة الأغالبة، وقد حكمت إفريقية مائة وإحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر...وتولى الحكم فيها أحد عشر أميراً، وأولهم مؤسسها إبراهيم بن الأغلب الأول، وآخرهم زيادة الله الثالث، والملك لله يؤتيه من يشاء.

المبحث الرابع

أسد بن الفرات بن سنان(1)
من أشهر علماء دولة الأغالبة(*)

مولى بني سليم أبو عبدالله (١٤٢-٢١٣هـ على الصحيح) الفقيه المحدث بلغ درجة الاجتهاد واسم الفقيه به الصق رغم ان تلقيه للحديث كان أسبق وشيوخه فيه أكثر.

- مولده ونشأته:

ولد أسد بحرّان من ديار بكر سنة ١٤٢هـ وقدم به والده إلى القيروان سنة ١٤٤هـ وكانت نشأته موزعة بينها وبين تونس، وقد حفظ القرآن في سن مبكرة إذ كان يُعَلِّمُ القرآن وعمره أقل من ١٨ سنة.

- طلبه للعلم ورحلته:

أخذ أسَدُ بإفريقية عن علي بن زياد (ت١٨٣هـ) حيث سمع منه الموطأ وتلقى عنه أصول مذهب مالك ثم رحل إلى المشرق سنة ١٧٢هـ، وعمره ثلاثون سنة، فأعاد سماع الموطأ على الإمام مالك، الذي لاحظ شغف أسد،

(*) لقد نقلت حرفياً سيرة أسد بن الفرات والإمام سحنون من مدرسة الحديث في القيروان، وأثبتُ المصادر والمراجع التي رجع إليها في بحثي كما هي.

(١) راجع المدارك:٤٦٥/١، وفيات الاعيان :١٨٢/٣، سير أعلام النبلاء:٢٢٥/١٠.

وحرصه على الطلب فأمر بإدخاله مع المصريين - وهم الفوج الثاني - بعد أن كان يدخل مع بقية الناس في الفوج الثالث، أما الفوج الأول فهم أهل المدينة، ثم إن أسداً كأنه استَقَلَّ الموطأ فاستزاد مالكاً من السماع، فقال له: حسبك ما للناس، فخشي أسد أن يطول به الأمر ويفوته ما رغب فيه من لقي الرجال والرواية عنهم، فأكثر من إلقاء المسائل على مالك حتى ضاق به، وقال له: إذا أردت هذا فعليك بالعراق، فارتحل إلى العراق حيث لقي تلاميذ أبي حنيفة فتفقه منهم وتعلم أصول مذهبهم، كما كتب الحديث هناك عن هشيم، ويحيى بن أبي زائدة، وغيرهما، كما سيأتي في شيوخه، ولم يكتفِ أسد في رحلته بالأخذ فقد حدث بالموطأ، سمعه منه أبو يوسف، ومحمد بن الحسن صاحبا أبي حنيفة، وقد لازم أسد محمد بن الحسن، فكان يسمع منه بالنهار مع الناس وجعل الليل لأسد وحده حتى أتى على ما أراد من السماع منه كما إنه زامله في رحلة الحج، واستفاد منه أثناءها استفادة كبرى[1].

وقد كتب أسد عن محمد بن الحسن مسائل عديدة بعد أن ناظره فيها على قياس مذهب مالك، كما ورد في الحلل وغيره. واستمر قيام أسد في رحلته هذه إلى العراق جامعاً بين طلب الحديث والفقه وأدائهما إلى سنة ١٧٩هـ حين وصل نبأ وفاة مالك إلى بغداد ورأى أسد إقبال الناس على كل من يحدث عن مالك، فسأل عن ذلك فقال له محمد بن الحسن: كان والله أمير المؤمنين في الآثار، قال عياض والشيرازي وغيرهما: فندم أسد على ما فاته من الأخذ عن مالك وجمع أمره على الانتقال إلى مذهبه، فقدم مصر وقال: إن كان فاتني لزوم مالك فلا يفوتني لزوم أصحابه[2].

---

(١) المدارك:٤٦٦/١، والرياض : ٢٨٥/١.

(٢) المدارك:٤٦٦/١، طبقات الفقهاء :١٥٥

فرحل إلى مصر ولقي كبار أصحاب مالك بها مثل: عبدالله بن وهب، وأشهب، وعبدالله بن عبدالحكم، إلا إنه اختص بعبدالرحمن بن القاسم، الذي تجاوب معه فأعاد عليه المسائل التي كتبها عن محمد بن الحسن ليجيبه عنها بقول مالك فأجابه عن معظمها من حفظه ولم يجزم في الجواب عن بعضها وقد بلغت ستين كتاباً، وهي المعروفة بالأسدية، ثم عاد أسد إلى القيروان سنة ١٨١هـ[١].

وقد حُقّ لأسد بعد هذه الرحلة العلمية الشاقة الحافلة بالفوائد والتي دامت عشر سنوات، تنقل فيها بين المدينة، ومكة وبغداد والكوفة والفسطاط في طلب العلم حق له أن يقول: ضربنا في طلب العلم آباط الإبل، واغتربنا في البلدان ولقينا العلماء وغيرنا إنما طلب العلم خلف كانون أبيه ووراء منسج أمه ويريدون أن يلحقوا بنا، كما قال المالكي وغيره[٢].

- شيوخه:

لقد كان أسد شغوفاً بطلب العلم حريصاً على لقي الرجال والرواية عنهم كما وصفته المصادر وكما أوضحته فيما تقدم، ولذلك كثر شيوخه كثرة ظاهرة، وفيما يلي أشهرهم:

- أبوبكر بن عياش (ت١٩٤هـ) محدث ثقة من العباد.
- أسد بن عمرو البجلي (ت١٩٠هـ) وهو فقيه محدث لابأس به.
- أشهب بن عبدالعزيز (ت٢٠٤هـ) محدث من الثقات.
- جرير بن عبدالحميد الضبي (ت١٨٨هـ) محدث من الثقات.

---

(١) الديباج :٩٨، المدارك : ٤٨٠/١.

(٢) الرياض : ٢٦٧/١.

- عبدالرحمن بن القاسم العتقي (ت١٩١هـ) فقيه محدث ثقة مأمون من كبار أصحاب مالك.
- عبدالله بن وهب (ت١٩٧هـ) محدث حافظ فقيه من العباد.
- علي بن زياد التونسي (ت١٨٣هـ) فقيه بارع، ومحدث ثقة أول من أدخل الموطأ وجامع الثوري إلى إفريقية والمغرب.
- مالك بن أنس (ت١٧٩هـ) الإمام أمير المؤمنين في الحديث.
- محمد بن الحسن الشيباني، أحد الفقهاء كان من بحور العلم في الفقه والحديث.
- هشيم بن بشير (ت١٨٣هـ) محدث ثقة ثبت(١).
- يحيى بن زكريا بن أبي زائدة (ت١٨٣هـ) محدث ثقة متقن.
- يعقوب بن إبراهيم أبو يوسف القاضي (ت١٨٢هـ) صاحب أبي حنيفة من أتباع أهل الرأي للحديث.

وهكذا نلاحظ أن أغلب شيوخ أسد كانوا كبار المحدثين الثقات والفقهاء المتضلعين فلا عجب أن كان تلميذهم من بحور العلم.

- **علمه بالحديث والرجال:**

إن المادة العلمية التي بين أيدينا تفيدنا أن أسداً كان من كبار المحدثين القرويين، وما تقدم عن طلبه للعلم يؤيد ذلك، إلا أن الباحثين لم يسبق لهم إبراز هذا الجانب، واكتفوا بالإشارة إلى علمه بالفقه، حتى كادت تضيع شخصيته كمحدث، ولعل من أهم أسباب إغفالهم لهذا ما عرف عن أسد من الميل إلى

(١) انظر المعالم: ٢/٥، أعلام ابن عاشور: ٢٦-٢٧.

المناظرة في الأحكام الشرعية، وإعمال الذهن، وكثرة المساءلة كما مر، وكذلك لما جاء في بعض الكتب من وصفه بأنه حنفي المذهب، يميل إلى الرأي، هذا بالإضافة إلى عدم وجود من اعتنى بدراسة كافية في إبراز علم الحديث في إفريقية في هذه المرحلة.

ولكن الذي اتضح لي[1] أن التكوين الحديثي أبرز من التكوين الفقهي في حياة أسد، فقد ابتدأ حياته العلمية بسماع الموطأ من علي بن زياد (ت١٨٣هـ) في سن مبكرة كما تقدم ثم أعاد سماعه مباشرة من الإمام مالك، ولما رحل إلى العراق كان في مستوى يؤهله لتدريس الحديث فأسمع بها الموطأ، وكتب الحديث عن أسد بن عمرو وجرير بن عبدالحميد الضبي كما تقدم، وسمع من هشيم اثني عشر ألف حديث، ومن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عشرين ألف حديث، وهؤلاء من المحدثين الإثبات كما تقدم، وكذلك فإن سماعه من محمد بن الحسن لم يقتصر على الفقه والرأي، فإن محمداً يُعد من كبار أهل الحديث كما يظهر من خلال شيوخه، ومن خلال كتابيه الآثار، والحجة في الرد على أهل المدينة، بالإضافة إلى ما وصف به في المصادر من كثرة طلب الحديث واشتهار روايته للموطأ حتى اليوم[2].

كما أن سماع أسد في مصر من أصحاب مالك يفترض أن يكون فيه حديث كثير، لإنهم من الرواة، وهذه الحصيلة الحديثية كافية لجعل أسد قمة محدثي القيروان حيث إننا لا نكاد نعثر على من ظفر بمثل شيوخه، كثرة وحفظاً وإتقانا وسعة في الرواية ومما يدل على علم أسد بالرجال وتتبعه للأسانيد قوله: أهل الكوفة إذا أرسلوا في الرواية عن عبدالله فهو ابن مسعود، وأهل المدينة

---

(١) الكلام لصاحب مدرسة الحديث في القيروان.

(٢) انظر عن جانبه الحديثي مقدمة كتابه الآثار : ١٢ وما بعدها.

إذا أرسلوا على عبدالله فهو ابن عمر. كما في الرياض، وهذا الخبر وإن كان يتيما في بابه إلا إنه يشعرنا بمدى إتقان أسد لإطلاقات القوم، وما درجوا عليه في أسانيدهم من التسميات ولا شك إنه كان يُعَلِّمُ ذلك لطلابه حتى انتقل إلينا.

أما قلة الآثار في الأسدية فلا يقدح في علم أسد بالحديث لأن الأسدية ليست كل علم أسد، ثم إن تصنيفها قد خضع لظروف خاصة، حيث كانت بدايتها مناظرات بينه وبين محمد بن الحسن، ثم سأل عنها ابن القاسم وأراد شيئاً محددا وقول مالك فيها، وهو طلب معقول إذ ليس من اليسير على ابن القاسم وهو يجيب عنها مشافهة من حفظه[1] أن يستحضر دليل أكثر من ثلاثين ألف مسألة اشتملت عليها الأسدية.

- توثيقه:

أسد بنُ الفرات إمام من أئمة المسلمين، بلغ درجة الاجتهاد واستفاضت شهرته، وشاعت إمامته، وقد وسمه الذهبي في سير أعلام النبلاء بقوله: (الإمام العلامة القاضي الأمير)[2] وقال أبو العرب :(كان ثقة لم يكن فيه شيء من البدع) وقال صاحب الشجرة: (الفقيه الحافظ، الراوية، الثقة الأمين).

- أثره العلمي والحديثي في القيروان وتلاميذه:

عاد أسد إلى القيروان بعلم جم في الحديث والفقه وغيرهما، وجلس للتدريس بجامع عقبة، فأقبل عليه الطلاب ورحلوا إليه من أطراف إفريقية والمغرب

---

(١) انظر : ط الفقهاء : ١٥٦، المدارك : ١/٤٦٩.

(٢) سير أعلام النبلاء : ١٠/٢٢٥.

والأندلس، واشتهر أمره، وظهر علمه، وارتفع قدره، وانتشرت إمامته، حتى إن الأسئلة كانت ترد عليه من خارج القيروان وكان ربما أجاب عنها كتابة) [١].

وقد أقبل حال عودته على رواية الموطأ وغيره من حديثه ولم يكتف بمجرد الإسماع بل كان له مجلس يفسر فيه الحديث كما يستفاد من عدة نصوص في المعالم، والرياض والمدارك وغيرها.

كما أخذ عنه الناس الأسدية وشاعت روايتها قبل ظهور المدونة، ومن الكتب التي أدخلها أسد ورواها في القيروان سماع ابن القاسم من مالك وكتاب المبسوط لمحمد بن الحسن. وحمل عنه معظم أهل المغرب مروياته حتى كانت كتبه تروى بالأندلس، وكثر أصحابه حتى عدوا بالعشرات وأصبح عالم القيروان بلا منازع، قال محمد بن سحنون (وحصلت له بتلك الكتب رئاسة في القيروان كما في الرياض والمدارك وغيرها).

وقد عرف أسد بنشره للسنة ومنافحته عنها خارج حدود إفريقية فقد أرسل له أسد السنة (ت٢١٢هـ) من مصر رسالة طويلة يشكره فيها على اتباع السنة والذب عنها ويدعوه إلى نشرها، واتخاذ اتباع يقومون مقامه بعد وفاته وقد كانت هذه الرسالة تروى بالأندلس، ولا شك إنها كانت تروى بالقيروان من باب أولى، ولم يكن نشأ أسد قاصرا على رواية الحديث والفقه، بل كان يلقي التفسير أيضاً، إذ كان يسمع الطلاب تفسير المسيب بن شريك (ت١٨٦هـ) وله مجالس في ذلك ولاشك أن هذا الكتاب مما أدخله أسد معه، لأن المسيب من شيوخه كما في طبقات أبي العرب وغيره[٢].

ولم يكن أسد في دروسه يتقيد بكتب مذهب دون آخر، وإنما قام بنشر علم

---

(١) الرياض : ٢٥٥/١.

(٢) طبقات أبي العرب :١٦٤/٥.

المذهبين لسعة علمه فيهما، فكثير تلاميذه من المالكية والأحناف على السواء ومن أشهرهم الإمام سحنون بن سعيد، وأبو سنان زيد بن سنان الأسدي من المالكية، ومعمر بن منصور، ومحمد بن قادم، وسليمان بن عمران من الأحناف. وقد تقدم إنه كان له أثر علمي أثناء رحلته في المشرق حيث حدث في العراق بالموطأ وناظر بعض علمائها.

- مذهبه وعقيدته:

لقد اختلف المصنفون في هذه المسألة فمنهم من اعتبره مدون مذهب مالك وناشره في المغرب، ومنهم من اعتبره إمام الأحناف في القيروان، وقد تبين لي بعد البحث والنظر إنه كان في البداية مالكياً، ثم انتقل إلى طريقة الأحناف في الفترة الطويلة التي بقيها في العراق، ثم عاد إلى المذهب المالكي بعد وفاة مالك، وأعاد صياغة مسائله لمحمد بن الحسن على فقه مالك بسؤاله لابن القاسم كما ألمحت إلى ذلك.

ثم بعد ذلك بلغ أسد درجة الاجتهاد، فلم يكن يلتزم رأيَ واحدٍ من المذهبين، إنما يعمل ويفتي بما يوصله إليه اجتهاده بناء على الدليل، وأصدق كلمة قيلت فيه فيما بين يدي من المصادر هي قول المالكي[1]: (والمشهور عن أسد إنه كان يلتزم من أقوال أهل المدينة وأهل العراق ما وافق الحق عنده، ويحق له ذلك لاستبحاره في العلوم، وبحثه عنها، وكثرة من لقي من العلماء والمحدثين). ولذلك نجده ينشر علوم المذهبين فقد ورد في الرياض وغيره: (أن أسداً إذا سرد أقوال العراقيين، يقول مشايخ كانوا يجالسونه ممن يذهب مذهب أهل المدينة. أوقد القنديل الثاني يا أبا عبدالله) فيسرد أقوال المدنيين، وكان أسد من

---

(١) الرياض : ٢٦٣/١.

أكبر أسباب شيوع علم الأحناف في القيروان، لكثرة ملازمته لأصحاب أبي حنيفة، فلم يسبق أن دخل القيروان من تضلع في مذهبهم مثله، وإن كانت بذور المذهب قد وجدت قديماً على يد عبدالله بن فروخ (ت١٧٥هـ) كما مر في التمهيد، ولذلك أقبل الأحناف على مجالسه وتتلمذوا عليه وعدوه إمامهم، خاصة وأن إعراض الناس عن الأسدية قد دفعه لإسماع كتب الاحناف بعد شيوع المدونة. وقد وردت عدة نصوص في الرياض والمعالم والمدارك تفيد أن أسدا كان يشير على من يستنصحه باتباع مذهب مالك[1].

أما من الناحية العقائدية فقد كان كما قال المالكي وغيره: (دينه ومذهبه السنة يقول القرآن كلام الله ليس بمخلوق، وكان يبدِّع من يقول غير ذلك وكان يقول إن الله على العرش استوى بلا كيف، ويُرَى في الآخرة كيف يشاء لا كما يشاء العباد، ويكفر من يمنع ذلك).

- أسد في القضاء وإمارة الجيش:

تولى أسد قضاء القيروان سنة ٢٠٣هـ مشتركا في ذلك مع أبي محرز القاضي (ت٢١٤هـ) وهما أول قاضيين اشتركا في هذا المنصب فسار في الناس بالعدل، واستمر فيه إلى سنة ٢١٢هـ، حيث عين أميرا على غزوة صقلية ففتح أكثرها وبنى فيها مسجداً وله بها مقامات مشهورة، وتوفي هناك سنة ٢١٣هـ.

- مؤلفاته:

له كتاب الأسدية: وهو مجموعة المسائل التي دونها عن محمد بن الحسن

---

(١) انظر مثلاً : المدارك ٩٧/٣، سير أعلام النبلاء : ٢٢٥/١٠.

بعد أن ناظره فيها، ثم سأل عنها ابن القاسم فأجابه عن أغلبها بقول مالك من حفظه، وما لم يتأكد منقول مالك فيه، قال: أظن وإخال وهي ستون كتابا، توجد منها أجزاء في مكتبة جامع القيروان[1].

وقد أعاد سحنون سماعها على ابن القاسم وحذف منها أظن وإخال ونحوهما ورتبها وذيلها بالآثار وسمت المدونة فمال الناس إليها وهجروا الأسدية[2].

- من حديثه:

أسد عن مالك عن سهيل بن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لايشرك بالله شيئاً إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال انظروا هذين حتى يصطلحا انظروا هذين حتى يصطلحا) [3].

---

(١) انظر : المكتبة الأثرية :٣٨.

(٢) انظر التعريف بالمدونة في المصنفات.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من طريق مالك بلفظه، باب النهي عن الشحناء:٤/١٩٨٧-٢٥٦٥، وأخرجه الترمذي بنحوه في كتاب البر، وجاء في المتهاجر من :٤/٣٧٣/٢٠٢٣، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه أبوداود بنحوه في كتاب الأدب، باب فيمن يهجر أخاه : ٥/٢١٦/٤٩١٦، ويلتقي حديث الترمذي وأبي داود مع حديثنا في سهيل بن أبي صالح.

المبحث الخامس

سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي
أبو سعيد الإمام (١٦٠-٢٤٠هـ)

اسمه عبدالسلام، ولقب بسُحنُون[1] وهو اسم طائر في المغرب، لحدة ذهنه وذكائه، أصله من عرب الشام، قدم به أبوه مع جند حمص. وهو إمام أهل إفريقية والمغرب بلا منازع، فقيه محدث قاضي مفت حمل لواء أهل السنة والجماعة بتلك الربوع وقاوم البدع، ودوَّن مذهب مالك ونشره مع زهد وورع وتعفف وكثرة صدقة ومعروف وهو أحد الآحاد. والإمام سحنون غلب عليه اسم الفقيه والتصق به، وأغفل الجانب الحديثي عنده رغم تضلعه فيه واهتمامه به وكثرة شيوخه فيه كما سيأتي.

- طلبه العلم ورحلته:

أقبل سحنون على طلب العلم في سن مبكرة وسرعان ما نبغ فيه، وتوسم فيه شيوخه النجابة وإخلاص الطلب لله عزوجل، وقد سمع الحديث والفقه من جلة شيوخ عصره بالقيروان مثل معاوية الصمادحي المحدث (ت١٩٩هـ) والبهلول بن راشد (ت١٨٣هـ) الجامع بين الفقه والحديث وأسد بن الفرات (ت٢١٣هـ) وابن غانم (ت١٩٠هـ) وغيرهم، ورحل إلى تونس عدة مرات

(١) التمهيد :٩٦/١، تاريخ المغرب العربي : ٨٦/٢.

فسمع الموطأ من علي بن زياد، وتعلم عليه أصول مذهب مالك، وكان يختلف إليه كلما وجد نفقة، وكان البهلول ابن راشد المحدث الزاهد التقي قد تفرس في سحنون الإخلاص، والحرص على الطلب، فكتب إلى علي بن زياد كتاباً يوصيه فيه بسحنون، ومما جاء فيه: (إني إنما أكتب إليك في رجل يطلب العلم لله عزوجل) قال المالكي: (فلما قرأه قال لسحنون أين نزلت؟ فأخبره، قال أخذ علي بن زياد الموطأ فأتى به إلى سحنون ليسمعه في موضعه الذي نزل به وقال: إن أخي – يعني البهلول – كتب إلي يعلمني أنك إنما تطلب العلم لله تعالى) [1].

كما سمع بتونس الحديث من عبدالملك بن أبي كريمة المحدث، وأخذ الفقه عن أبي مسعود ابن أشرس التونسي صاحب الإمام مالك. وبعد أن تلقى سحنون عن أكثر من اثني عشر شخصاً من كبار علماء إفريقية – كما سيأتي – رحل إلى المشرق للأخذ عن علمائه، ويلاحظ الباحث أن هناك اضطرابا في المصادر فيما يتعلق برحلة سحنون إلى الشرق، فأكثر المصادر على إنه ارتحل سنة ١٨٨هـ وعاد سنة ١٩١هـ وبعض من أورد هذا التاريخ أورد أيضاً عن سحنون إنه قال: (خرجت إلى ابن القاسم وأنا ابن خمس وعشرين سنة وقدمت إفريقية ابن ثلاثين سنة) [2].

وهذا لايستقيم مع التواريخ المذكورة، ونظراً لثبوت عودة سحنون سنة ١٩١هـ وهذه السنة التي توفي فيها ابن القاسم، وقد سمع منه فيها أهل أجدابيه، كما صرح بعد ذلك سحنون نفسه، فإن تاريخ الخروج يكون غير ما ورد في المصادر، خاصة وقد ذكر عياض: إنه سمع ممن توفي قبل سنة ١٨٨هـ فإذا

(١) الرياض :١/٣٥٠.

(٢) انظر مثلاً: المدارك : ١/٥٨٧، الديباج :١٦١.

جمعنا بين هذا القول وبين ما ورد عن سحنون من أن رحلته دامت خمس سنوات نقول بأن تاريخ خروجه كان سنة ١٨٦هـ أو السنة التي تليها وقد ورد عن محمد بن سحنون، وهو العالم بأحوال والده، أن سحنون ارتحل سنة ١٧٨هـ، في حياة مالك، كما ورد عن سحنون نفسه إنه قال: (كنت عند ابن القاسم وجوابات مالك ترد عليه) فقيل له: فما منعك من السماع منه؟ قال: قلة الدراهم[1].

وبناء على هذا يكون لسحنون رحلتان إلى المشرق، وكانت أولاهما سنة ١٧٨هـ ولم يتجاوز فيها مصر، لعدم وجود ما يكفيه من النفقة كما تقدم وكان عمره إذ ذاك ١٨ سنة، ولا نعلم الزمن الذي استغرقته هذه الرحلة ويستبعد أن تكون قد طالت أما رحلته الثانية – والتي استمرت خمس سنوات – فكانت بين سنتي ١٨٦ – ١٩١هـ وقصد سحنون في رحلته مصر، فسمع بها من كبار المحدثين والفقهاء، ولقي كبار أصحاب مالك فقد أعاد سماع الموطأ على ابن القاسم، وابن وهب وسمع من ابن وهب جميع كتبه: الجامع وغيره، إلا المغازي فقد أخذها عنه إجازة، فكان بعد ذلك يقول: كادت تفوتني كتب ابن وهب، وبالله ما تشترى بكتاب منها الدنيا وما فيها وما عميت عن مسألة قط إلا وجدت فرجها في كتب ابن وهب)[2].

وسمع من أشهب حديثا كثيرا أخرجه في المدونة عندما ذيلها بالآثار، كما أخذ عنه كتب الحج، وغيرها في الفقه، وسمع من غيرهما من شيوخ مصر، كما سيأتي في شيوخه، غير أن اختصاصه كان بابن القاسم: تفقه به وأعاد

---

(١) انظر وفيات الاعيان : ١٨٠/٣، الديباج :١٦٠.

(٢) انظر مثلاً : الرياض: ٣٧٣/١، المكتبة الأثرية :٣٤، ٣٩، ٤٠، مناقب أبي إسحاق :٥٥.

عليه سماع الأسدية، وكان لايكاد يفارقه[1].

وبعد أن أدرك سحنون غرضه من أهل مصر رحل إلى الحجاز ورافق في رحلته أشهب وابن وهب وابن قاسم، وكانت سفرة علمية عجيبة، استفاد فيها سحنون من هؤلاء العلماء أيما استفادة، فقد كانوا يلقون العلم ويتحاورون فيه، وهم على دوابهم، فإذا نزلوا أمضى سحنون وقت نزوله في القراءة على ابن القاسم، فإذا جاء الليل قرنوا أقدامهم للصلاة. قال سحنون عن هذه الرحلة: كنا نمشي بالنهار، ونلقي المسائل ونحن مشاة، وقال: فكنت إذا نزلت ذهبت إلى ابن القاسم أسأله من الكتب وأقرأ عليه إلى قرب وقت الرحيل. وقال: فإذا كان الليل ونزلت الرفقة قام كل واحد إلى حزبه من الصلاة[2].

وسمع سحنون بالمدينة المنورة من جماعة من المحدثين والفقهاء، منهم أنس ابن عياض الليثي، والمغيرة بن عبدالرحمن بن أبي ربيعة، وابن الماجشون وغيرهم. كما سمع في مكة المكرمة من كبار المحدثين كسفيان بن عيينه له عنه من الحديث سمع سنتين، وعبدالرحمن بن مهدي ووكيع وغيرهم. وسمع بالشام من محدثيها: الوليد بن مسلم وغيره، كما سمع من جماعة من أهل الكوفة والبصرة، كأبي داود الطيالسي صاحب المسند، وحفص بن غياث القاضي وغيرهما، ولم تذكر المصادر دخوله إلى العراق، فلعله التقى بهم في أحد الحرمين.

ولقد جمع سحنون في رحلته علماً عظيماً، واستقصى فيها جميع آثار مالك، وكبار الرواة حتى إنه قال لابنه محمد عندما أراد أن يرحل إلى المشرق: إنك تقدم طرابلس وكان فيها رجال مدنيون ومصريون بها الرواة، والمدينة وهي

---

(١) لايكاد صدر يخلو من الإشارة إلى ذلك، راجع المصادر المثبتة في أول ترجمة.

(٢) انظر : الرياض : ١/٣٤٩، المدارك : ١/٥٨٨.

عش مالك ثم تقدم مكة فاجتهد جهدك فإن قدمت عليّ بلفظة خرجت من دماغ مالك ليس عند شيخكِ أصلها فاعلم أن شيخك كان مفرّطاً[1].

- **شيوخه:**

لقد تعدد شيوخ سحنون والتقى من كل بلد بكبارها وأكثر شيوخه من أهل الحديث وقد عرف من شيوخه الأفارقة اثنا عشر رجلاً تسعة منهم من أهل القيروان وثلاثة من أهل تونس فأما القرويون منهم:

- أسد بن الفرات (ت٢١٣هـ) البهلول بن راشد (ت١٨٣هـ)، عبدالله بن أبي حسان (ت٢٢٦هـ) وهو محدث فقيه لغوي من الرواة عن مالك، شقران بن علي (ت١٨٦هـ) كان عالماً بالفرائض وهو من الثقات، عنبسة بن خارجة (ت٢١٠هـ) وهو محدث فقيه من تلاميذ مالك وله عنه سماع مدوّن، معاوية بن الفضل الصمادحي (ت١٩٩هـ) وهو من ثقات محدثين القيروان معدود في شيوخها، عبدالله بن عمر بن غانم (ت١٩٠هـ) محدث فقيه روى الموطأ عن مالك، إبراهيم بن زرعة الرغيني (ت٢١٢هـ) وهو أندلسي نزل القيروان وعده أبو العرب من ثقات شيوخها، وحبيب أخو سحنون وهو من الثقات، جُلّ شيوخه من المحدثين ولقد لحق عبدالرحمن بن زياد وسمع عنه[2].

- وأما أهل تونس فهم: علي بن زياد (ت١٨٣هـ) وهو محدث، فقيه وكان أول من أدخل الموطأ وجامع الثوري إلى إفريقية أبو مسعود ابن أشرس، وهو محدث فقيه ثقة، سمع من مالك، وعبدالملك بن أبي كريمة (ت٢١٠هـ) وهو

---

(١) الرياض: ٣٥٣/١، المدارك:٥٢١/٢،، المعالم : ٨٣/٢، إلا أنه في الرياض عن سليمان بن سالم بدل محمد بن سحنون.

(٢) ابوالعرب : ١٧٩/٥، المعالم : ١٠٤/٢.

محدث ثقة عابد[1].

– أما شيوخه من أهل المشرق فقد عثرت منهم على ثلاثة وعشرين رجلاً منتشرين في مختلف المصادر، وهم من كبار علماء زمانهم في الفقه والحديث:

١- أشهب بن عبدالعزيز القيسي (ت٢٠٤هـ) وهو فقيه محدث ثقة، وقد أكثر سحنون الرواية عنه في المدونة[2].

٢- أنس بن عياض الليثي (ت٢٠٠هـ) وهو محدث ثقة روى عنه في المدونة.

٣- أيوب بن سويد الحميري (ت٢٠٢وقيل ١٩٣هـ) صدوق يخطئ.

٤- حفص بن غياث (ت١٩٤ أو ١٩٥هـ) محدث فقيه ثقة.

٥- سعيد بن داود الزبيري (ت٢٢٠هـ) صدوق له مناكير.

٦- سفيان بن عيينه (ت١٩٨هـ) أحد أئمة الحديث الثقات.

٧- سليمان بن داود الطيالسي (ت٢٠٤هـ) صاحب المسند، أحد الحفاظ الثقات.

٨- شعيب بن الليث بن سعد (ت١٩٩هـ) محدث ثقة.

٩- طليب بن كامل المرادي، وقيل عبدالله (ت١٧٣هـ) من كبار أصحاب مالك.

١٠- عبدالرحمن بن القاسم (ت١٩١هـ) وهو أخص شيوخ سحنون كما تقدم.

١١- عبدالرحمن بن مهدي (ت١٩٨هـ) ثقة ثبت عارف بالرجال والحديث.

١٢- عبدالله بن الحكم (ت٢١٤هـ) شيخ مصر في وقته، فقيه وثّقه أبو

---

(١) التهذيب : ٤١٨/٦، الرياض : ٣٢٣/١.

(٢) التقريب ٨٠/١، الشجرة : ٥٩/١، وانظر المدونة: ٢٢٨/٢، ٣/٢.

زرعة.

١٣- عبدالله بن نافع الصائغ (ت٢٠٦هـ) ثقة صحيح الكتاب.

١٤- عبدالله بن وهب القرشي (ت١٩٧هـ) ثقة حافظ عابد، وقد أكثر سحنون عنه في المدونة.

١٥- مطرف بن عبدالله اليساري (ت٢٢٠هـ) محدث فقيه ثقة.

١٦- معن بن عيسى القزاز (ت١٩٨هـ) ثقة ثبت أثبت أصحاب مالك.

١٧- المغيرة بن عبدالرحمن المخزومي (ت١٨٦ أو ١٨٨هـ) فقيه المدينة ومفتيها بعد مالك.

١٨- وكيع بن الجراح (ت١٩٦هـ) أحد الحفاظ الثقات وكان عابدا.

١٩- الوليد بن مسلم (ت١٩٤هـ) محدث ثقة كثير الحديث يدلس.

٢٠- يحيى بن سليم الطائفي (ت١٩٣هـ) محدث صدوق سيئ الحفظ.

٢١- يزيد بن هارون الواسطي (ت٢٠٦هـ) ثقة متقن عابد.

٢٢- يوسف بن عمرو الفارسي (ت٢٠٥هـ) صدوق صالح، فقيه مفت.

٢٣- أبو إسماعيل وقيل أبو إسحاق الأزرق.

وقد وهم صاحب الأنساب حين عده من تلاميذ مالك وتبعه صاحب اللباب، وصاحب معجم البلدان، وكذا وهم في ذلك ابن حبان في الثقات والخليلي في الإرشاد[1].

سحنون المحدث:

إن تدوين سحنون لمسائل المذهب المالكي وانتشارها عنه في آفاق إفريقية والمغرب والأندلس وحمله لواء المالكية في تلك الربوع، كل هذا جعل منه

---

(١) انظر: الانساب اللباب، معجم البلدان، ثقات ابن حبان، الإرشاد في المواضع المثبتة أول الترجمة.

فقيهاً بالدرجة الأولى في أعين الناس، وأدى ذلك إلى غمط جانب الحديث حقه في شخصية سحنون، مع إنه جانب عظيم الأهمية وقد برع فيه سحنون في المشرق من ثلاثة وعشرين شيخا كما تقدم - منهم واحد وعشرون من رجال الكتب الستة، وأكثرهم من كبار المحدثين الحفاظ الثقات، الذين أتقنوا رواية الحديث وعلم الرجال، وكان لذلك أبعد الأثر في شخصية سحنون وتكوينه الحديثي، وكذلك فإن أكثر شيوخه القرويين من المحدثين والمشاركين في الحديث كما تقدم وقد كان المحدث الحافظ أبو العرب التميمي (٣٣٣هـ) يعرف هذا الجانب عند سحنون، ولذلك نجده عندما ذكر شيوخه فصل بين من لقيهم في الفقه، ومن لقيهم في الحديث، ومثل للفقهاء باثنين فقط بينما نجده يمثل للمحدثين بسبعة من كبار الرواة[1].

لقد تعددت مرويات سحنون في الحديث فقد سمع الموطأ بأربع روايات: رواية ابن زياد، ورواية ابن القاسم، ورواية ابن وهب كما تقدم، ورواية ابن غانم، كما سمع جامعي سفيان الثوري الكبير والأوسط من شيخيه علي بن زياد وعنبسه بن خارجة اللذين أدخلاهما إلى القيروان، وسمع جامع عبدالله بن وهب في الحديث وكان له عن سفيان بن عينيه سماع سنتين كما تقدم، وسمع من أشهب رقائق الفضيل بن عياض[2]، هذا عدا ما سمعه من بقية شيوخه من الأحاديث التي لم تجمع في مصنفات.

إن عمل سحنون في المدونة يعد من أبرز ما يدل على تمكنه من الحديث، كما يدل على توجهه المبكر لهذا العلم، فإن من أهم أسباب حرص سحنون على إعادة سماع الأسدية من ابن القاسم خلوها من الآثار، وقد كان عازما على

---

(١) انظر : طبقات أبي العرب: ٥/١٨٤-١٨٥.

(٢) ابن خير :٢٦٩.

تكميل هذا النقص قبل رحيله ولذلك أقبل على رواة الحديث إقبالاً كبيراً، فلذلك عاد إلى القيروان وبوَّب مسائل الأسدية وذيلها بالآثار إلا مسائل متفرقة بقيت على أصل اختلاطها، وقد ورد في بعض صفحات المدونة نقلاً عن القاضي عياض أن عدد أحاديث المدونة أربعة آلاف حديث. خَرَّجَ منها أحد الباحثين ٥٥١ حديثاً، وجاءت النتيجة ناطقة بإمامة سحنون في الحديث أيضاً، إلى جانب إمامته في الفقه، حيث ذكر الباحث أن عدد ٣٨١ من هذه الأحاديث وردت في الصحيحين و ١٣١ حديثاً في درجة الحسن و ٧٠ ضعيفة ضعفا مجبرا، و ٩ أحاديث ضعيفة جداً، ثم قال: لم أقف في المدونة على حديث موضوع[1].

لقد كان الإمام سحنون حريصاً على سلامة السنة من التحريف عاملاً على تنقيتها من الشوائب مقاوماً للتدليس، لايقبل الحديث بدون إسناد، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

- قال سليمان بن سالم – وهو أحد كبار تلاميذ سحنون –: (كنت قاعداً قدام سحنون، وهو يقرأ كتاب الترغيب من جامع ابن وهب، فرددت عليه حديثا هو في كتأبي ولم يكن في كتابه فقال لي: اقرأ الحديث، فلما قرأته أنكره وصاح علي وقال من أين دخل هذا الحديث في كتابك؟ فأمسكت ولم أرد عليه فكلمه محمد ولده وقال: أصلحك الله الكتب تختلف، فقال لي: اطرح الحديث من كتابك فخططت عليه بالقلم وهو ينظر فقال، : زد خطا عليه، فطمسته كله.

رأى سحنون كتاباً مع أحد الطلبة فيه حديث يرويه حمد بن رزين القروي (ت٢٥٥هـ) عن عبدالله بن نافع، فأرسل إليه فلما جيء به قال له: أنت سمعت

---

(١) تخريج أحاديث المدونة، للدكتور ظاهر حمد الدريدي: ١٠٨٦/٢.

من ابن نافع؟ فقال أصلحك الله إنما سمعت من ابن نافع الزبيري فقال له سحنون لم دلست؟ ثم قال ماذا يخرج بعدي من العقارب[1].

وهكذا لم يرض سحنون إلا تقييد الاسم بالنسب المفرق بين الراويين مادام قد اشتركا في الاسم، واسم الأب واعتبر عدم التقييد تدليساً.

– سمع سحنون موسى بن معاوية الصمادحي (ت٢٢٥هـ) المحدث يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذ قفل من حج أو عمرة فأشرف على المدينة أوضع راحلته وقال: أسرعوا بنا إلى بنات الأقوام. فلم يرض سحنون روايته هكذا بدون إسناد وخشي أن لايكون لموسى فيه سند إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لتلميذه فرات ويحك اطلب لي هذا الحديث لموسى، قال فرات: فطلبته لموسى عن عيسى بن يونس السبيعي بإسناده إلى النبي صلى الله عليه وسلم[2].

كما كان للإمام سحنون علم بالرجال ومصطلح الحديث وله كلام في التعديل وشروط الراوي ونحو ذلك ومن أمثلتها ما يلي:

تنبيهه على الأخذ عن الثقات بقوله: يؤخذ هذا العلم من الموثوق بهم في دينهم الحسن مخبرهم.

– كان سحنون يعول في ضبط الراوي على ضبط الكتاب، أكثر من ضبط الصدر، حيث يقول من صحت كتبه صحت روايته ومن سقم كتابه سقمت روايته[3].

– وكان له كلام في الرواة فقد وثق ابن زياد الإفريقي، ومروان بن أبي

---

(١) انظر: طبقات أبي العرب: ١١٩، المدارك: ٩٣/١.

(٢) انظر: الرياض: ٣٨٢/١.

(٣) المرجع السابق: ٣٧٣/١.

شجمة وغيرهما، قال له أحد طلابه: ما سمعت يحيى ابن سعيد القطان، ولا عبدالرحمن ابن مهدي يحدثان عن عبدالرحمن بن عبدالرحمن بن زياد بن أنعم فقال سحنون لم يصنعا شيئاً عبدالرحمن ثقة وقال عن مروان: مروان رجل صالح، إن قال له سمعت أو رأيت فأقبل منه[1].

- وكان يقول فيمن جاء للسماع وأخذته غفوة ففاته بعض الحديث: إذا جاء السماع وله قصده فهو جزئه. وكان شديد الإقبال على الآثار نافرا من الرأي ومن أقواله في ذلك: إنما عزاؤنا في هذه الآثار.

فأما المسائل فالله أعلم بحقيقتها[2]، ويقول: إني لأخرج من الدنيا ولا يسألني الله عزوجل عن مسألة قلت فيها برأيي[3].

وهكذا ندرك أن اهتمام الإمام سحنون بالحديث وعلومه لم يكن بأقل من اهتمامه بالفقه ولا نسلك قول الذهبي فيه: (لم يتوسع في الحديث كما توسع في الفروع) وإن كنا نعذره لعدم وقوفه على كثير مما يتعلق بشخصية سحنون كما هو واضح من خلال المعلومات التي ساقها في ترجمته.

- أثره العلمي والاجتماعي في القيروان وتلاميذه:

١- جلوسه للتفقيه والتحديث وملاحقته للمبتدعة:

لم يعرف تاريخ القيروان في الفترة التي ندرسها شخصية لها ما لسحنون من الأثر في الناحية العلمية بالقيروان خاصة، وبإفريقية والمغرب والأندلس بصفة عامة، فقد وجه اهتمام الناس في تلك الربوع إلى السنة وإلى علم مالك

---

(١) ابو العرب: ٢٩.

(٢) جذوة المقتبس: ١٤١.

(٣) الرياض : ٣٥٤/١.

وقطع دابر المبتدعة من الإباضية والصفرية ومنهم من نشر ضلالاتهم، فهو أول من فَرّق حلق أهل البدع وشرّد أهل الأهواء من (المسجد) وكانوا فيه حلقا من الصفرية والإباضية والمعتزلة، يتناظرون فيه، ويظهرون زيغهم، وعزلهم عن أن يكونوا أئمة الناس، أو معلمين بصبيانهم أو مؤذنين وأمرهم أن لايجتمعوا.

فما إن عاد الإمام سحنون من رحلته بتلك العلوم الجمة حتى جلس للتعليم وبدأ ينشر مروياته في القيروان، وأخذها عنه جموع من مختلف بلاد المغرب والأندلس، فقد كان يسمع الموطأ برواياته المختلفة التي سمعها، وأخذ عنه الناس جامع ابن وهب، وحدث برقائق الفضيل بن عياض بروايته عن أشهب وقرئت عليه مغازي ابن وهب، وكتابه في الجهاد وكتاب الزهد، كما أسمع مدونته واهتم بنشرها، وأقبل الناس عليها لاشتمالها على الحديث وتركوا الأسدية، وأخذ عنه الناس كتابه في الزهد، ومختصره في المناسك وسمع كتاب مالك في النجوم وحساب مدار الزمان وغير ذلك من مروياته(1).

وكان للإمام سحنون حلقة في بيته وحلقة في مسجده فإذا خرج إلى البادية لخدمة أرضه لحق به الطلاب، ومن قصده من الغرباء فأسمعهم هنالك أيضاً. كما أسمع بقصر زياد عندما اختفى فيه لما طلب في المحنة بخلق القرآن وبالجملة فقد كان دأب سحنون نشر العلم، لايفتر عن ذلك يقضي معظم وقته في إسماع الطلبة والقراءة عليهم، أو سماع عرضهم، وكانت حلقته تصل أحيانا إلى أربعمائة طالب(2).

وسرعان ما اشتهر أمره، وبان علمه وتقواه وورعه فقصده الناس من

---

(1) الرياض: 1/259، 368، 375.

(2) الإمام المازري: ح ج عبدالوهاب: 24.

الآفاق، وصارت الرحلة إليه، وسَلَّمَ له بالإمامة علماءُ عصره، واتفقوا على فضله وما اجتمع فيه من الخلال الحميدة، ونظراً للأثر العظيم لسحنون في الحياة العلمية بالقيروان فقد صار زمانه كأنه مبتدأ، وقد محا ما قبله، فكان سراج القيروان[1].

ب- تلاميذه:

لقد تخرج على يد سحنون أفواج عظيمة من العلماء زادوا على سبعمائة رجل من الرواة بل ذكر الذهبي: أن عدد الرواة عن سحنون بلغ تسعمائة. أما من صحبه من العباد وغيرهم، فيعدون بالآلاف، حتى قيل ما بورك لأحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم في أصحابه ما بورك لسحنون في أصحابه فإنهم كانوا في كل بلد أئمة. وقد دخل القيروان رجل من أصحاب الإمام أحمد بن حنبل - أغفل المالكي تسميته - والتقى في مناسبة بمجموعة كبيرة من أصحاب سحنون، فرآهم في بداية الليل أقبلوا على قراءة القرآن، ثم تناظروا في العلم، ثم قاموا إلى التهجد، فقال: أصحاب من هؤلاء؟ ومن علمهم العلم؟ والله ما رأيت أحدا قط أنبل من هؤلاء... والله لا يصحب هؤلاء رجلا ً إلا نبّلوه وشرفوه، فقيل له هؤلاء أصحاب سحنون[2].

وبالجملة فقد كثر تلاميذه وسرت بسببه روح جديدة في أنحاء إفريقية والمغرب والأندلس وبهم شاع وتعمق علم أهل المدينة وزادت رواية الحديث انتشارا. وليس من الممكن ذكر أسماء جميع تلاميذ الإمام سحنون فقد تقدم بيان كثرة عددهم وإن جيل القرن الثالث أغلبه تتلمذ عليه، كما إني أحصيت تلاميذه

---

(١) المعالم : ٨٣/٢.

(٢) الرياض: ٤٤٢/١، وانظر : الثناء على أصحاب سحنون في ازدهار الرياض:٢٥/٣.

الأندلسيين من خلال المصادر الأندلسية والمغربية فوجدت أكثر من تسعين راوياً ولهذا سأكتفي بذكر نماذج لبعض من عرف منهم بحمل الحديث وروايته خاصة وإني قد أشرت إلى أثرهم العام، وكونهم أئمة في كل بلد:

- عيسى بن مسكين (ت٢٩٥هـ) وهو محدث من الثقات قال فيه ابن الحارث حين وصف أصحاب سحنون: وابن مسكين أرواهم للكتب والحديث وأشدهم وقاراً وتصاوناً.

- بكر بن حماد التاهرتي، نزيل القيروان (ت٢٩٦هـ) وهو من علماء الحديث والرجال.

- محمد بن سحنون (ت٢٥٦هـ) وهو من كبار العلماء بالفقه والحديث وورث الإمامة عن أبيه.

- محمد بن وضاح القرطبي (٢٨٦ أو ٢٧٦هـ) صاحب المسند، وبه وبابن وضاح صارت الأندلس دار حديث[1].

ج- محنته:

تعرض الإمام سحنون للمحنة مرتين، ارتبطت كلتاهما بإشعاعه العلمي:

الأولى: حين رفض الصلاة خلف القاضي المعتزلي ابن أبي الجواد، لإنه كان يقول بخلق القرآن، فأوغر صدر الأمير عليه فأمر بحلق رأسه وضربه خمسمائة سوط، إلا أن الله عافاه من ذلك حيث تدخل على بن حميد الوزير، وقال للأمير لاتفعل فإن العكي إنما هلك في ضربه للبهلول بن راشد فسلمه الله تعالى.

والمحنة الثانية: كانت عندما أعلن أحمد بن الأغلب (٢٣١-٢٣٢هـ) القول

---

(١) تاريخ ابن الفرحتي: ١٠٧/١.

بخلق القرآن، وطلب العلماء ليجبرهم على ذلك، ففر سحنون إلى قصر زياد ثم جيء به إلى الأمير، فلما نوقش في المسألة قال أما شيء أبتدئه من نفسي فلا، ولكني سمعت من تعلمت منه وأخذت عنه كلهم يقولون: القرآن كلام الله غير مخلوق، فقال ابن أبي الجواد كفر اقتله ودمه في عنقي[1].

وبعد مداولات قرر الأمير حبسه في داره ومنعه من الفتوى والإسماع ونادى بذلك في القيروان وأمر الحرس بأخذ ثياب من يدخل عليه وقد ذكر أبو العرب إنه بقي سنة كاملة لايفتي ولا يسمع، ولزم بيته، ثم تمكن محمد بن الأغلب من استرداد ملكه من أخيه أحمد فعاود سحنون سيرته الأولى في نشر العلم.

د- سحنون في منصب القضاء: [2]

لقد درج العلماء المدنيون في القيروان على رفض الوظائف الحكومية والبعد عن السلطان وإن قبلوا شيئاً من ذلك اشترطوا لأنفسهم ما يضمن لهم القيام بالحق والعدل في وظائفهم، فلما عرض القضاء على سحنون رفضه واستمر الأمير يفاوضه في ذلك ويلح عليه سنة كاملة حتى وافق الأمير على جميع شروطه، وأطلق يديه من كل ما رغب كالبدء بأهل الأمير في رد المظالم ونحو ذلك فلم يجد سحنون بداً من الموافقة وذلك سنة ٢٢٤هـ واستمر فيه إلى أن مات سنة ٢٤٠هـ ولم يأخذ عليه أجراً.

وقد قام في فترة قضائه بما لم يسبق إليه، وأضاف إلى مهمته القضائية كثيرا من الأمور التي كانت من اختصاص الأمراء والولاة كالنظر في الأسواق

---

(١) المعالم : ٩٤/٢، المدارك:٦١١/١، وانظر :المحن : ٤٤٦.

(٢) انظر : المحن :٤٥٤.

والحسبة، ونحو ذلك ومنع الفرق المبتدعة من نشر أفكارها كما إنه كان شديدا مع أقارب السلطان وحاشيته يقيم عليهم الحق ولا يخشى في الله لومة لائم فكانوا يشكونه للأمير، فيرسل إليه في الأمر، ولكن سحنون لا يطاوعه فيما لاحقّ فيه، حتى إن الأمير ذات مرة غضب غضباً شديداً وقال: ما أدري هو علينا أم نحن عليه؟ ولكنه كان كثيرا ما يقول لمن يأتيه شاكيا: إن سحنون لم يركب لنا دابة، ولا عقل كمه بصُرَّة، فهو لايخافنا. فلما أكثروا عليه، ولم يتمكن من عزله، عين معه قاضياً آخر، ولم يلبث سحنون بعد ذلك أن توفي.

هـ- شدة نفوره من الفتوى وتحذيره منها:

كان سحنون شديد الورع، يحذر الفتوى فربما جلس السائل في انتظار الجواب أياماً طويلة، وكان يقول: أجرأ الناس على الفتيا أقلهم علماً، ويقول: سرعة الجواب بالصواب أشد فتنة من فتنة المال، ولما عوتب في تأخير الأجوبة قال: أنا أحفظ مسائل فيها ثمانية أقوال من ثمانية أئمة فكيف ينبغي لي أن أعجل بالجواب حتى أتخير، فلِمَ ألام على حبس الجواب. وانتظر رجل جواب مسألته ثلاثة أيام فلما طال عليه الأمر قال لسحنون في كلام دار بينهما: (وأنت - أصلحك الله لكل معضلة. فقال له: هيهات يا ابن أخي ليس بقولك أبذل لحمي ودمي للنار! ما أكثر ما لا أعرف، وكان يقول إني لاخرج من الدنيا ولا يسألني الله عزوجل عن مسألة قلت فيها برأيي[1].

و- بذله وكثرة صدقته :

كان سحنون كثير المعروف يتعهد أصحابه وينظر في احتياجاتهم، وقد

---

(١) انظر هذه الأقوال في الرياض: ١/٣٥٤،٣٥٥.

يتصدق على الواحد منهم بالمبلغ الذي تجب فيه الزكاة، وقد كان له اثنتا عشرة ألف زيتونة، فلا ينتفع لنفسه بمحصول نصف شجره، والنصف الآخر مع بقية الزيتون يخرجه للفقراء والمساكين[1] أما معيشته فكانت في غاية البساطة والزهد، وهذا مشهور عنه مبسوط في المصادر .

ز- مؤلفاته :

المدونة : وقد تقدم بعض خبرها خلال الحديث عن الفتاوى الأسدية . وتعتبر المدونة أشهر مؤلفاته حيث اعتاد المصنفون نسبتها إليه، كما وأنه يوجد لديه كتأبين آخرين هما : كتاب الزهد - وكتاب مختصر المناسك[2].

ح - من حديثه :

أكثر سحنون في المدونة وأخرج له ابن عبدالبر في التمهيد، وفي جامع بيان العلم وفضله كما أخرج له أبو العرب في كتاب المحن[3]. ومن حديثه ما أخرجه في المدونة عن علي بن زياد عن سفيان الثوري عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن ابن عباس إنه قال: ألا أخبركم بوضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "فدعا بماء فأراهم مرة، فجعل في يده اليمنى ثم صب بها على يده اليسرى فتوضأ مرة مرة"[4].

ط - توثيقه والثناء عليه بالحفظ والورع وسعة العلم:

إن الإمام سحنون من أولئك المشاهير الذين استفاض خبر إمامتهم، وعرفه

---

(١) المعالم : ١٨٣/٣، وانظر عن كثرة صدقته ومعروفه : الرياض: ٣٦٢،٣٦١/١.

(٢) المدارك: ٦٢٥/١، الرياض :٣٧٤/١.

(٣) انظر :المحن :٢٧٦-٣١٠.

(٤) انظر : جامع بيان العلم:٥/١، ٥٠، ٥١، ٣/٢، ٧٩.

العام والخاص بسعة العلم وصدق الورع، وهذه الشهرة كافية في توثيقه ومع ذلك فقد لهج المصنفون بالثناء عليه، وتوثيقه وذكر فضائله وتبحره في العلم حتى ألف الناس في فضائله كما فعل الحافظان أبو العرب (ت ٣٣٣هـ) والخشني (ت ٣٦١هـ)[١].

قال أبو العرب: (كان ثقة حافظاً للعلم فقيه البدن، اجتمعت فيه خلال قلما اجتمعت في غيره الفقه البارع، والورع الصادق، والصرامة في الحق، والزهادة في الدنيا، والتخشن في الملبس والمطعم، ووسعه الذهبي في سير الاعلام بقوله: الإمام العلامةُ فقيهُ المغرب . وقال المالكي آنتشرت إمامته في المشرق والمغرب وسلم له الإمامة أهل عصره، وأجمعوا كلهم في فضله وتقدمه، وقال أشهب : ما قدم إلينا من المغرب مثله. وقال الشيرازي : انتهت الرئاسة إليه في العلم بالمغرب ... وعلى وقوله المعول به . وقال الحجوي : كان ثقةً حافظاً. وذكره ابن حبان في الثقات وأثنى عليه[٢].

وأراد السلطان أن يستفيد من سوء تفاهم وقع بين عون بن يوسف (ت٢٣٩هـ) وسحنون (ت ٢٤٠هـ) فنادى عوناً وسأله عن سحنون فقال : سبحان الله مثلي يسأل عن سحنون، والله إن سحنوناً لأفضل وأخير من أن يسأل مثلي عنه[٣].

وكان سليمان بن عمران وهو حنفي المذهب - قد أشار بتولية سحنون القضاء وقال : ما ظننت أنه يشاور في سحنون، حججت فرأيت أهل مصر يتمنون كونه بين أظهرهم وما يستحق احد القضاء وسحنون حي[٤].

---

(١) انظر :الديباج : ١٦٠-٢٦٠.

(٢) المدارك : ٥٨٨/١، وانظر : طبقات أبي العرب: ١٠١.

(٣) المدارك: ٣٢٨/١.

(٤) المعالم: ٨٦/٢، المدارك:٥٩٦/١.

وكان شديد الحفظ، قال عن نفسه : حفظت هذه الكتب حتى صارت في صدري كأُمِّ القرآن . وقد أغرب صاحب الإرشاد حين قال : لم يرض أهل الحديث حفظه[1]، فإن المصنفين قد أثنوا على حفظه، ولم أعثر على من ذكر هذا القول رغم استقصائي لمصادر ترجمة سحنون، وقد عبر محقق كتاب الإرشاد أيضاً عن استغرابه مما ذكره الخليلي ثم قال : وقد اتفق جميع الائمة على توثيقه.

ي - وفاته :

وتوفي سحنون سنة ٢٤٠ هـ فارتجت القيروان لوفاته وشوهد مشايخ الأندلس ممن لم يره يضربون خدودهم كالنساء، يقولون : ليتنا تزودنا منك بنظرة . ورثي بقصائد عديدة، وقد أقام سؤدد العلم في دار سحنون نحو ١٣٠ عام[2]. رحمه الله تعالى[*].

---

(١) الإرشاد : ٢١٣/١.

(٢) المدارك: ٦٢٦/١.

(*) لقد اعتمدت في ترجمة سحنون على ما اختاره الشيخ حسين بن شواط صاحب كتاب مدرسة الحديث، واكتفيت بها وبما رجع إليه من مصادر ومراجع وما وصل إليه من نتائج.

المبحث السادس

نظام الحكم عند الأغالبة

كان نظام الحكم فردياً وراثياً منحصراً في بني أغلب وأهم وظائف الحكم هي:

١- صاحب الخراج :

وأول من أنشأ هذه الوظيفة هو حسان بن النعمان أيام كان والياً عليها من قبل عبدالملك بن مروان سنة ٧٧، ثم توسع فيها الأغالبة بما يتفق مع ثروة البلاد أيام حكمهم وهي من أكبر الوظائف خطراً لأنها تتعلق بثروة البلاد .

٢- صاحب البريد:

وهو بمثابة وزير المواصلات وسمي صاحب البريد دون ان يضاف إلى شيء آخر، لأن للبريد محطات فيها خيل وبغال، وكلما وصل عامل البريد محطة غيَّر دابته التي كان يركبها، بعد أن أجهدها في السير للوصول إلى المحطة التي بعدها في أقصر وقت ممكن، ويضاف إلى صاحب البريد رئاسة المخبرين السريين.

٣- صاحب الجيش:

وهو يقوم مقام وزير الحربية .

٤- مقدم العمارة:

وهو بمثابة وزير البحرية وكان لدولة الأغالبة أسطول ضخم كبير، وكانت له الغلبة في البحر الأبيض المتوسط، على أسطول روما، وقد فتح صقلية وفالوربة وسردإنيا، ومالطا وكان مؤلفاً من عدة سفن لأغراض مختلفة وقام

بحراسة السواحل خير قيام .

٥- العامل :

وظيفته ادارية ينظر إلى المصلحة الوطنية من حيث الادارة والتنظيم .

٦- الحاجب :

هو مدير التشريفات وله نفوذ كبير في القصر .

٧- القضاء :

كان متمشيا مع احكام الكتاب والسنة، والقياس، والاجتهاد فيما لم يرد فيه نص وكان لا يتولاه الا من توفرت فيه قوة الإدراك والتبحر في العلم بعد استشارة أهل الحل والعقد في البلاد وكان القضاء مستقلاً عن الإدارة الأميرية، ولا يتدخل الأمير في شؤون القاضي وهو حر في احكامه ويعين القاضي نوابا عنه في الاماكن البعيدة من محل عمله داخل المملكة.

٨- الجند :

ينقسم الجند إلى ثلاثة اقسام : الحرس الأميري : وهو المخصص لحراسة الأمير، وليس له عمل غير ذلك . والجيش : وهو مركب من عدة عناصر من العرب والبربر، وغيرهم وهم مأجورون مرتزقة لا غاية لهم من عملهم إلا الحصول على الأجر، وما يقع في أيديهم من الغنائم، ولا يخلو من كان نيته الجهاد في سبيل الله في حروب جنوب إيطاليا وجزر البحر الأبيض المتوسط، اما سلاح الجند : فكان القوس والرمح، والسيف، والكبش، والمنجنيق(١).

هذه هي أهم الوظائف التي كانت تعتمد عليها دولة الأغالبة في تسيير دفة الحكم .

---

(١) تاريخ الفتح العربي في ليبيا : ٢٠٦-٢٠٧.

المبحث السابع

أهم أعمال دولة الأغالبة

أولاً : فتح صقلية:

١- الأهمية الاستراتيجية لصقلية:

وتعتبر صقلية أكبر جزر البحر المتوسط مساحة، وأغناها من حيث الموارد الاقتصادية، وأفضلها موقعا، حيث إنها تقع بين ساحل إيطاليا الجنوبية وساحل إفريقية، وقربها الشديد من سواحل إفريقية من الجهة الجنوبية الغربية.

٢- بدايات فتح صقلية:

كانت بدايات فتح صقلية في عهد عبدالله بن سعد - رضي الله عنه-، ثم تابعه على ذلك معاوية بن حديج - رحمه الله - حيث أرسل عبدالله بن قيس الفزاري لغزوها، وغنم المسلمون في تلك الغزوة غنائم كثيرة من بينها أصنام من الذهب والفضة مكللة بالجوهر. ثم غزاها عقبة بن نافع - رحمه الله - بأهل مصر سنة ٤٩هـ، ثم غزاها عطاء بن رافع الهذلي سنة ٨٣هـ، ثم غزاها عياش بن أخيل في ولاية موسى بن نصير، وغنم منها غنائم كثيرة. وتوالت عليها غزوات المسلمين بعد ذلك حتى كان آخر هذه الغزوات غزوة عبدالرحمن بن حبيب التي كانت في سنة ١٣٥هـ.

٣- أسباب فتح صقلية:

ومن تلك السنة ١٣٥هـ توقفت حملات المسلمون على صقلية بسبب اشتغال ولاة إفريقية بالفتن الداخلية الفكرية منها والعنصرية!! حيث استغل البيزنطيون هذه الفرصة وأخذوا يحصنون بلادهم وسواحلهم ويعمرونها بالمعاقل والحصون، وأصبحت لهم وحدات القوات البحرية تطوف بسواحل الجزيرة للذب عنها حتى تجرأت سفنهم ذات يوم على مهاجمة السواحل الإفريقية. فكانت تلك الهجمات سبب رئيسي لتوحيد صفوف دولة الأغالبة.

يقول صاحب كتاب (تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس): (وكان لهؤلاء العلماء المالكية أعظم الأثر في غلبة الروح الدينية والاتجاه نحو الزهد والرغبة في المرابطة بالثغور بقصد الجهاد في سبيل الله، بسبب تعرض السواحل الإفريقية لغارات الروم البحرية، واعتبر الرباط في هذه الثغور جهاداً في سبيل الله وقربة إليه، فنشأت الرباطات والقصور على سواحل إفريقية ....وفي هذه الاربطة كان يقيم المتعبدون المجاهدون بقصد حراسة المسلمين والتعبد لله في آن واحد. وكان الخروج لغزو الروم في صقلية غاية يتمناها هؤلاء الصالحون.

ولا شك ان الأمير زيادة الله بن الأغلب قد نجح في استثارة هذا الشعور الديني السائد باختيار أسد بن الفرات القاضي قائداً للحملة على صقلية، والشعور الديني طاقة كبيرة لها وزنها وأهميتها في الفتوحات الإسلامية، وهو في نفس الوقت يخفي الأغراض الحقيقية لزيادة الله من وراء هذه الحملة... ولذلك عين أسداً لهذه المهمة حتى يكسب الحملة نوعاً من الشرعية، فولاه قائداً على الجيش وأقره على القضاء مع القيادة، فخرج معه أشراف إفريقية من العرب والجند

والبربر والأندلسيين وأهل العلم والبصر)[1].

ويقول أيضاً في الأسباب التي دفعت ببني الأغلب لتلك الحملة : (التخلص من العناصر الثائرة في البلاد: عانى زيادة الله كثيراً من الثورات التي قام بها جنده عليه، وفتنهم المتعددة التي كادت تطيح بملك بني الأغلب).

٤- بداية الحملة:

يبدو أن زيادة الله كان يسعى إلى ترغيب الناس في غزو صقلية، وإكساب الحملة طابعاً من الجهاد في سبيل الله، فعندما بلغه أن أسد بن الفرات أبدى رغبته في الخروج في هذه الغزوة كواحد من المسلمين، ولاه أمر الجيش مع الاحتفاظ بالقضاء فأصبح أسد بن الفرات قاضياً أميراً.

يقول صاحب (تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس): (خرج أسد بن الفرات من القيروان في حشود قوامها عشرة آلاف من الرجالة وسبعمائة من الفرسان بأفراسهم، ومتوجهاً إلى سوسة ليركب منها إلى صقلية، وخرج معه وجوه أهل العلم وعدد كبير من الأهالي لتوديعه، واحتفل زيادة الله بذلك اليوم، فأمر ألا يبقى أحد من رجاله إلا شيعه، فركب أسد في جمع عظيم بين صهيل الخيول وقرع الطبول وارتفاع البنود.

وأقلع الأسطول الإسلامي من مدينة سوسة في يوم السبت ١٥ من شهر ربيع الأول سنة ٢١٢هـ (١٤ يونيو سنة ٨٢٧م) وكان يتكون من سبعين مركباً، وقيل مائة مركب، بالإضافة إلى مراكب اخرى فوصلت الأساطيل إلى بلدة مازر في يوم الثلاثاء أي بعد ثلاثة أيام من الإبحار من سوسة، ومازر

---

(١) انظر : تاريخ البحرية الإسلامية، في المغرب والأندلس، د.السيد عبدالعزيز سالم ود. أحمد مختار العباد ص٩٥-١٢١.

هي أقرب مدن صقلية إلى سوسة.

ثم سار جيش المسلمين نحو سهل بلاطة ماراً بقلعة بلوط ثم قرى الرفش وقلعة الدب وقلعة الطواويس، ثم إلى أرض المعركة التي سميت باسم بلاطة نسبة إلى صاحب صقلية. وأقبل بلاطة في جيش عدته ١٥٠ ألف مقاتل. فخطب أسد في الناس وهو يحمل اللواء وقال: هؤلاء عجم الساحل، هؤلاء عبيدكم، لا تهابوهم. ثم كبر المسلون وحملوا مع قائدهم، وتمادت عزائم المسلمين حتى هزموا بلاطة وأصحابه وقتلوا منهم خلقاً كثيراً وغنموا ما معهم، وانسحب بلاطة إلى قصريانة، ثم غلبه الخوف من لقاء المسلمين، ففر من صقلية إلى قلورية بجنوبي إيطاليا، فقتل بها.

وبعد هذا الانتصار الحاسم، استعمل أسد على مازر أبا زاكي الكناني، ثم زحف إلى موضع على البحر يقال له كنيسة إيفيمية، ثم سار إلى كنيسة المسلقين، ثم حاصر سرقوسة نفسها من البر والبحر، وجاءته الأساطيل من إفريقية تحمل إليه الامدادات وعند ذاك زحف إلى بلرم في جيش كثيف، فضيق القاضي أسد الحصار على سرقوسة وأحرق أسطول البيزنطيين . وفي هذه الآونة حل بالمسلمين وباء شديد هلك بسببه عدد كبير منهم، ومن جملتهم القاضي أسد بن الفرات الذي توفي في شعبان سنة ٢١٣هـ وقيل في رجب، فدفنه المسلمون في الموضع الذي كان يحاصر منه سرقوسة وقيل بين قطانية وقصريانة) [١].

٥- استكمال فتح صقلية زمن الأغالبة:

(اتخذ أبو فهر مدينة بلرم مقراً له لسهولة اتصالها البحرية بإفريقية من

---

(١) انظر : كتاب تاريخ البحرية الإسلامية، في المغرب والأندلس ص٩٥-١٢١.

جهة، ولقربها من مسيني وجنوبي ايطاليا حيث يتهيأ للمسلمين توجيه الغارات منها على البيزنطيين من جهة ثانية. ومن بلرم أخذ أبو فهر يشن الغارات على قصريانة في سنتي ٢١٩-٢٢٠هـ، ثم سير عسكراً بقيادة محمد بن سالم إلى مدينة طبرمين الواقعة في شرق الجزيرة، فغنم غنائم كثيرة. ولكن جماعة من جند أبي فهر تمردوا على ابن سالم وقتلوه، فولى زيادة الله مكانه الفضل بن يعقوب.

ويبدو ان زيادة الله الأغلبي احتاج لمساعدة أبي فهر في قمع بعض الثورات في المغرب، فنحه عن ولاية صقلية، وسير مكانه أخاه أبا الأغلب إبراهيم والياً عليها...وظل أبو الأغلب يبعث بسراياه للإغارة على مدن صقلية، وفي كل مرة كان المسلمون يعودون مظفرين غانمين، وقد تمكن المسلمون في احدى غاراته على قصريانة من الاستيلاء عليها.

ثم تابع المسلمون في ولاية إبراهيم بن الأغلب انتصاراتهم على أهل صقلية وفتوحاتهم في تلك الجزيرة، فاستولوا في سنة ٢٢٥هـ على عدد كبير من حصونها، من بينها حصن البلوط، وحصن أبلاطنو، وقرلون، ومرو، وافتتح الأسطول الإسلامي إقليم قلورية بعد أن تغلب على أسطول البيزنطيين. وواصل المسلمون منذ سنة ٢٢٨هـ انتصاراتهم على البيزنطيين في أقصى الشمال الشرقي لصقلية، فافتتحوا بقيادة الفضل بن جعفر الهمدإني مدناً كثيرة بمساعدة أهل نابل، من بينها مدينة مسيني، ومسكان.

وفي سنة ٢٣٢هـ حاصر الفضل بن يعقوب مدينة لنتيني واستولى عليها، كما افتتح المسلمون في هذه السنة طارنت الواقعة على خليج طارنت بجنوبي ايطاليا. وفي سنة ٢٣٤هـ استولى المسلمون أيضاً على حصن رغوس وهدموه).

ثانيا: فتح مالطة:

تعتبر مالطة أهم جزر الأرخبيل المالطي مثل جزيرة غودش وكمونة ونموشة، باعتبارها أكبر هذه الجزر، بالإضافة إلى كونها جزيرة عامرة كثيرة الخيرات حسنة الموقع، حتى إنها اعتبرت هي وصقلية من المعالم الهامة في التاريخ البحري الإسلامي ومفتاح حوض البحر المتَوسط الأوسط والغربي.

حيث تم افتتاح الأغالبة لمالطة في سنة ٢٥٥هـ في إمارة أبي الغرانيق محمد ابن أبي إبراهيم أحمد، وبفتحها تأكدت سيطرة المسلمين الكاملة على المضايق الواقعة بين صقلية وإفريقية[1].

---

(١) راجع : كتاب (تاريخ البحرية الإسلامية، في المغرب والأندلس) تأليف د. السيد عبدالعزيز سالم، د. أحمد مختار العبادي: ٩٥ إلى ١٢١.

المبحث الثامن

أسباب سقوط الدولة

١- الصراع على الحكم بين أبناء البيت الحاكم.

٢- تركيبة الجيش المبنية على المنفعة الذاتية للجنود.

٣- ظلم بعض الأمراء وإسرافهم في القتل.

٤- بغض العامة لأمراء الأغالبة نتيجة ظلمهم.

٥- انغماس الأمراء في الخمر والفساد والانحلال وانشغالهم به.

٦- ظهور دعوة عقدية في ريعان شبابها وكان دعاتها على جانب كبير من الغدر واستغلال الظروف المواتية ألا وهي الدعوة العبيدية الرافضية الباطنية.

الخلاصة

١- إن الدولة الأموية قامت بجهود عظيمة لنشر الإسلام والجهاد في سبيله كما أن الأسرة الأموية ممتدة جذورها في خدمة الإسلام من زمن النبي صلى الله عليه وسلم وبرز منها قادة في مجال الدعوة والجهاد والإمارة.

٢- كان لرجال بني أمية قدرات متميزة في مجال الإدارة والسياسة والقيادة ولذلك استعان رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين بهم في الولايات والعمالات.

٣- إن معاوية رضي الله عنه صحبي جليل وكاتب للوحي وتولى اعمالاً عظيمة في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان، فلا يجوز سبه بل يجب حبه والدفاع عنه ويعتبره علماء أهل السنة من أعظم ملوك المسلمين على الإطلاق.

٤- إن رأي أهل السنة ترك القتال في الفتنة والامتناع عن الخروج عملاً بالأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم في النهي عن الخروج على الحكام وإن جاروا وظلموا ما داموا مسلمين وعلى الصلاة محافظين ويشترط في الخروج أن يكون ظهر من الحكام كفر بواح مع وجود الاستطاعة في التغيير.

٥- إن موقعة كربلاء التي قتل فيها الحسين رضي الله عنه كانت باب شر فتح على الأمة، وإن الحسين رضي الله عنه قتل مظلوماً شهيداً ولم يكن متولياً أمر الأمة وكان عام ٦١هـ.

٦- إن موقعة الحرة في المدينة وقعت عام ٦٣هـ ولقد أنكر بعض الصحابة والتابعين خروج أهل المدينة على يزيد بن معاوية ورفض بعضهم خلعه،

منهم عبدالله بن عمر ومحمد بن الحنفية.

٧- إن قولَ مؤرخي الشيعة بأن يزيد بن معاوية أرسل جيشاً إلى المدينة واستباحها ثلاثة أيام قولٌ باطلٌ لايصمد أمام البحث التاريخي الموثق.

٨- يرى أهل السنة والجماعة أن يزيد كان ملكاً من ملوك المسلمين له حسنات وسيئات ولم يكن صحابياً ولم يكن كافراً.

٩- عادت سيرة الفتوحات التي في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافة الوليد بن عبدالملك وفتحت السند والأندلس في عصره.

١٠- تولى الخلافة بعد الوليد سليمان بن عبدالملك ومن حسناته العظيمة قبوله لنصيحة الفقيه العالم رجاء بن حيوة الكندي الذي اقترح على سليمان في مرض موته أن يولي عمر بن عبدالعزيز وكانت وصية لم يكن للشيطان فيها نصيب.

١١- كان عهد عمر بن عبدالعزيز عهد خير وبركة على الأمة قاطبة وقد مس عدله كل الأقاليم ولقد ساهم عمر بن عبدالعزيز في تدعيم الإسلام في الشمال الإفريقي ويظهر ذلك جلياً في بعثته للفقهاء العشرة.

١٢- بعد وفاة عمر بن عبدالعزيز تولى الخلافة يزيد بن عبدالملك فعزل إسماعيل بن أبي المهاجر عن ولاية إفريقية وعين يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج وكان ظلوماً غشوماً متبعاً لسيرة الحجاج في أهل العراق، فنقم عليه البربر ولذلك قتلوه.

١٣- كانت أول ثورة في إفريقية في الإسلام عام ١٢٣هـ بسبب الظلم والجور من الولاة واستفاد الخوارج من ذلك فوجدوا تربة خصبة لعقائدهم في الشمال الإفريقي وتزعم الثورات ضد الخلافة الأموية ميسرة المظغري الذي اعتنق مذهب الخوارج الصفرية وحرص على نشره في أوساط البربر.

١٤- اندلعت في إفريقية ثورات لإنهاية لها انتهت في عهد يزيد بن حاتم ١٥٦هـ بسبب الفكر الخارجي وظلم الولاة وجهل القبائل في الشمال الإفريقي.

١٥- بموت هشام بن عبدالملك تضعضع ملك بني أمية، وتولى وأدبر أمر الجهاد في سبيل الله واضطرب أمرهم جداً، وإن كانت قد تأخرت أيامهم بعده نحو من سبع سنين.

١٦- لقد كانت من عقائد الصفرية وهي فرقة من الخوارج استحلال أموال أهل السنة واستباحة نسائهم وقتلهم ولذلك لما كسرت شوكتهم في معركة القرن عام ١٢٤هـ على يدي حنظلة بن صفوان وسمع بذلك فقيه أهل مصر في زمانه الليث بن سعد قال "ما غزوة كنت أحب أن أشهدها بعد غزوة بدر أحب إلي من غزوة القرن".

١٧- يعتبر عبدالرحمن بن حبيب أول متغلب على إفريقية، واستقل بها أيام حكمه عن بني أمية وكان ذلك عام ١٢٩هـ.

١٨- في سنة ١٣٢هـ قتل مروان بن محمد، وانقرضت دولة بني أمية من المشرق، بعد أن ملكت إحدى وتسعين سنة وتسعة أشهر وخمسة أيام وتولى الملك فيها أربعة عشرة خليفة وظهرت على أعقابها دولة بني العباس والله يرث الأرض ومن عليها.

١٩- تعتبر معركة الزاب من المعارك الفاصلة بين بني العباس وبني أمية وكانت في عام ١٣٢هـ.

٢٠- لقد كان من أسباب سقوط دولة بني أمية هزائمهم المتلاحقة أمام جحافل العباسيين، وأسباب تتعلق ببني أمية والخلفاء منها: ضعف شخصية بعض الخلفاء، بذخ بعض الخلفاء وإسرافهم، تحكيم بعض الخلفاء أهواءهم في أمر

قوادهم، ولاية العهد وما يترتب عليها من صراع، النزاع بين أفراد البيت الأموي على الخلافة.

٢١- كانت هناك أسباب في سقوط الدولة تتعلق بالرعية، منها، العصبية العربية، والنزاع بين العرب والموالي، قيام حركات المعارضة، الشيعة، الخوارج، الدعوة العباسية.

٢٢-كانت هناك أسباب عامة منها، ازدياد الخطر البيزنطي، المشكلات الاقتصادية وكل العوامل والأسباب السابقة لاينكر تأثيرها على اضعاف سلطان بني أمية إلا أن أبرز تلك العوامل هو الخلاف الذي دب بين افراد البيت الأموي من أجل الخلافة.

٢٣- اعتمد العباسيون سرية التنظيم في سعيهم للوصول إلى الحكم ومرت دولتهم بأربعة مراحل وانتهت في عام ٦٥٦هـ.

٢٤- أهم سمات العصر العباسي الأول، بناء مدينة السلام، ظهور الثورات المنحرفة.

٢٥- كانت الثورة الراوندية، والمقنعية والخرمية ذات عقائد فأسدة عبرت عن الامتداد التاريخي لمعتقدات المزدكية التي أخذت عن المانوية والتي ظهرت في بلاد فارس من قبل الإسلام وكانت تعتقد بوجود إلهين النور والظلمة، ويبيحون النساء.

٢٦- يمتد العصر العباسي الثاني من عام ٢٣٢ إلى ٣٣٤هـ ومن أشهر سمات هذا العصر، ظهور النفوذ التركي وظهور منصب أمير الأمراء، ومقتل معظم خلفاء هذا العصر.

٢٧- يمتد العصر العباسي الثالث من عام ٣٣٤هـ إلى نهاية عام ٤٤٧هـ ومن أوضح سمات هذا العصر، سيطرة الأسرة البويهية على الحكم، استفحال

سلطات الشيعة، وتكوين وظهور الإمارات المستقلة وظهور فتنة خلق القرآن.

٢٨- استطاع عبدالرحمن الداخل أن يؤسس إمارة أموية في الأندلس امتدت من عام ١٣٨هـ إلى ٣١٦هـ.

٢٩- تعتبر بداية الخوارج على شكل جماعي له اتجاهه وآراؤه الخاصة بدأ بالخروج على علي رضي الله عنه عام ٣٧هـ.

٣٠- لقد وردت أحاديث صحيحة في ذم ووصف الخوارج تعين أهل السنة على معرفتهم والحذر منهم وكشفهم، ولم يقصّر سلفنا الصالح في حربهم وذمهم وبيان انحرافهم عن الصراط المستقيم.

٣١- لقد تشعبت الخوارج إلى فرق عدة بلغ بها بعض أهل العلم ممن كتب في الملل والنحل إلى عشرين فرقة، واهم هذه الفرق هي، المحكمة الأولى، والأزارقة، والنجدات والصفرية.

٣٢- لقد اختلف علماء الفرق في الحكم على الإباضية ويظهر أن الإباضية تخالف منهج أهل السنة في بعض المسائل العقدية وتوافقهم في مسائل أخرى.

٣٤- بعض علماء الإباضية أصاب الحقيقة في الحكم على الصحابة رضي الله عنهم والبعض الآخر انحرف عن المنهج المعتدل القويم.

٣٥- خالف الإباضية منهج السلف في صفات الله وفي استواء الله على عرشه وفي باب رؤية الله عزوجل في الآخرة واختلفوا في كون القرآن مخلوق، ووافقوا أهل السنة في باب القدر، واختلفوا في إثبات عذاب القبر وقالوا بإثبات الشفاعة للمتقي وهذا يخالف منهج أهل السنة.

٣٦- لقد شارك الإباضية في التاريخ السياسي للمغرب وقاموا بثورات في نهاية

الخلافة الأموية وبداية العباسية من أشهرها، ثورة عبدالجبار بن قيس والحارث بن تليد، وإسماعيل بن زياد النفوسي.

٣٧- كانت إمامة أبي الخطاب عبدالأعلى بن السمح على الإباضية في سنة ١٤٠هـ واستطاع أن يوسع نفوذ حكمه حتى وصل إلى خليج سرت غرباً وإلى قابس شرقاً ومن البحر إلى الصحراء الكبرى وأصبحت كل هذه الأراضي منضوية تحت حكم الإباضية.

٣٨- أقلق أبو جعفر المنصور ظهور أبي الخطاب بن السمح في بلاد المغرب فقرر القضاء عليه مهما كلفه من خسائر واستطاع أبو جعفر المنصور أن يقضي على أبي الخطاب في عام ١٤٤هـ وقاد جيوش الدولة العباسية محمد ابن الأشعث والي مصر لحرب الخوارج.

٣٩- استطاع يزيد بن قبيصة أن يقضي على ثورة أبي حاتم يعقوب بن لبيب الإباضي عام ١٥٥هـ وتعد هذه الضربة الساحقة التي ألحقها يزيد بالإباضية نهاية لنشاط الخوارج والإباضية في صورته الشاملة المنظمة إلا إنه بقيت ثورات طفيفة لم يجد أمراء آل المهلب عناء في قمعها وردعها.

٤٠- استطاع عبدالرحمن بن رستم أن يكوّن دولة بتاهرت عام ١٦١هـ وامتد نفوذها فيما بعد لتضم إباضية المغرب جميعاً واستطاع الخوارج الصفرية تكوين دولة في المغرب الأقصى في سلجماسة وهي التي تسمى بدولة بني مدرار.

٤١- دخل المذهب المالكي إلى الشمال الإفريقي عام ١٨٣هـ على يد علي بن زياد وهو أول من أدخل الموطأ إلى إفريقية وفسر لهم قول مالك.

٤٢- يعتبر المذهب المالكي من المذاهب السنية المعتمدة وأصوله من أصول أهل السنة والجماعة.

٤٣- يعتبر إبراهيم بن الأغلب بن سالم التميمي مؤسس دولة الأغالبة وكان ذلك عام ١٨٤هـ وكان يتمتع بشجاعة نادرة، وثقافة عالية، بالإضافة إلى معرفة واسعة بشؤون إفريقية.

٤٤- يعتبر عصر الأغالبة من أفضل العصور في الشمال الإفريقي في المجال العلمي والحضاري والعمراني وفي مجال الأمن والاستقرار والفتوحات الإسلامية.

٤٥- حكمت دولة الأغالبة إفريقية مائة واحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر وتولى الحكم فيها احدى عشر أميراً، وقد جرت فيها سنّة الله في القضاء على الدول عندما ينغمس حكامها في الترف والفجور والانحلال، ويظلمون العباد ويكثرون الفساد.

٤٦- كان أسد بن الفرات من أشهر علماء دولة الأغالبة اجتهد في طلب العلم وشد الرحال إلى الأمصار في زمانه لتلقي العلم وأخذه عن الفقهاء، فمكث في المدينة ومكة وبغداد والكوفة ومصر ورجع إلى القيروان معلماً ومحدثاً ومربياً وقاضياً ومجاهداً. توفى عام ٢١٣هـ في غزوة صقلية.

٤٧- يعتبر الإمام سحنون بن سعيد التنوخي من علماء الشمال الإفريقي وظهر هذا العالم في عصر الأغالبة وبرز في علوم الفقه والحديث والفتوى والقضاء وكان سيفاً مسلطاً على المبتدعة وأهل المظالم ويضرب به المثل في الزهد والورع والاخلاص . توفي عام ٢٤٠هـ.

٤٨- كان نظام الحكم فردياً في دولة الأغالبة وأهم وظائف الدولة هي، صاحب الخراج، صاحب البريد، صاحب الجيش، مقدم العمارة، الحاجب، القضاء، الجند.

٤٩- ان اهم اعمال دولة الأغالبة هي، فتح صقلية وفتح مالطة، كسر شوكة

الخوارج، تبني منهج أهل السنة والجماعة .

٥٠- إن من أبرز أسباب سقوط دولة الأغالبة، الصراع على الحكم بين أبناء البيت الحاكم، تركيبة الجيش المبنية على المنفعة الذاتية للجنود، ظلم بعض الأمراء وإسرافهم في القتل، بغض العامة لأمراء الأغالبة نتيجة ظلمهم، انغماس الأمراء في الخمر والفساد والانحلال وانشغالهم بذلك، ظهور دعوة عقدية في ريعان شبابها وكان دعاتها على جانب كبير من الغدر واستغلال الظروف المواتية تمثلت في الفكر الرافضي الباطني العبيدي.

المراجع والمصادر

١- أجوبة ابن خلفون، لأبي يعقوب يوسف بن خلفون.
٢- أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي، محمد الفاضل بن عاشور، مطبعة النجاح، تونس.
٣- أسباب سقوط الدولة الأموية، لسعدي أبو حبيب، دار الفكر.
٤- أنساب الأشراف للبلاذري، لأبي العباس أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري، تحقيق: ماكس شلوسنجر، القدس، مطبعة الجامعة، ١٩٣٨م.
٥- أسد الغابة لمعرفة الصحابة، لأبي الحسن علي بن محمد الجزري، دار الفكر، طبعة ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
٦- إثبات صفة العلو، موفق الدين أبي محمد عبدالله بن أحمد المقدسي، حققه وعلق عليه: د. أحمد الغامدي، الناشر: مكتبة علوم القرآن، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.
٧- أيعيد التاريخ نفسه، محمد العبدة، المنتدى الإسلامي، ١٤١١هـ.
٨- الفرق بين الفرق، للبغدادي، عبدالقاهر بن طاهر البغدادي، تعليق: محمد محيي الدين عبدالحميد، مكتبة محمد علي صبيح، مصر.
٩- الملل والنحل للشهرستاني، لأبي الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني.
١٠- التاريخ الأندلسي، د. عبدالرحمن علي الحجي، دار القلم، دمشق، الطبعة الرابعة، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.
١١- التاريخ العباسي والفاطمي، للعبادي.
١٢- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، لأبي الحسن محمد بن أحمد الملقي، مكتبة المثنى، بغداد، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م.
١٣- النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمد الطنجي، نشر المكتبة الإسلامية بالرياض.
١٤- الإباضية بين الفرق، لعلي يحيى معمر، وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان،

الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.
١٥- المستدرك على الصحيحين، الحاكم أبو عبدالله محمد بن عبدالله، طبعة دائرة المعارف النظامية، حيدآباد، نشر: دار الكتب العلمية.
١٦- الضمانة، لقطب الأئمة محمد طفيش.
١٧- الدليل لأهل العقول، للورجلاني.
١٨- الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة، د. محمد عبدالله الدميجي.
١٩- الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، للشيخ أحمد بن حجر الهيثمي.
٢٠- الجواهر المنتقاة في إتمام ما اخلّ به كتاب الطبقات لدجيني، معهد المخطوطات، جامعة الدول العربية رقم ١٠٦٧.
٢١- السيرة والأخبار الأمة في انتشار مذهب الإباضية في المغرب، جامعة الدول العربية للورجلاني، رقم ١٧٣٦.
٢٢- العبر لابن خلدون، بيروت، دار الكتب، ١٩٦٧م.
٢٣- المنهل العذب تاريخ طرابلس الغرب، أحمد النائب الأنصاري، منشورات مكتبة الفرجاني.
٢٤- البيان المغرب لابن عذارى، بيروت، ١٨٤٨هـ/١٨٥١م.
٢٥- الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى للسلاوي، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٤م.
٢٦- التشريع والفقه الإسلامي، تاريخاً ومنهجاً، للشيخ مناع القطان.
٢٧- الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة، لعبد الغني الدقر، دار القلم، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
٢٨- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر، تحقيق جماعة من العلماء، ط المغرب، ١٣٧٨هـ/١٤٠١هـ.
٢٩- المدونة الكبرى، الإمام سحنون بن سعيد التنوخي، دار الفكر، دار صادر، بيروت، مطبعة السعادة، مصر.
٣٠- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي بن فرحون اليعمري،

دار الكتب العلمية، بيروت.
٣١- العواصم من القواصم، للقاضي أبي بكر بن العربي، تحقيق: محب الدين الخطيب، الطبعة الخامسة، مكتبة السنة، ١٤٠٨هـ.
٣٢- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد ابن عبدالبر، تحقيق: علي محمد البجاوي، مطبعة نهضة مصر.
٣٣- الإصابة في تمييز الصحابة، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن عبدالله بن محمد ابن عبدالبر، تحقيق: علي البجاوي، مطبعة النهضة، مصر.
٣٤- البداية والنهاية في التاريخ، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق ومراجعة: محمد عبدالعزيز النجار، مكتبة الأصمعي، الرياض.
٣٥- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد كاتب الواقدي، طبع دار بيروت للطباعة والنشر.
٣٦- الكامل في التاريخ، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم، محمد بن محمد الشيباني، دار صادر، بيروت.
٣٧- المغرب الكبير، محمد علي دَبّوّز، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، ١٩٦٣م.
٣٨- الخلافة والخوارج في المغرب العربي، لرفعت فوزي عبداللطيف، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.
٣٩- المحن، الحافظ أبو العرب التميمي القيرواني، تحقيق: يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.
٤٠. الشريعة للآجري، أبو بكر محمد بن حسين الآجري، حققه: حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٣هـ.
٤١- الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد، تأليف الإمام علاء الدين بن المعطار، حققه وعلق عليه: علي حسن عبدالحميد، الناشر: دار الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
٤٢- المنتقى من منهاج الاعتدال، للحافظ أبي عبدالله محمد بن عثمان الذهبي، طبعة مكتبة دار البيان، حققه: محب الدين الخطيب.

٤٣- الفتاوى، لابن تيمية، أحمد عبدالحليم، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، نشر مكتبة المعارف بالرياض.
٤٤- التاريخ الإسلامي، لمحمود شاكر، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق.
٤٥- تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، د. السيد عبدالعزيز سالم، د. أحمد مختار العباد، بيروت، ١٩٦٩م.
٤٦- تاريخ الفتح العربي في ليبيا، للطاهر أحمد الزاوي، دار التراث العربي، ليبيا، الطبعة الثالثة.
٤٧- تهذيب التهذيب، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، طبع مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٢٥هـ.
٤٨- تاريخ الأمم والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت، لبنان.
٤٩- تاريخ خليفة بن خياط، لخليفة بن خياط، طبعة عام ١٩٦٧-١٩٦٨م.
٥٠- تاريخ ليبيا الإسلامي، عبداللطيف البرغوثي، منشورات الجامعة الليبية، بيروت، ١٩٧٣م.
٥١- تاريخ عصر الخلافة العباسية، ليوسف العشي، دار الفكر، سورية، دمشق.
٥٢- تاريخ المغرب، د. سعد زغلول، مطبعة أطلس في القاهرة، ١٩٧٩م.
٥٣- تذكرة الحفاظ للذهبي، شمس الدين الذهبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٥٤- جامع الأصول في أحاديث الرسول، للإمام أبي السعادات مبارك بن محمد بن الأثير، تحقيق: محمد حامد، إدارة البحوث والإفتاء والدعوة والإرشاد.
٥٥- جمهرة النسب لهشام الكلبي.
٥٦- تقريب التهذيب، ابن حجر، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ.
٥٧- تاريخ إفريقية والمغرب، ابن رقيق القيرواني، طبعة تونس، ١٩٦٧م.

٥٨- جذوة المقتبس في ذكر ولاة طرابلس وولاة الأندلس وأسماء رواة الحديث والأدب وذوي النباهة والشعر، لأبي عبدالله محمد بن فتوح، الناشر: مكتب نشر الثقافة، القاهرة، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٥٣م.
٥٩- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي، طبعة وزارة الأوقاف بالمغرب.
٦٠- الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، لأبي محمد بن حزم الظاهري، مكتبة الخانجي، مصر.
٦١- تاريخ الإسلام، حسن إبراهيم حسن، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثالثة عشرة، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
٦٢- جامع البيان والعلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، ابن عبدالبر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ.
٦٣- دراسات إسلامية في أصول الإباضية، بكر بن سعيد اعوشت.
٦٤- دراسات في تاريخ العرب، عبدالعزيز سالم.
٦٥- رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم وعبادهم ونساكهم، لأبي عبدالله المالكي، نشره: حسين مؤنس، القاهرة، ١٩٥١م.
٦٦- زاد المعاد، لابن القيم، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة عشر، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، تحقيق شعيب وعبدالقادر الأرنؤوط.
٦٧- زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي: أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي، تحقيق: محمد بن عبدالرحمن عبدالله، الطبعة الأولى، نشر: دار الفكر، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
٦٨- سير أعلام النبلاء النبلاء محمد أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
٦٩- شرح العقيدة الطحاوية، للعلامة محمد بن علي بن محمد الأذرعي، خرج أحاديثها: محمد

ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩١هـ.
٧٠- شرح النووي على صحيح مسلم، للإمام أبي زكريا/يحيى بن شرف النووي، نشر وتوزيع: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.
٧١- صريح السنة للطبري، محمد بن جرير، تحقيق: بدر بن يوسف المعتوق، الطبعة الأولى، نشر دار الخلفاء، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
٧٢- صحيح البخاري، بحاشية السندي، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، دار إحياء الكتب العربية، لأصحابها مصطفى البابي وشركاه.
٧٣- طلقات المعهد الرياض في حلقات المذهب الإباضي، سالم بن حمود بن شامس السيابي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان.
٧٤- طبقات الإباضية، الدرجيني، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، رقم ٣٠٣.
٧٥- طبقات الفقهاء، إبراهيم بن علي الشيرازي، أبو إسحاق، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الرائد، بيروت، ط٢، ١٤٠١هـ.
٧٦- طبقات أبي العرب - طبقات علماء إفريقية، محمد بن أحمد بن تميم، تحقيق: محمد بن أبي شنب، الجزائر، ١٩١٥م، تصوير دار الكتب، لبنان.
٧٧- عقيدة أهل السنة في الصحابة، د. ناصر بن علي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
٧٨- عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني، أبو إسماعيل عبدالرحمن بن إسماعيل، تحقيق: بدر البدر، الطبعة الأولى، نشر الدار السلفية، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
٧٩- فتح الباري، شرح صحيح البخاري، للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المطبعة السلفية ومكتبتها، ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي.
٨٠- فتوح مصر وأخبارها لابن عبدالحكم، دار التعاون للطبع والنشر، ١٩٦٨م/١٩٧٤م.
٨١- ليبيا منذ الفتح العربي، د. صالح مصطفى مفتاح، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م.

٨٢- ليبيا بين الماضي والحاضر، لحسن سليمان محمود، القاهرة، ١٩٦٢م.
٨٣- لوامع الأنوار البهية للسفاريني، محمد بن أحمد السفاريني، مكتبة الرشد، الرياض، طبعة أولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
٨٤- مصنف ابن أبي شيبة، أبو بكر ابن أبي شيبة، طبع الدار السلفية، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، بومباي، الهند.
٨٥- مصنف عبدالرزاق، لعبدالرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
٨٦- معجم البلدان، لأبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٨٧- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، مكتبة النهضة المصرية.
٨٨- مقدمة شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي.
٨٩- مدرسة الحديث في القيروان، الحسين بن محمد شواط، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
٩٠- معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، عبدالرحمن بن محمد الأنصاري الدباغ، أكمله أبو القاسم بن عيسى بن ناجي، مكتبة الخانجي بمصر، المكتبة العتيقة، تونس، ط٢، ١٩٨٨م.
٩١- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن مخلوف، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
٩٢- مناقب أبي إسحاق الجبشاني، لأبي القاسم اللبيدي، تحقيق: كلية الآداب، الجزائر.
٩٣- محاضرات في تاريخ المذهب المالكي، د. عمر الحيدي.
٩٤- لمعة الاعتقاد والهادي إلى سبيل الرشاد، للإمام موفق الدين أبي محمد عبدالله أحمد بن قدامة وشرح ابن عثيمين، الناشر: الدار السلفية، ط٢، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٩٥- منهج دراسات الأسماء والصفات، لمحمد الأمين الشنقيطي، الناشر الجامعة الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ.
٩٦- مجموعة الرسائل والمسائل، لابن تيمية، المجموعة الثانية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.
٩٧- منهاج السنة النبوية، لشيخ الإسلام أحمد عبدالحليم ابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٩٨- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، لأبي عبدالله بن محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: دار المعرفة، بيروت، لبنان.
٩٩- ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبدالعزيز، د. عماد الدين خليل، مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
١٠٠- محاضرات د. محمد ضيف الله البطاينة، في الجامعة الإسلامية، ١٤١٤هـ.
١٠١- محاضرات الشيخ عبدالعزيز ولي الجامعة الإسلامية، ١٤١٤هـ.
١٠٢- هدي الساري، مقدمة فتح الباري، الحافظ ابن حجر العسقلاني، المطبعة السلفية ومكتبتها.
١٠٣- ولاة طرابلس، للطاهر الزاوي، بيروت، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.
١٠٤- وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، أبو العباس أحمد بن محمد بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٩٨هـ.

المحتويات

علي محمد محمد الصلابي

- ولد في مدينة بنغازي بليبيا عام ١٣٨٣هـ-١٩٦٣م.
- تحصل على درجة الاجازة العالية "الليسانس" من كلية الدعوة واصول الدين من جامعة المدينة المنورة بتقدير ممتاز وكان الأول على دفعته عام ١٤١٣/١٤١٤هـ الموافق ١٩٩٢/١٩٩٣م .
- نال درجة الماجستير من جامعة ام درمان الاسلامية كلية اصول الدين قسم التفسير وعلوم القرآن في السودان عام ١٣٩٠هـ - ١٩٩٦م.
- صدرت له عدة كتب:

١- ملامح الوسطية في القرآن الكريم.

٢- وسطية القرآن في العقائد.

٣- وسطية القرآن في العبادة والاخلاق والتشريع .

٤- من عقيدة المسلمين في صفات رب العالمين.